



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العقائد الاسلاميه: عرض مقارنة لاهم موضوعاتها من مصادر السنه و الشيعة

كاتب:

آيت الله سيد على حسيني سيستاني

نشرت في الطباعة:

مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	العقائد الاسلاميه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادر السنه والشيعة - المجلد ٥
١٥	اشارة
١٥	فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٥)
٢٢	مقدمة
٢٤	عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى و نفى العصمة أنبيائه
٢٤	لماذا يحسد اليهود الشعوب التي عندها مقدسات
٢٤	لم يكن اليهود موحدين حتى في عصور أنبيائهم
٢٥	الاحاد الصريح في اليهود الماضين والمعاصرين
٢٦	افتراء اليهود على الله تعالى و نفيهم عنه العلم والعدل
٢٦	وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق
٢٦	و وصفوه بالطيش والغضب والظلم
٢٧	و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره
٢٧	و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فججز الله أن يغلبه
٢٧	و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادي يسكن في السماء
٢٧	و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط
٢٧	من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم
٢٧	افتروا على ابراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان
٢٧	و اتهموا ابراهيم بأنه تزوج سارة و هي أخته
٢٨	و اتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطى بأن سارة أخته
٣٠	و اتهموا نبي الله إسحاق بنفس التهمة
٣٠	و اتهموا إبراهيم و بقية الأنبياء بأنهم كانوا يشربون الخمر
٣٠	و زعموا أن لوطا سكن في سدوم اختلافة مع ابراهيم

- ٣٠ و نسبوا إلى سارة رضى الله عنها الظلم والقسوة
- ٣١ و اتهموا إبراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعيل
- ٣٢ اما مصادرنا فتبرئ إبراهيم و عترته من الظلم والمعصية
- ٣٣ و اتهموا نبي الله هارون و موسى بالشرك والمعاصي
- ٣٤ و اتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة
- ٣٥ و اتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان
- ٣٥ و افتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى
- ٣٥ النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة
- ٣٦ امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة
- ٣٦ نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة
- ٣٨ من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامة
- ٣٨ من شرائع ديننا عصمة الأنبياء والأوصياء
- ٣٩ وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم
- ٣٩ ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم
- ٤٠ العصمة من أول صفات الإمام
- ٤٠ احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثني عشر و عصمتهم
- ٤٢ كتاب كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر
- ٤٧ العصمة التامة هي الوسطية بين الغلو والتقصير
- ٤٩ من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة
- ٤٩ الانبياء معصومون مطهرون كاملون
- ٥٠ العصمة عن الذنوب، والغلط، والردائل، وما ينفر
- ٥٠ جليلنا
- ٥٠ اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلي
- ٥٤ العصمة لاتعنى الإجبار، و لا تنافي الإختيار

- ٦٠ دفاع أهل البيت و شيعتهم عن عصمة الأنبياء
- ٦٠ الامام الصادق يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء
- ٦٠ اشاره
- ٦٥ ملاحظة
- ٦٦ استغفار الأنبياء والأوصياء وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب
- ٦٦ اشاره
- ٦٧ ملاحظة
- ٦٧ هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة تحت سيف هارون الرشيد
- ٧٠ مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله يدافع عن عصمة نبينا
- ٧٠ مرجع الشيعة السيد المرتضى قدس سره يؤلف كتابا في تنزيه الأنبياء
- ٧١ مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء
- ٧١ بيان الخلاف في نزاهة الأنبياء عن الذنوب
- ٧٢ تنزيه آدم عن الغواية
- ٧٣ تنزيه نوح عما لا يليق به
- ٧٣ تنزيه إبراهيم عن الكفر والعصيان
- ٧٣ تنزيه إبراهيم عن الشك في الله تعالى
- ٧٤ تنزيه إبراهيم عن الإستغفار للكفار
- ٧٤ تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه
- ٧٤ تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه
- ٧٤ تنزيه يوسف عن الصبر على الإستعباد
- ٧٤ تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية
- ٧٤ في أن أيوب ابتلى امتحانا لا عقابا
- ٧٥ تنزيه موسى عن العصيان بالقتل
- ٧٥ تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه

- ٧٨ معركة تنزيه الأنبياء بين الشيعة و مخالفهم
- ٧٨ موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها...
- ٧٩ لا عصمة للأنبياء عند السنيين لكن الصحابة عندهم معصومون
- ٨٥ نماذج من آراء علمائهم في عصمة الأنبياء
- ٨٥ رأى الغزالي
- ٨٦ رأى الأمدى
- ٨٧ رأى القاضي عياض
- ٨٨ رأى الفخر الرازى
- ٩٠ ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازى
- ٩٠ الملاحظة ٠١
- ٩٠ الملاحظة ٠٢
- ٩١ رأى ابن تيمية و مشبهة الحنابلة في عصمة الأنبياء
- ٩١ ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء
- ٩٢ السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة
- ٩٤ دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرائق
- ٩٤ ابن تيمية يجوز أن يكون النبى كافرا فاسقا شريرا
- ٩٥ البخارى ينقض عصمة الأنبياء و يفترى عليهم
- ٩٥ صحيح البخارى مشحون بالإسرائيليات التي تطعن في الأنبياء و أسوأ منها القرشيات التي تطعن في نبينا
- ٩٥ نبى الله إبراهيم يكذب
- ٩٦ نبى الله موسى غضوب بطاش
- ٩٦ نبى الله موسى يركض عاريا وراء ثيابه
- ٩٦ نبى الله سليمان مفرط فى الجنس، معرض عن ذكر الله
- ٩٧ البخارى يروى تفضيل نبينا على الرسل والبشر
- ٩٧ ثم يتراجع البخارى و يفضل نبى الله موسى على نبينا لكنه يفضل قريشا على اليهود

- ٩٨ و يفضل عيسى على نبينا
- ٩٨ و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم
- ٩٩ الانبياء عند البخارى عصبون كما فى التوراة
- ٩٩ قرشيات البخارى فى الطعن بنينا أسوأ من إسرائيلياته
- ١٠٠ روايات البخارى المشينة فى سلوك نبينا
- ١٠٠ البخارى يفتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا
- ١٠١ غرائق قريش و محاولات التغطية على البخارى
- ١٠٢ البخارى يروى فريفة الغرائق فى ست مواضع
- ١٠٥ تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرائق
- ١٠٨ القاضى عياض أكثر علماء السنة اعتدالا فى عصمة نبينا
- ١١٠ غرائق قريش يتصيدا بروكلمان و مونتميرى
- ١١١ ملاحظات على قصة الغرائق
- ١١٥ عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء
- ١١٥ النبى معصوم نظريا، و أبوبكر و عمر معصومان عمليا
- ١١٥ مقولة عدالة الصحابة سياج لعصمة أبى بكر و عمر
- ١١٦ اضطرارهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر و بيعة الرضوان
- ١١٧ عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء
- ١١٩ النبى عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه
- ١٢٠ و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر
- ١٢١ و زعموا أن الملائكة تحدث عمر
- ١٢٢ و الفوا مؤلفات فى الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية
- ١٢٣ و اخترع الذهبى قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبى بكر
- ١٢٤ و غيروا اسم العصمة لإثباتها لعمر و أبى بكر
- ١٢٤ و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبى

- ١٢٥ و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء
- ١٢٥ رأى التفتازانى: فى عصمة أبى بكر و عمر و عدالة باقى الصحابة
- ١٢٦ نقد منطق التفتازانى فى العصمة فى مسائل
- ١٢٦ المسألة ٠١
- ١٢٧ المسألة ٠٢
- ١٢٨ المسألة ٠٣
- ١٢٨ المسألة ٠٤
- ١٢٩ ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالي، لكن لا يجب تقليدهما
- ١٣٠ هل تشيع الغزالي فى آخر عمره؟
- ١٣٢ النقد الذاتى قليل نادر فى علمائهم
- ١٣٣ السلطة القرشية تتبع اليهود حذو الفذة بالقذة والنعل بالنعل
- ١٣٣ تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى.. ترك الصلاة
- ١٣٧ اعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر و أبى بكر
- ١٣٧ بدأ نشاطهم بعد النبى واستمر إلى يومنا هذا
- ١٣٧ حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتل
- ١٤٠ غيبوا الآيات الصريحة فى نقد الصحابة و ذمهم
- ١٤١ لايد من ميزان لتقييم الصحابة
- ١٤١ وضعوا أحاديث فى مدح الصحابة و عصمتهم
- ١٤١ ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة
- ١٤٣ نقد حديث: خير القرون قرنى
- ١٤٤ ومعناه أن التاريخ الإسلامى يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال
- ١٤٤ الخط البيانى للأمة.. نزول ثم صعود
- ١٤٥ تخبط الشراح فى حديث خير القرون قرنى
- ١٤٧ ردهم شهادات النبى فى انحراف الصحابة بعده

- ١٤٨ الامام مالك يعرض يديه ندما لروايته أحاديث الحوض
- ١٤٩ قرنوا الصحابة بالنبي في الصلاة عليه من أجل عمر
- ١٤٩ من الذى حذف الصلاة على آل النبي؟! ومن أين جاء قولهم، أو عليه وآله صحبه و سلم؟
- ١٥٠ من الذى وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟
- ١٥٣ عصموا البخارى من أجل عصمة عمر
- ١٥٤ مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكملة جماعة المتوكل
- ١٥٤ السر فى تبنيهم كتاب البخارى
- ١٥٤ هل أن تبني البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟
- ١٥٥ نظرية إجماع العوام بيد السلطة و رجال الدين
- ١٥٥ الجام العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم
- ١٥٥ الجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية
- ١٥٥ الجام العوام عن قبول شهادة النبي لقاتل عمار بالنار
- ١٥٦ ابن حنبل يقول: صحابى فى النار
- ١٥٧ الجام العوام عن قبول شهادة ثقة و أمين أسرار
- ١٥٨ الجام العوام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبي
- ١٥٨ الجام العوام لتغطية اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبيهم
- ١٥٨ الجام العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا
- ١٥٩ من أساليبهم فى إجماع العوام
- ١٥٩ تميع الحقائق و حلف الإيمان
- ١٦٠ تعليم العوام إنكار الحقائق نهارا جهارا
- ١٦٠ الجام أطفال المسلمين بتربيتهم على عصمة عمر
- ١٦٣ الجام العوام باستخدام وسائل الإعلام
- ١٦٣ العصمة والمعصومون فى القرآن
- ١٦٣ المعصومون ثمرة الوجود البشرى

- ١٦٤ آيات العصمة في القرآن
- ١٦٤ آيات الإستخلاف
- ١٦٤ لا يكون خليفة الله في الأرض إلا معصوما
- ١٦٥ تكريم بنى آدم لا يعنى استخلافهم لأنه تكريم تكوينى واقتضائى
- ١٦٦ خلفاء الله في الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاما
- ١٦٧ تعليم آدم الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى
- ١٦٨ آيات الإصطفاء الإلهى
- ١٧٠ آيات الإصطفاء الإلهى
- ١٧١ معنى الإصطفاء و أنواعه
- ١٧١ تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين
- ١٧٢ الآية من متشابهات القرآن
- ١٧٢ القرطبى يرفض التفسير الرسمى
- ١٧٣ تفسير أهل البيت
- ١٧٥ اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجيته
- ١٧٥ ابناء فاطمة و أتباع أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب
- ١٧٥ الظالم لنفسه درجات متفاوتة
- ١٧٦ رأى علماء الشيعة
- ١٧٦ بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب
- ١٧٧ اهم الإشكالات على التفسير الحكومى
- ١٨٢ التوريت الإلهى للكتاب مقام عظيم
- ١٨٣ آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهى
- ١٨٣ اخلاص الدين لله تعالى
- ١٨٣ دعاء الله بانقطاع و إخلاص
- ١٨٣ المخلصون المستخلصون

- ١٨٤ المخلصون ناجون من الضلال والهلاك
- ١٨٤ المخلصون مقربون من الله و ليسوا أبناءه
- ١٨٤ المخلصون ناجون من العذاب مكرمون في الجنة
- ١٨٤ يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم
- ١٨٤ معنى الإخلاص والمخلص
- ١٨٥ دلالة الإستخلاص الإلهي على العصمة
- ١٨٧ آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص
- ١٨٩ آيات نفي سلطان الشيطان على المخلصين
- ١٨٩ وجه دلالتها على العصمة
- ١٩٣ الحكمة من نزول آيات متشابهة في عصمة الأنبياء
- ١٩٥ معجزة الجغرافية القرآنية
- ١٩٦ العصمة و قاعدة اللطف
- ١٩٦ معنى العصمة في القرآن واللغة والحديث
- ١٩٨ من تعريفات المتكلمين للعصمة
- ١٩٨ قاعدة اللطف الإلهي التي استدلت بها علماؤنا على العصمة
- ١٩٨ قاعدة اللطف عقلية و شرعية
- ٢٠٠ اللطف الإلهي في القرآن
- ٢٠١ اللطف في أحاديث النبي و آله
- ٢٠٢ من كلمات علمائنا في قاعدة اللطف
- ٢٠٤ رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف في الفقه
- ٢٠٥ ضرر الإغراق في التأصيل بقاعدة اللطف
- ٢٠٦ كيف يلطف الله تعالى بالمعصوم
- ٢١٠ درجات العصمة واللطف بالمعصومين
- ٢١٣ عصمة نبينا و آله أرقى أنواع العصمة

- ٢١٤----- النبي و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد
- ٢١٥----- درجة شيعة النبي و آله في أحاديث الطرفين
- ٢١٧----- زيادة رزين العبدري عن أبي داود
- ٢١٨----- تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

العقائد الإسلامية: عرض مقارنة لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعة - المجلد ٥

إشارة

عنوان و نام پدید آور: العقائد الإسلامية: عرض مقارنة لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعة / قام باعداده مركز المصطفى للدراسات الإسلامية؛ برعايه على السيد السيستاني.

مشخصات نشر: قم: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، ١٤١٩ق = ١٣٧٧.

مشخصات ظاهري: ٥ ج.

شابك: دوره ٦-١١٧-٣١٩-٩٦٤؛ ٧٠٠٠ ريال: ج. ٤١-١١٨-٣١٩-٩٦٤؛ ٧٠٠٠ ريال: ج. ٢٢-١١٩-٣١٩-٩٦٤؛ ٧٠٠٠ ريال: ج.

٤٤-١٢١-٣١٩-٩٦٤:

يادداشت: عربي.

يادداشت: ج. ٢ (چاپ اول: ١٤١٩ق = ١٣٧٧).

يادداشت: ج. ٤ (چاپ اول: ١٤٢٠ق = ١٣٧٨).

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج. ١. الفطره والمعرفه. - ج. ٣. الشفاعة. - ج. ٤. يشتمل على مسائل: شفاعه اهل البيت عليهم السلام والاشفاعة والتوسل

موضوع: اسلام -- عقايد

شناسه افزوده: سيستاني، على، ١٣٠٩، -، مصحح

شناسه افزوده: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

رده بندي كنگره: BP٢٠٣/ع ١٣٧٧٧

رده بندي ديويي: ٢٩٧/٤١

شماره كتابشناسي ملي: م ٧٧-١٤٤٨٦

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٥)

العقائد الإسلامية (المجلد ٥)

مقدمه

عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى و نفى العصمة أنبيائه

لماذا يحسد اليهود الشعوب التي عندها مقدسات

لم يكن اليهود موحدين حتى في عصور أنبيائهم

الاحاد الصريح في اليهود الماضين والمعاصرين

افتراء اليهود على الله تعالى و نفيم عنه العلم والعدل

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق

و وصفوه بالطيش والغضب والظلم

و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره

و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه

و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادي يسكن في السماء
و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط
من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم
افتروا على ابراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان
و اتهموا ابراهيم بأنه تزوج سارة و هى أخته
و اتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطى بأن سارة أخته
و اتهموا نبي الله إسحاق بنفس التهمة
و اتهموا إبراهيم و بقيه الأنبياء بأنهم كانوا يشربون الخمر
و زعموا أن لوطا سكن في سدوم اختلافه مع ابراهيم
و نسبوا إلى سارة رضى الله عنها الظلم والقسوة
و اتهموا إبراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعيل
اما مصادرنا فتبرئ إبراهيم و عترته من الظلم والمعصية
و اتهموا نبي الله هارون و موسى بالشرك والمعاصي
و اتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة
و اتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان
و افتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى
النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة
امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة
نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة
من أحاديث الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامة
من شرائع ديننا عصمة الأنبياء والأوصياء
وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم
ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم
العصمة من أول صفات الإمام
احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثني عشر و عصمتهم
كتاب كفاية الأثر فى النصوص على الأئمة الإثني عشر
العصمة التامة هى الوسطية بين الغلو والتقصير
من كلمات علماء الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة
الانبياء معصومون مطهرون كاملون
العصمة عن الذنوب، والغلط، والرذائل، وما ينفر
جليلنا
اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلى
العصمة لاتعنى الإجبار، و لا تنافى الإختيار

دفاع أهل البيت و شيعتهم عن عصمة الأنبياء
الامام الصادق يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء
ملاحظة

استغفار الأنبياء والأوصياء وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب
ملاحظة

هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة تحت سيف هارون الرشيد

مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله يدافع عن عصمة نبينا
مرجع الشيعة السيد المرتضى قدس سره يؤلف كتابا في تنزيه الأنبياء
مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء

بيان الخلاف في نزاهة الأنبياء عن الذنوب
تنزيه آدم عن الغواية

تنزيه نوح عما لا يليق به

تنزيه إبراهيم عن الكفر والعصيان

تنزيه إبراهيم عن الشك في الله تعالى

تنزيه إبراهيم عن الاستغفار للكفار

تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه

تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه

تنزيه يوسف عن الصبر على الاستعباد

تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية

في أن أيوب ابتلى امتحانا لا عقابا

تنزيه موسى عن العصيان بالقتل

تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه

معركة تنزيه الأنبياء بين الشيعة و مخالفينهم

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها...

لا عصمة للأنبياء عند السنين لكن الصحابة عندهم معصومون

نماذج من آراء علمائهم في عصمة الأنبياء

رأى الغزالي

رأى الأمدى

رأى القاضي عياض

رأى الفخر الرازي

ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي

الملاحظة ٠١

الملاحظة ٠٢

رأى ابن تيمية و مشبهه الحنابلة فى عصمه الأنبياء
 ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمه الأنبياء
 السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة
 دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرائق
 ابن تيمية يجوز أن يكون النبى كافرا فاسقا شريرا
 البخارى ينقض عصمه الأنبياء و يفترى عليهم
 صحيح البخارى مشحون بالإسرائيليات التى تطعن فى الأنبياء و أسوأ منها القرشيات التى تطعن فى نبينا
 نبى الله إبراهيم يكذب
 نبى الله موسى غضوب بطاش
 نبى الله موسى يركض عاريا وراء ثيابه
 نبى الله سليمان مفرط فى الجنس، معرض عن ذكر الله
 البخارى يروى تفضيل نبينا على الرسل والبشر
 ثم يتراجع البخارى و يفضل نبى الله موسى على نبينا لكنه يفضل قريشا على اليهود
 و يفضل عيسى على نبينا
 و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم
 الانبياء عند البخارى عصيون كما فى التوراه
 قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته
 روايات البخارى المشينه فى سلوك نبينا
 البخارى يفتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا
 غرائق قريش و محاولات التغطية على البخارى
 البخارى يروى فريه الغرائق فى ست مواضع
 تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرائق
 القاضى عياض أكثر علماء السنه اعتدالا فى عصمه نبينا
 غرائق قريش يتصيدا بروكلمان و مونتغمرى
 ملاحظات على قصة الغرائق
 عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء
 النبى معصوم نظريا، و أبوبكر و عمر معصومان عمليا
 مقوله عدالة الصحابه سياج لعصمه أبى بكر و عمر
 اضطرارهم لتضييق سياج الصحابه بأهل بدر و بيعه الرضوان
 عصمه عمر عندهم أعلى من عصمه جميع الأنبياء
 النبى عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه
 و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر
 و زعموا أن الملائكة تحدث عمر

و الفوا مؤلفات في الأخطاء النبوية والتصحيحات العمريّة
و اخترع الذهبي قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبي بكر
و غيروا إسم العصمة لإثباتها لعمر و أبي بكر
و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبي
و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء
رأى التفتازاني: في عصمة أبي بكر و عمر و عدالة باقي الصحابة
نقد منطق التفتازاني في العصمة في مسائل

المسألة ٠١

المسألة ٠٢

المسألة ٠٣

المسألة ٠٤

ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالي، لكن لا يجب تقليدهما
هل تشيع الغزالي في آخر عمره؟

النقد الذاتى قليل نادر فى علمائهم

السلطة القرشية تتبع اليهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل

تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى.. ترك الصلاة

اعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر و أبي بكر

بدأ نشاطهم بعد النبي واستمر إلى يومنا هذا

حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل

غيبوا الآيات الصريحة فى نقد الصحابة و ذمهم

لابد من ميزان لتقييم الصحابة

وضعوا أحاديث فى مدح الصحابة و عصمتهم

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة

نقد حديث: خير القرون قرنى

و معناه أن التاريخ الإسلامى يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال

الخط البيانى للأمة.. نزول ثم صعود

تخطيط الشراح فى حديث خير القرون قرنى

ردهم شهادات النبي فى انحراف الصحابة بعده

الامام مالك يعرض يديه ندما لروايته أحاديث الحوض

قرنوا الصحابة بالنبي فى الصلاة عليه من أجل عمر

من الذى حذف الصلاة على آل النبي؟! ومن أين جاء قولهم، أو عليه وآله صحبه و سلم؟

من الذى وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟

عصموا البخارى من أجل عصمة عمر

مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكمله جماعة المتوكل
 السر فى تبنيهم كتاب البخارى
 هل أن تبني البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟
 نظريه إجماع العوام بيد السلطه و رجال الدين
 إجماع العوام عن قبول شهادة الصحابه بحق أنفسهم
 إجماع العوام عن قبول إقرار بعض الصحابه بالمعصيه
 إجماع العوام عن قبول شهادة النبي لقاتل عمار بالنار
 ابن حنبل يقول: صحابى فى النار
 إجماع العوام عن قبول شهادة ثقه و أمين أسرار
 إجماع العوام لتغطيه مؤامرة خير القرون لقتل النبي
 إجماع العوام لتغطيه اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبينهم
 إجماع العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا
 من أساليبهم فى إجماع العوام
 تميع الحقائق و حلف الإيمان
 تعليم العوام إنكار الحقائق نهارا جهارا
 إجماع أطفال المسلمين بتربيتهم على عصمه عمر
 إجماع العوام باستخدام وسائل الإعلام
 العصمه والمعصومون فى القرآن
 المعصومون ثمرة الوجود البشرى
 آيات العصمه فى القرآن
 آيات الإستخلاف
 لا يكون خليفة الله فى الأرض إلا معصوما
 تكريم بنى آدم لا يعنى استخلافهم لأنه تكريم تكوينى واقتضائى
 خلفاء الله فى الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاما
 تعليم آدم الأسماء دليل على عصمه خلفاء الله تعالى
 آيات الإصطفاء الإلهى
 آيات الإصطفاء الإلهى
 معنى الإصطفاء و أنواعه
 تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين
 الآيه من متشابهات القرآن
 القرطبي يرفض التفسير الرسمى
 تفسير أهل البيت
 اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجته

ابناء فاطمة و أتباع أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب
الظالم لنفسه درجات متفاوتة
رأى علماء الشيعة
بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب
اهم الإشكالات على التفسير الحكومى
التوريث الإلهى للكتاب مقام عظيم
آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهى
اخلاص الدين لله تعالى
دعاء الله بانقطاع و إخلاص
المخلصون المستخلصون
المخلصون ناجون من الضلال والهلاك
المخلصون مقربون من الله و ليسوا أبناءه
المخلصون ناجون من العذاب مكرمون فى الجنة
يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم
معنى الإخلاص والمخلص
دلالة الإستخلاص الإلهى على العصمة
آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص
آيات نفى سلطان الشيطان على المخلصين
وجه دلالتها على العصمة
الحكمة من نزول آيات متشابهة فى عصمة الأنبياء
معجزة الجغرافية القرآنية
العصمة و قاعدة اللطف
معنى العصمة فى القرآن واللغة والحديث
من تعريفات المتكلمين للعصمة
قاعدة اللطف الإلهى التى استدلت بها علماءنا على العصمة
قاعدة اللطف عقلية و شرعية
اللطف الإلهى فى القرآن
اللطف فى أحاديث النبى و آله
من كلمات علمائنا فى قاعدة اللطف
رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف فى الفقه
ضرر الإغراق فى التأصيل بقاعدة اللطف
كيف يلطف الله تعالى بالمعصوم
درجات العصمة واللطف بالمعصومين

عصمة نبينا وآله أرقى أنواع العصمة

النبي و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد

درجة شيعه النبي وآله في أحاديث الطرفين

زيادة رزين العبدري عن أبي داود

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد، فإن عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من العقائد المركزية في الأديان الإلهية، وقد اهتم بها علماء المسلمين، خاصة علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبحثوا مسائلها بإجمال وتفصيل، وسلخوا المنهج الكلامي الذي يغلب عليه الطابع العقلي، أو المنهج الحديثي الذي يغلب عليه الطابع النقلی، وإن كانت عملية الاستدلال عملية عقلية دائماً، لأنها ترتب مقدمات للانتقال بها إلى نتيجة سواء كانت مقدماتها عقلية أو نقلية، أو مركبة.

وقد اخترنا لسلسلة العقائد الإسلامية المنهج الحديثي المقارن، وتوسعنا في هذا المجلد في بحثين من بحوث العصمة:

الأول: العصمة في القرآن، فبحثنا طوائف من الآيات الكريمة لا يمكن تفسيرها إلا بالمعصومين من الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام.

والثاني: مقارنة عقيدة العصمة بين الإسلام واليهودية، لبيان دور اليهود في تخريب عقيدة عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأثير المسلمين بهم! فاليهود هم الذين فتحو باب التنقيص من مقام الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وطوّّلوا ألسنتهم عليهم، واتهموهم بارتكاب أخطاء ومعاصي وأفعال مشينة، حتى الكفر بالله تعالى!

ومن المؤسف أن النصارى تبعوهم في ذلك، ولم يستثنوا إلا نبي الله عيسى عليه السلام فقط. ثم تبعهم جمهور المسلمين فاستوردوا منهم أكثر اتهاماتهم للأنبياء عليهم السلام وافتراءاتهم عليهم، وكان السبب الأكبر في ذلك أن الخلافة القرشية قامت على سياسة منع المسلمين من التحديث بأحاديث نبيهم صلى الله عليه وآله، وقرّبت عدداً من حاخامات اليهود وقساوسة النصارى، وأطلقت ألسنتهم في نشر ثقافتهم بين المسلمين فنشروها باسم الإسلام، وغرسوا في أذهان المسلمين التصور اليهودي للظالم للأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ودخل كل ذلك في كتب الصحاح والتفسير والسير، وورث ذلك أجيال المسلمين على أنه حقائق دينية!

ولولا وقوف أهل البيت عليهم السلام وعلماء مذهبهم في مقابل موجة الثقافة اليهودية، لاتسعت زاوية الإنحراف، وتضاعف الإفتراء على الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، بل على الله نفسه تبارك وتعالى، ولم يبق من يعتقد بعصمة الله وأوليائه، ويدفع عنهم افتراءات اليهود والتمهوكين!

إن النص التالي يصور لنا عمق الفاجعة التي حلت بثقافة الأمة الإسلامية من تبنى السلطة القرشية للإسرائيليات، ويكشف نوع عمل الأئمة عليهم السلام في معالجتها:

قال الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٧٠: (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رض) والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا القاسم بن محمد البرمكي قال: حدثنا أبو الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر المقالات، فلم يبق أحد إلا وقد أزمه حجته كأنه ألقى حجراً، قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمة

الأنبياء عليهم السلام؟ قال عليه السلام: نعم. قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. (طه: ١٢١)، وفي قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ. (الأنبياء: ٨٧) وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا. (يوسف: ٢٤). وفي قوله عز وجل في داود: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إِنَّمَا فَتَنَّاهُ. (ص: ٢٤)، وقوله تعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. (الأحزاب: ٣٧)

فقال الرضا عليه السلام: ويحك يا على إتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله عليهم السلام الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله عز وجل قد قال: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ. (آل عمران: ٧). أما قوله عز وجل في آدم: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (طه: ١٢١)، فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لافى الأرض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض لستم مقادير أمر الله، فلما أهبطه إلى الأرض وجعله حجة وخليفة عصمه بقوله عز وجل: أَنْ اللَّهُ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. (آل عمران: ٣٣) وأما قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ. إنما ظن بمعنى استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عز وجل: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ. (الفجر: ١٦) أى ضيق عليه رزقه، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عز وجل في يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فإنها همت بالمعصية وهم يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. (يوسف: ٢٤) يعنى القتل والزنا. وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال على بن محمد بن الجهم: يقولون إن داود عليه السلام كان في محرابه يصلى فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون الطيور، فقطع داود صلواته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار، فخرج الطير إلى السطح، فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود في أثر الطير بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها، وقد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا إمام التابوت، فقدم فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانياً أن قدمه إمام التابوت فقدم فقتل أوريا، فتزوج داود بامرأته!

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله عليهم السلام الى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة ثم بالقتل! فقال: يا بن رسول الله فما كان خطيئته؟

فقال: ويحك! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب، فقالا: خَصِمَ مَنِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ، (صاد: ٢٢-٢٤) فعجل داود على المدعى عليه فقال: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ، ولم يسأل المدعى البيئته على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئته رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه! ألا تسمع الله عز وجل يقول: يَا دَاوُدُ أَنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. (صاد: ٢٤).

فقال: يا بن رسول الله فما قصته مع أوريا؟

فقال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلمها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلمها كان داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه، فذلك الذى شق على الناس من قبل أوريا.

وأما محمد صلى الله عليه وآله وقول الله عز وجل: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ

تَخْشَاهُ. (الأحزاب: ٣٧) فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش، وهى يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى إسمها فى نفسه ولم يبد له لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال فى امرأة فى بيت رجل أنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشى قول المنافقين، فقال الله عز وجل: وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ، يعنى فى نفسك. وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. (الأحزاب: ٣٧) وفاطمه من على عليهما السلام.

قال: فبكى على بن محمد بن الجهم وقال: يا بن رسول الله: أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق فى أنبياء الله عليهم السلام بعد يومى إلا بما ذكرته). انتهى.

لذلك ركزنا البحث على كشف الجذور التاريخية للشبهات والإفترقات على عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، خاصة ما يتعلق بعصمة نبينا صلى الله عليه وآله، ثم على بحث الأصل القرآنى لعقيدة العصمة، وقاعدة اللطف. والله تعالى ولى التوفيق.

حرره بقم المشرفة فى الثانى والعشرين من رجب الخير ١٤٢٣

على الكورانى العالمى

عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى و نفى العصمة أنبيائه

لماذا يحسد اليهود الشعوب التى عندها مقدسات

لا تتعجب إذا رأيت اليهودى عنده عقدة من كل ما هو مقدس عند الشعوب!

فقد ورث من أجداده التطاول على قداسة الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام، فهم أول من فتح باب الجراءة على الله وأنبيائه عليهم السلام، مع أن كل مايزعمونه لأنفسهم من مكانة وامتياز على الشعوب، مبنى على أنهم شعب الله المختار وأتباع أنبيائه عليهم السلام!

وبهذا تفهم سبب نشاطهم فى تخريب مقدسات الأديان الأخرى، لأن الذى يخرب مقدساته، ويجعل معبوده جاهلاً، متعصباً، فظاً، غليظاً، ظالماً، ويجعل أنبياء الله عليهم السلام أنانيين، شهوانيين، خونة! لا يطيق أن يكون للآخرين إله حكيماً، عادلاً، لا يظلم مخلوقاً مثقال ذرة. وأن يكون لهم أنبياء أطهار، معصومون فى كل حياتهم، وجميع أعمالهم، متزهون عن المعاصى والنقائص!

وقد نجح اليهود فى تخريب مقدسات المسيحيين وعقيدتهم، ونفذوا إلى جهازهم الكنىسى ونشروا فيه الفساد، وأسقطوا مقام القساوسة عند الناس!

وقد أخبرنى مستشار ثقافى فى مؤسسه اليونسكو أن اليهود هم الذين يقفون وراء طرح التحلل من الدين والمقدسات، الذى ينادى به مثقفون (مسيحيون) ويكتبون مقالات يطالبون فيها البابا والفاثيكان: نريد ديناً بلا محرقات!

وها نحن نرى سعيهم الحثيث لتخريب مقدسات المسلمين، بكل الوسائل!

لم يكن اليهود موحدين حتى فى عصور أنبيائهم

لم يكن جمهور اليهود مخلصاً لتوحيد الله تعالى حتى فى عصور أنبيائهم عليهم السلام، رغم تبجحهم بأنهم هم الموحدون، وأنهم أبناء نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وآله، الذى قاوم عبادة الأوثان وأرسى أسس التوحيد، هذا إن صحت أنسابهم إليه!

ومن أوضح الأدلة على ذلك أنهم بعد أن رأوا المعجزة على يد موسى عليه السلام، وشقَّ الله لهم البحر وجعله طريقاً ييساً، وعبروا فيه ونجوا من فرعون وجنوده.. قابلوا هذه المعجزة الكبرى بفكرهم الوثنى، وطالبوا موسى عليه السلام أن يتخذ لهم إلهاً عاجلاً ليعبدوه!

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا مَثْبُورٌ مِمَّا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أُنْبِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (الأعراف: ١٣٨-١٤٠) (ويظهر أن سكوتهم يومها كان خوفاً من موسى عليه السلام! فأول ما سنحت لهم الفرصة في غيابه، صنعوا عجلاً ذهبياً واتخذوه إلهاً! واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خواراً ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين. ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَضَعِفُونِي وَكَادُوا يُقْتُلُونِي فَلَا تُشِمْتُ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. أَنْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا أَنْ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعْفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ.

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذتَهُمُ الرَّجْمَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَابْنُ آدَمَ وَابْنُ حَاوَةَ وَإِنَّا فَاغِرُونَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ أَنَا هُدًى إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (الأعراف: ١٤٨-١٥٧)

وقال تعالى: وَإِذْ وَاوَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. (البقرة: ٥١-٥٦)

فاليهود لم يخلصوا في تاريخهم لتوحيد الله تعالى فكيف يخلصون لأنبيائه؟! ولهذا أجاب أمير المؤمنين عليه السلام يهودياً عندما سأله: (ما دفتم نبيكم حتى اختلفتم فيه! فقال له عليه السلام: إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ماجفت أرجلكم من البحر حتى قلت لنبينا: اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة قال إنكم قوم تجهلون). (نهج البلاغة: ٤/٧٥، وأمالى المرتضى: ١/١٩٨، والعرائس للشعالبي: ١١٣).

الاحاد الصريح في اليهود الماضين والمعاصرين

شهد المؤرخ الغربي ول ديورانت في قصة الحضارة (٢/٣٣٨) وغيره، بأن عبادة العجل الذهبي استمرت في بني إسرائيل في زمن نبي الله موسى عليه السلام الى ما بعد سليمان عليه السلام، حيث استبدلوا العجل بأصنام أخرى!! وقد أوردنا في المجلد الثاني من العقائد الإسلامية ص ١٧٧، نصوصاً من توراتهم وإنجيلهم تدل على تأصل المادية والوثنية في تفكيرهم!

قال الدكتور الشلبي في مقارنته الأديان: ١/١٩٢: (على أن مسألة الألوهية كلها، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد، لم تكن عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعي في الحياة من أكثر ما يشغلهم، وإذا تخطينا عدة قرون، فإننا نجد الفكر اليهودي الحديث يجعل لليهود رباً جديداً نفعياً كذلك، ذلك هو: تربة فلسطين وزهر برتقالها!

والذي يقرأ رواية (طوبى للخائفين) للكاتبة اليهودية يائيل ديان، ابنة القائد الصهيوني العسكري موشى ديان، يجد أحد

أبطالها(إيفرى)ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة، وأن يحول اهتمامه لإلهه الجديد: تراب فلسطين! ونقتبس فيما يلي سطوراً من هذه الرواية:

...الصبي يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق قال له: أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها، كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى، أما الآن فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض، أنت الآن إسرائيلى ولست مجرد يهودى، إنى قد تركت فى روسيا كل شئ، ملابسى ومتاعى وأقاربنى وإلهى، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال. إلا تحس بذلك؟.... وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه وقال له: إمسك هذا التراب، إقبض عليه، تحسسسه تذوقه، هذا هو ربك الوحيد، إذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا، هذا هو المهم: إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد!!

وقال أيضاً: ١/٢٤٧: (ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة، وسن له شريعته لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر فى نفسه، وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئته بقتله أوريا واتصاله بامرأته، لأن الله هو السبب فى كل ذلك!!). (التلمود شريعة إسرائيل ص ١٧).

افتراء اليهود على الله تعالى و نفيهم عنه العلم والعدل

مضافاً إلى فريتهم الكبرى على الله تعالى بأنه جسم متجسد فى عجل، من حجر أو ذهب، أو متجسد بصورة إنسان كبير السن، كما فى توراتهم طبعه مجمع الكنائس الشرقية(ص ٤فقرة ٢٧) قد وصفوا الله تعالى بصفات لاتناسب الإنسان العادى، فضلاً عن رب العالمين الذى ليس كمثل شئ، عز وجل:

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق

جاء فى ص ٦ من توراتهم: (٨. وسمعاً صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاخْتَبَأَ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة. ٩. فنَادَى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. ١٠. فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاخْتَبَأْتُ. ١١. فقال من أعلمك إنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها. ١٢. فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتني من الشجرة فأكلت).!!

و وصفوه بالطيش والغضب والظلم

قال الدكتور شلبى فى تاريخ الأديان: ١/٢٤٧: (يروى التلمود أن الله ندم لِمَا أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى!! وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة).

وقال ابن حزم فى الفصل: ١/٢٢٢: (ونقل فى توراتهم وكتب الأنبياء بأن رجلاً اسمه إسماعيل كان أثر خراب البيت المقدس، سمع الله يئن كما تنن الحمامة ويكي وهو يقول: الويل الويل لمن أخرب بيته....وَيْلَى على ما أخربت من بيتى! وَيلى على ما فرقت من بنى وبناتى)!!

و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره

في التوراة والإنجيل ص ٩٩: (٢٣. وبعد مرور حقبة طويلة مات ملك مصر وارتفع أنين بنى إسرائيل وصراخهم من وطأة العبودية، وصعد إلى الله. ٢٤. فأصغى الله إلى أنينهم، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب. ٢٥. ونظر الله إلى بنى إسرائيل. (ورق لحالهم).

و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه

قال ابن حزم في الفصل: ١ جزء ١/١٤١: (ذكر في هذا المكان (من التوراة) أن يعقوب صارع الله عز وجل.... حتى قالوا أن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب! وفيه أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهةً وسلمت عليه!)

و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادي يسكن في السماء

في ٥٧٩/ من توراتهم: (١٨. فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط أما قلت لك أنه لا يتبأ على خيراً بل شراً. ١٩. وقال فاسمع إذا كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. ٢٠. فقال الرب من يغوى أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد. فقال: هذا هكذا، وقال: ذاك هكذا).

و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالتقطط

جاء في توراتهم طبعة مجمع الكنائس الشرقية ص ٣٩٩: (١. بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلاً إصعد إلى هنا فأريك ما لا يد أن يصير بعد هذا. ٢. وللوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس. ٣. وكان الجالس في المنظر شبه حجر الشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد. ٤. وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً، ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسرلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ٥. ومن العرش يخرج بروق وعود وأصوات، وإمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله!!)

من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم**افتروا على إبراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان**

في قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٦: (وقد أدرك إبراهيم بالوحي والإلهام وجود إله واحد أبدى خالق السموات والأرض، وسيد الكون. (تك ١٨: ١٩)

وكان إيمان إبراهيم جديداً بالنسبة لأور التي كان يقيم فيها، حيث كانت مركز عبادة القمر، بل أن أبا إبراهيم نفسه كان يخدم آلهة أور الوثنية (يش ٢: ٢٤).

لذلك هاجر إبراهيم من أور نحو بلاد كنعان حوالي أواخر القرن العشرين قبل الميلاد).

و اتهموا إبراهيم بأنه تزوج سارة و هي أخته

في قاموس الكتاب المقدس ص ٩: (وقد عاش إبراهيم الجزء الأول من حياته مع أبيه وإخوته في أور الكلدانيين، وقد تزوج من سارى وكانت أخته بنت أبيه وليست بنت أمه، كما نعرف ذلك من تك ٢٠: ١٢).

و اتهموه بأنه كذب على الحاكم القبلي بأن سارة أخته

في التوراة والإنجيل ص ٢١ (موقع ١٤): (arabicbible). ولما اقترب أبرام من مصر استرعى جمال ساراى أنظار المصريين، وشاهدها أيضاً رؤساء فرعون فأشادوا بها أمامه. ١٥. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. ١٦. فأحسن إلى أبرام بسببها وأجزل له العطاء من الغنم والبقر والحمير والعييد والإماء والأتن والجمال. ١٧. ولكن الرب ابتلى فرعون وأهله ببلايا عظيمة بسبب ساراى زوجة أبرام. ١٨. فاستدعى فرعون أبرام وسأله ماذا فعلت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها زوجتك؟ ١٩. ولماذا ادعت أنها أختك حتى أخذتها لتكون زوجة لى؟ والآن ها هي زوجتك، خذها وامض في طريقك. ٢٠. وأوصى فرعون رجاله بأبرام فشيعوه وامراته، وكل ما كان يملك).

وفي التوراة والإنجيل ص ٣٣: (١). وارتحل إبراهيم من هناك إلى أرض النقب وأقام بين قادش وشور وتغرب، في جرار. ٢. وهناك قال إبراهيم عن سارة زوجته هي أختي. فأرسل أيمالك ملك جرار وأحضر سارة إليه. ٣. ولكن الله تجلى لأيمالك في حلم في الليل وقال له: إنك ستموت بسبب المرأة التي أخذتها، فإنها متزوجة. ٤. ولم يكن أيمالك قد مسها بعد، فقال للرب: أتميت أمه بريئة؟ ٥. ألم يقل لى أنها أختي وهي نفسها ادعت أنه أخوها؟ ما فعلت هذا إلا بسلامة قلبى وطهاره يدي. ٦. فأجاب الرب: أنا أيضاً علمت إنك بسلامة قلبك قد فعلت هذا، وأنا أيضاً منعتك من أن تخطئى إلى ولم أدعك تمسها. ٧. والآن رُدَّ للرجل زوجته فإنه نبي، فيصلى من أجلك فتحيا، وإن لم تردها فإنك وكل من لك حتماً تموتون).

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ١٠: (فارتحل من هناك إلى مصر) (تك ١٢: ١٠) وهناك خوفاً على حياته، ذكر لفرعون أن ساراى أخته دون أن يذكر أنها زوجته (تك ١٢: ١١-٢٠) ومن عند بلوطات ممرات انتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب وهناك أرسل أيمالك ملك جرار وأخذ سارة لأن إبراهيم قال أنها أختي ولكن الرب ظهر لأيمالك في حلم ولم يدعه يمسه، ولما عاقبه الرب على أخذه سارة ردها إلى إبراهيم. وصلى إبراهيم لأجله ولأجل بيته فرفع الرب العقاب عنه (تك ٢٠). إلا أنه أظهر ضعفاً مرتين عندما لم يقل الحق كله في ذكر علاقته سارة زوجته به! (تك ١٢: ١٨ و ٢٠: ١١).

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٣: (سارة: إسم عبرى معناها: أميرة، وهي زوجة إبراهيم، وكانت فى الأصل تدعى ساراى. تزوجت سارة من إبراهيم فى أور الكلدانيين وكانت أصغر منه بعشر سنوات (تكوين ١١: ٢٩-٣١ و ١٧: ١٧). وعندما خرج إبراهيم من حاران كان عمر سارة ٦٥ سنة (تكوين ١٢: ٤) ولكنها كانت جميلة بالرغم مما بلغت من العمر، وكانت محتفظة بقوتها وبشبابها. وبعد مغادرة حاران وقبل النزول إلى مصر، تحدث إبراهيم مع سارة وطلب منها أن تخفى أنها زوجته وتقول أنها أخته، وقد كانت بالفعل أخته ابنة أبيه ليست ابنة أمه! (تك ٢٠: ١٢). وكان سبب طلب إبراهيم ذلك خوفاً من أن جمال سارة يلفت نظر المصريين إليها، فيقتلونه ويأخذونها، وأطاعت سارة زوجها، فأخذها ملك مصر، ولكن الله منعه من الإقتراب إليها. ووبخ فرعون زوجها عندما أعلن له الله الأمر. وبعد عدة سنين سكن إبراهيم فى جرار وقال عن سارة أنها أخته، فطلب أيمالك أن يتزوج منها، ربما لغرض إيجاد تحالف مع الأمير البدوى القوى. وهنا أيضاً منع الله أيمالك من الإساءة إلى سارة!) (تكوين ٢٠: ١-١٨).

أما الرواية الصحيحة للقصة فهى فى مصادر أهل البيت عليهم السلام فى الكافى: ٨/٣٧٠: (على بن إبراهيم، عن أبيه، وعده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن أبى زياد الكرخى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثرى ربا، وكان أبوه من أهلها، وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة - وفى نسخة رقيه - أختين وهما ابنتان للاحج، وكان للاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولاً، وكان إبراهيم عليه السلام فى شببته على الفطرة التى فطر الله عز وجل الخلق عليها، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتبه، وأنه تزوج سارة ابنة للاحج وهى ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه، وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثرى ربا رجل أحسن حالاً منه.

وإن إبراهيم عليه السلام لما كسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثقه وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النار، ثم قذف

إبراهيم عليه السلام في النار لتحرقة، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار، ثم أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه، فأخبر نمرود خبره، فأمرهم أن ينفوا إبراهيم عليه السلام من بلاده، وإن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجَّهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم! واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم، وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم! فأخبر بذلك نمرود، فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله، وأن يخرجوه، وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بالهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه وسارة، وقال لهم: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينِ، يعني بيت المقدس، فتحمل إبراهيم عليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليها الأغلاق غيراً منه عليها، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر ليعشّر ما معه، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت، قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: إفتح هذا التابوت حتى نُعشّر ما فيه، فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عُشره ولا نفتح، قال: فأبى العاشر إلا فتحه، قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت، فأتوا ليذهبوا به فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إني لست أفارق التابوت حتى تفارق روعي جسدي، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقال له الملك: إفتح التابوت، فقال إبراهيم عليه السلام: أيها الملك إني فيه حرمتي وابنة خالتي، وأنا مفتدٍ ففتحهُ بجميع ما معي!

قال: فغضب الملك وأجبر إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مد يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيراً منه، وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه! فقال له الملك: أن إلهك الذي فعل بي هذا؟ فقال له: نعم، أن إلهي غيور يكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام! فقال له الملك: فادع إلهك يرد عليّ يدي فإن أجابك لم أعرض لها، فقال: إبراهيم عليه السلام: إلهي رُدَّ عليه يده ليكيف عن حرمتي: قال: فردَّ الله عز وجل عليه يده، فأقبل الملك نحوها ببصره ثم أعاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيراً منه وقال: اللهم احبس يده عنها، قال: فبيست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: أن إلهك لغيور وإنك لغيور، فادع إلهك يرد عليّ يدي فإنه أن فعل لم أعد، فقال له إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألني أن أسأله، فقال الملك: نعم، فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم إن كان صادقاً فردَّ عليه يده، فرجعت إليه يده! فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده، عظّم إبراهيم عليه السلام وهابته وأكرمه واتقاه وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها، أو لشيء مما معك فانطلق حيث شئت ولكن لي إليك حاجة، فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي؟ فقال له: أحب أن تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً، قال: فأذن له إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة، وهي هاجر أم إسماعيل عليه السلام، فسار إبراهيم عليه السلام بجميع مامعه وخرج الملك معه يمشى خلف إبراهيم عليه السلام إعظاماً لإبراهيم عليه السلام وهيبته له، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا تمش قدام الجبار المتسلط ويمشى هو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه فإنه مسلط، ولا بد من إمرة في الأرض بزة أو فاجرة، فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك: إمض فإن إلهي أوحى إليّ الساعة أن أعظمك وأهابك وأن أقدمك أمامي وأمشى خلفك إجلالاً لك، فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم، فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حلیم كريم، وأنتك ترغبنی فی دینک، قال: وودعه الملك فسار إبراهيم عليه السلام حتى نزل بأعلى الشامات، وخلف

لوط في أدنى الشامات. ثم إن إبراهيم عليه السلام لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعثني هاجر لعل الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً، فابتاع إبراهيم عليه السلام هاجر من سارة، فوقع عليها فولدت إسماعيل عليه السلام).

و اتهموا نبي الله إسحاق بنفس التهمة

في التوراة صفحة ٤٦: (٦. فأقام إسحق في مدينة جرار. ٧. وعندما سأله أهل المدينة عن زوجته قال: هي أختي، لأنه خاف أن يقول: هي زوجتي لئلا يقتله أهل المدينة من أجل رفقته، لأنها كانت رائعتة الجمال. ٨. وحدث بعد أن طال مكوثه هناك، أن أئيمالك ملك الفلسطينيين أطل من النافذة، فشهد إسحق يداعب امرأته رفقته. ٩. فاستدعاه إليه وقال: إنها بالحقيقة زوجتك، فكيف قلت هي أختي؟ فأجاب إسحق: لأنني قلت لعلني أقتل بسببها. ١٠. فقال أئيمالك: ما هذا الذي فعلت بنا؟ لقد كان يسيراً على أي واحد من الشعب أن يضطجع مع زوجتك فتجلب بذلك علينا إثمًا. ١١. وأنذر أئيمالك كل الشعب قائلاً: كل من يمس هذا الرجل أو زوجته فحتمًا يموت).

و اتهموا إبراهيم وبقية الأنبياء بأنهم كانوا يشربون الخمر

في قاموس الكتاب المقدس ص ٧٧٦: وقد أتقن القدماء الإعتناء بالكروم ووضع ملكي صادق خبزاً وخمراً إمام أبرام. (تك ١٤: ١٨) وشرب لوط خمراً. (تك ١٩: ٣٣).

وأحضر يعقوب خمراً لإسحاق. (تك ٢٧: ٢٥)

وتنبأ يعقوب قبل موته بأن يهوذا يشتهر بتربية الكرم. (تك ٤٩: ١٢).

وكان أولاد أيوب يشربون الخمر. (أي ١: ١٨)

وندد صاحب الأمثال بمن يدمن الخمر. (أم ٢٣: ٣٠ و ٣١)

وكذلك إشعياء النبي. (اش ٥: ١١)!!

و زعموا أن لوطا سكن في سدوم اختلافاً مع إبراهيم

في التوراة والإنجيل ص ٢٢ (موقع ٥): (arabicbible). وكان للوط المرافق لأبرام غنم وبقر وخيام أيضاً. ٦. فضاقت بهما الأرض لكثرة أملاكهما، فلم يقدر أن يسكنا معاً. ٧. ونشب نزاع بين رعاة مواشى أبرام ورعاة مواشى لوط، في الوقت الذي كان فيه الكنعانيون والفرزيون يقيمون في الأرض. ٨. فقال أبرام للوط: لا يمكن نزاع بيني وبينك، ولا بين رعائتي ورعاتك لأننا نحن أخوان. ٩. أليست الأرض كلها أمامك؟ فاعتزل عني. أن اتجهت شمالاً، أتجه أنا يميناً، وإن تحولت يميناً، أتحول أنا شمالاً).

و نسبوا إلى سارة رضى الله عنها الظلم والقسوة

في التوراة والإنجيل ص ٢٦: (٤. فعاش هاجر فجلت منه. ولما أدركت أنها حامل هانت مولاتها في عينيها، ٥. فقالت ساراى لأبرام: ليقع ظلمي عليك، فأنا قد زوجتك من جاريتي، وحين أدركت أنها حامل هنت في عينيها. ليقض الرب بيني وبينك. ٦. فأجابها أبرام: ها هي جاريتك تحت تصرفك، فافعل بها ما يحلو لك. فأذلتها ساراى حتى هربت منها).

وفي التوراة ص ٣٦: (٩. ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحق. ١٠. فقالت لإبراهيم: أطرده هذه الجارية وابنها، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحق. ١١. فقبح هذا القول في نفس إبراهيم من أجل ابنه. ١٢. فقال الله له: لا يسوء في نفسك أمر الصبي أو أمر جاريتك، واسمع لكلام سارة في كل ما تشير به عليك لأنه بإسحق يدعى لك نسل. ١٣. وسأقيم من

ابن الجارية أمّة أيضاً لأنه من ذريتك. ١٤. فنهض إبراهيم في الصباح الباكر وأخذ خبزاً وقربه ماء ودفعهما إلى هاجر، ووضعهما على كتفيها، ثم صرفها مع الصبي، فهامت على وجهها في بركة بئر سبع. ١٥. وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبي تحت إحدى الأشجار. ١٦. ومضت وجلست مقابله، على بعد نحو مئة متر، لأنها قالت: لا أشهد موت الصبي. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. ١٧. وسمع الله بكاء الصبي، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما الذي يزعجك يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى. ١٨. قومي واحملي الصبي، وتشبثي به لأنني سأجعله أمّة عظيمة. ١٩. ثم فتح عينها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي. ٢٠. وكان الله مع الصبي فكبر، وسكن في صحراء فاران وبرع في رمي القوس. ٢١. واتخذت له أمه زوجة من مصر).

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٤: (وقد تكلم الرسول بولس عن هاجر وولادتها حسب الجسد ابناً للعبودية! ووصف المؤمنين بالمسيح بأنهم كأولاد الحرة يرثون مع الأب وميلادهم (الثاني) بالموعد مثل إسحاق ابن إبراهيم (غل ٤: ٢١-٣١). وقد جاء في معظم التقاليد أن العرب هم ذرية إسماعيل).

واتهموا إبراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر وابنها إسماعيل

في قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٣: (وعندما بلغت سارة سن ٨٩ جاءها الموعد بميلاد إسحق، الذي ولدته بعد سنة. وغيّر الله إسم ساراى إلى سارة في ذلك الوقت- وقت الموعد). (تك ١٧: ١٥ - ٢٢ و ١٨: ٩ - ١٥ و ٢١: ١ - ٥).

وعندما فطم إسحاق أقام والده وليمة عظيمة... ولاحظت سارة أن إسماعيل يمزح، وقد قيل أنه كان يصب ساهمه على إسحاق مهدداً بقتله من باب التخويف، فطلبت سارة من إبراهيم أن يطرد الجارية مع ابنها! وقد ظن البعض أن ذلك كان قساوة وشرّاً من سارة، غير أن البعض الآخر يعتقد أن سارة لم تطلب طرد هاجر إلا إلى الخيام الأخرى لإبراهيم والتي كان يقيم فيها عبيده الآخرون، أى أن سارة منعت الجارية وابنها من السكن في خيمة السيد، وجعلتها تأخذ مكانها كجارية فقط، واختلفت الآراء في سارة، ولكنها كانت في الحق مؤمنةً فاضله وزوجته أمينة وأما مثاليه. وقد ماتت سارة وهي في سن ١٢٧ سنة، بعد ولادة إسحاق بما يزيد على ٣٦ سنة، ودفنها إبراهيم في حقل المكفيلة الذي اشتراه لهذا الغرض).

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٧٣: (وقد حثت سارة إبراهيم أن يأخذ أمتها زوجة لكي يعقب منها نسلًا، لأن سارة كانت عاقراً (تك ١٦: ١ - ٤) وكان هذا النظام في الزواج معمولاً به في تلك الأزمنة. وقد دلت الاكتشافات على أنه كان موجوداً في (نوزي) بالقرب من كركوك في العراق. أما هذا العمل من ناحية سارة فمصدره ضعف الإيمان بمواعيد الرب لإبراهيم وسارة بأن يكون لهما ابن! وبعد أن حملت سارة نظرت إلى سيدتها باحتقار لأنها كانت عاقراً فطردها سيدتها، ولافاها ملاك الرب في الطريق وأمرها أن ترجع إلى سيدتها وإلى بيت إبراهيم، ووعدا بأنها ستلد ابناً تسميه إسماعيل، وأنه يكون أباً لجمهور من الناس، وأنه سيسكن البرية كحمار وحشى). (تك ١٦: ٥ - ١٤)

وبعد أن رجعت هاجر ولدت إسماعيل، لما كان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة وبعد أن كان له في أرض كنعان عشر سنين (تك ١٦: ٣ - ١٦). وقد ختن إسماعيل في الثالثة عشرة من عمره (تك ١٧: ٢٥) وهي السن التي يختن فيها الأولاد العرب في الوقت الحاضر.

وفي الوليمة التي أقيمت بمناسبة فطام إسحاق، سخر إسماعيل من أخيه الصغير وكان إسماعيل حينئذ قد بلغ السادسة عشرة من عمره. فألحّت سارة على إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها فطردهما (تك ٢١: ٨ - ١٤). فتاهت الأم وابنها في بركة بئر سبع في جنوب فلسطين، وكانا على وشك الهلاك من الظمأ. فأرى الله هاجر بئر ماء ووعدا ثانية بأن ابنها إسماعيل سيصير مصدر أمّة عظيمة. ومنذ ذلك الحين سكن إسماعيل في بركة فاران في جنوب فلسطين على حدود شبه جزيرة سيناء، وأصبح ماهراً في استعمال القوس. وأخذت له أمه زوجة من بلادها، من مصر (تك ٢١: ١٥ - ٢١) وولد له اثنا عشر ابناً الذين أصبحوا آباء القبائل العربية (أنظر إسماعيليين) وولد له

أيضاً ابنة اسمها محلة (تك ٢٨: ٩) أو بسمه (تك ٣٦: ٣) وقد تزوجها عيسو. وقد اشترك إسماعيل مع إسحاق في دفن أبيهما إبراهيم في مَمْرًا بالقرب من حبرون. (تك ٢٥: ٩). وقد مات إسماعيل بعد أن بلغ من العمر ١٣٧ سنة). (تك ٢٥: ١٧).

أما مصادرنا فتبرئ إبراهيم وعترته من الظلم والمعصية

ففي المحاسن: ٢/٣٣٧، عن الإمام الصادق عليه السلام: (إن إبراهيم عليه السلام لما خلف هاجر وإسماعيل بمكة عطش إسماعيل فبكى، فخرجت هاجر حتى علّت على الصفا وبالوادي أشجار فنادت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبه أحد، فانحدرت حتى علت على المروة، فنادت هل بالوادي من أنيس؟ فلم تزل تفعل ذلك حتى فعلته سبع مرات، فلما كانت السابعة هبط عليها جبرئيل عليه السلام فقال لها: أيتها المرأة من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم، قال لها: وإلى من خلفك؟ قالت: أما إذا قلت ذلك، لقد قلت له يا إبراهيم إلى من تخلفني ههنا؟ فقال: إلى الله عز وجل أخلفك، فقال لها جبرئيل عليه السلام: نعم ما خلفك إليه، ولقد وكلتك إلى كافٍ فارجمي إلى ولدك، فرجعت إلى البيت وقد انبعث زمزم والماء ظاهر يجري، فجمعت حوله التراب فحبسته! قال أبو عبد الله عليه السلام: ولو تركته لكان سيحاً!

ثم مرّ ركب من اليمن ولم يكونوا يدخلون مكة، فنظروا إلى الطير مقبله على مكة من كل فج، فقالوا: ما أقبلت الطير على مكة إلا وقد رأت الماء، فمالوا إلى مكة حتى أتوا موضع البيت، فنزلوا واستقوا من الماء وتزودوا منه ما يكفيهم وخلفوا عندهما من الزاد ما يكفيهما، فأجرى الله لهم بذلك رزقاً.

وروى محمد بن خلف، عن بعض أصحابه، قال: فكان الناس يمرون بمكة فيطعمونهم من الطعام، ويستقونهم من الماء). (والكافي: ٤/٢٠٢).

وفي الكافي: ٤/٢٠١: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما ولد إسماعيل حملة إبراهيم وأمه على حمار، وأقبل معه جبرئيل حتى وضعه في موضع الحجر ومعه شئ من زاد وسقاء فيه شئ من ماء، والبيت يومئذ ربوة حمراء من مَدْر فقال إبراهيم لجبرئيل عليهما السلام: ها هنا أمرت؟ قال: نعم، قال: ومكة يومئذ سلّم وسَمْر، وحول مكة يومئذ ناسٌ من العماليق).

وروى في الكافي: ٤/٢٠٢ عن الإمام الصادق عليه السلام رواية تختلف عن المشهور تذكر أن زمزم الأولى شحّت فحفرها إبراهيم عليه السلام، قال: (عن محمد بن يحيى، وأحمد بن إدريس، عن عيسى بن محمد بن أبي أيوب، عن علي بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن منصور، عن كلثوم بن عبد المؤمن الحراني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يحج ويحج إسماعيل معه ويسكنه الحرم، فحجّ على جمل أحمر وما معهما إلا جبرئيل عليه السلام، فلما بلغا الحرم قال له جبرئيل: يا إبراهيم إنزلا- فإغتسلا قبل أن تدخلوا الحرم، فنزلا- فإغتسلا، وأراهما كيف يتهيئان للإحرام ففعلا، ثم أمرهما فأهلا بالحج، وأمرهما بالتلبيات الأربع التي لبي بها المرسلون، ثم صار بهما إلى الصفا فنزلا وقام جبرئيل بينهما، واستقبل البيت فكبر الله وكبرا، وهلل الله وهللا، وحمد الله وحمدا، ومجّد الله ومجّدا، وأثنى عليه وفعلا مثل ذلك).

وتقدم جبرئيل وتقدما، يثنيان على الله عز وجل ويمجدانه، حتى انتهى بهما إلى موضع الحجر فاستلم جبرئيل الحجر وأمرهما أن يستلما، وطاف بهما أسبوعاً، ثم قام بهما في موضع مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين وصليا، ثم أراهما المناسك وما يعملان به. فلما قضيا مناسكهما أمر الله إبراهيم عليه السلام بالإنصراف وأقام إسماعيل وحده، ما معه أحد غير أمه، فلما كان من قابل أذن الله لإبراهيم عليه السلام في الحج وبناء الكعبة، وكانت العرب تحج إليه وإنما كان ردماً إلا أن قواعده معروفة، فلما صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة وطرحها في جوف الكعبة. فلما أذن الله له في البناء قدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا بنيّ قد أمرنا الله ببناء الكعبة، وكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر، فأوحى الله عز وجل إليه ضع بناءها عليه، وأنزل الله عز وجل أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة، فكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجارة والملائكة تناولهما، حتى تمت اثني عشر ذراعاً، وهيئاً له باباً

يدخل منه ويأبأ يخرج منه، ووضع عليه عتباً وشرجاً من حديد على أبوابه.

وكانت الكعبة عريانة فصدر إبراهيم وقد سوى البيت وأقام إسماعيل، فلما ورد عليه الناس نظر إلى امرأه من حَمِيرٍ أعجبه جمالها، فسأل الله عز وجل أن يزوجه إياه، وكان لها بعل فقضى الله على بعلها بالموت وأقامت بمكة حزناً على بعلها، فأسلى الله ذلك عنها، وزوجه إسماعيل.

وقدم إبراهيم الحج وكانت امرأه موفقة، وخرج إسماعيل إلى الطائف يمتار لأهله طعاماً، فنظرت إلى شيخٍ شعث، فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حال، فسألها عنه خاصة فأخبرته بحسن الدين، وسألها ممن أنت؟ فقالت: امرأه من حَمِيرٍ فسار إبراهيم ولم يلق إسماعيل، وقد كتب إبراهيم كتاباً فقال: إُدفعي هذا إلى بعلك، إذا أتى أن شاء الله، فقدم عليها إسماعيل فدفعت إليه الكتاب فقرأه فقال: أتدرين من هذا الشيخ؟ فقالت: لقد رأيته جميلاً فيه مشابهة منك، قال: ذاك إبراهيم فقالت: واسوءتاه منه فقال: ولم، نظر إلى شئ من محاسنك؟ فقالت: لا ولكن خفت أن أكون قد قصرت! وقالت له المرأة وكانت عاقلة: فهلا تعلق على هذين البابين ستري ستراً من ههنا وستراً من ههنا؟ فقال لها: نعم فعملاً لهما ستريين طولهما اثني عشر ذراعاً فعلقا هما على البابين فأعجبهما ذلك، فقالت: فهلاً أحوكُ للكعبة ثياباً فتسترها كلها فإن هذه الحجارة سمجة؟ فقال لها إسماعيل: بلى، فأسرعت في ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزلهم. قال أبو عبد الله عليه السلام: وإنما وقع استغزال النساء من ذلك بعضهن لبعض لذلك، قال: فأسرعت واستعانت في ذلك، فكلما فرغت من شقة علقها فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة، فقالت لإسماعيل: كيف نصنع بهذا الوجه الذي لم تدركه الكسوة، فكسوه خصفاً فجاء الموسم وجاءته العرب على حال ما كانت تأتيه، فنظروا إلى أمر أعجبهم، فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يهدي إليه، فمن تمَّ وقع الهدى، فأتى كل فخذ من العرب بشئٍ يحمله من ورق ومن أشياء غير ذلك، حتى اجتمع شئ كثير، فنزعوا ذلك الخصف وأتموا كسوة البيت وعلقوا عليها بايين.

وكانت الكعبة ليست بمسقفة، فوضع إسماعيل فيها أعمدة مثل هذه الأعمدة التي ترون من خشب، وسقفها إسماعيل بالجرائد وسواها بالطين، فجاءت العرب من الحول فدخلوا الكعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يزداد، فلما كان من قابل جاءه الهدى، فلم يدر إسماعيل كيف يصنع، فأوحى الله عز وجل إليه أن انحره وأطعمه الحاج.

قال: وشكا إسماعيل إلى إبراهيم قلة الماء، فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أن احتفر بئراً يكون منها شراب الحاج فنزل جبرئيل عليه السلام فاحتفر قليبهم يعني زمزم حتى ظهر ماؤها ثم قال جبرئيل عليه السلام: إنزل يا إبراهيم فنزل بعد جبرئيل فقال: يا إبراهيم إضرب في أربع زوايا البئر وقل بسم الله، قال فضرب إبراهيم عليه السلام في الزاوية التي تلى البيت وقال: بسم الله فانفجرت عين ثم ضرب في الزاوية الثانية وقال: بسم الله فانفجرت عين، ثم ضرب في الثالثة وقال: بسم الله فانفجرت عين، ثم ضرب في الرابعة وقال: بسم الله فانفجرت عين.

وقال له جبرئيل: إشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة، وخرج إبراهيم عليه السلام وجبرئيل جميعاً من البئر فقال له: أفض عليك يا إبراهيم، وطف حول البيت فهذه سقيا سقاها الله ولد إسماعيل، فسار إبراهيم وشيخه إسماعيل حتى خرج من الحرم، فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم). انتهى.

واتهموا نبي الله هارون و موسى بالشرك والمعاصي

في قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٥: (غير أن هارون أظهر ضعف إيمان في حالات كثيرة، وكان أولها لما تأخر موسى وهو على الجبل مع الرب. فقد ضج الشعب وارتد عن طاعة الله، وطلب إلى هارون أن يصنع له تماثيل آلهة ليعبدها. فصنع هارون عجل الذهب وبني له مذبحاً (خر/٣٢). ومع هذا غفر الله له خطأه، وأمر برسمه، هو وذريته، كهنة على بني إسرائيل. (خر ٤٠: ١٢ - ١٥). وبذلك تأسست الكهانة اللاوية، وأصبح هارون أول رئيس كهنة....

وكان الله كثير الإحسان لهارون بالرغم من أخطائه. وكانت آخر أخطائه أنه لم يقدر الرب إمام بنى إسرائيل، لا هو ولا موسى، فى أواخر رحلة بنى إسرائيل إلى فلسطين وحينما شعر الشعب بالظماً إمام قادش. فأمر الله بعقابهما، بمنعهما من دخول فلسطين، أى بموتهما قبل الوصول إليها (عد ٢٠: ١ - ١٣).

وغادر بنو إسرائيل قادش وأتوا إلى جبل هور، فأمر الرب موسى أن يأخذ هارون وابنه ألعازار، ويصعد بهما إلى الجبل وهناك يخلع ثياب هارون الكهنوتية ويلبسها لابنه. ولما نفذ هارون ذلك مات هارون، وانضم إلى آباءه وبكاه قومه ثلاثين يوماً (عد ٢٠: ٢٢ - ٢٩ و٣٣: ٣٧ - ٣٩ وتث ١٠: ٦).

وكان عمره عند وفاته مئة وثلاث وعشرين سنة. ولا يزال أثر المكان الذى مات فيه محفوظاً إلى اليوم على إحدى قمى جبل هور بالقرب من بتر. وسمى هارون (قدس الرب). (مز ١٠٦: ١٦).

وكان اليهود المتأخرون يحفظون ذكره بإكرام. وهم يصومون تذكراً له فى اليوم الأول من شهر آب. وظلت رئاسة الكهنوت عند العبرانيين فى بيت هارون إلى دمار أورشليم والهيكل فى سنة ٧٠م).

واتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة

فى التوراة والإنجيل ص ٤٧: (٢٧-١). ولما شاخ إسحق وضعف بصره استدعى ابنه الأكبر عيسو وقال له: يا بنى ٢. ها أنا قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتى. ٣. فالأن خذ عدتك: جعبتك وقوسك، وامض إلى البرية واقتنص لى صيداً. ٤. وجهاز لى طعاماً شهياً كما أحب واثنتى به لآكل، لتباركك نفسى قبل أن أموت. ٥. وسمعت رفقة حديث إسحق لابنه عيسو. فعندما انطلق عيسو إلى البرية ليصطاد صيداً ويأتى به. ٦. قالت رفقة لابنها يعقوب: سمعت أباك يقول لعيسو أخيك ٧. إقتنص لى صيداً، وجهاز لى أطمعه شهية لآكل وأباركك إمام الرب قبل موتى. ٨. والأذن يا بنى أطع قولى فى ما أمرك به، ٩. واذهب إلى قطع الماشية، واختر جديين لأجهاز لأبيك أطمعه شهية كما يحب! ١٠. تقدمها لأبيك لياكل، فيباركك قبل وفاته. ١١. فقال يعقوب لرفقة أمه: أخى عيسو رجل أشعر، وأنا رجل أملس. ١٢. وقد يجسنى أبى فيتبين خداعى، وأستجلب على نفسى لعنة لا بركة. ١٣. فقالت له أمه: لعنتك على بنى، فأطع قولى فقط، واذهب وأحضر الجديين لى. ١٤. فذهب واختارهما وأحضرهما لأمه، فأعدت رفقة الأطمعه المطيبة كما يحب أبوه ١٥. وتناولت ثياب بكرها عيسو الفاخرة الموجودة عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، ١٦. وكذلك غطت يديه وملاسه عنقه بجلد الجديين. ١٧. وأعطته ما أعدته من الأطمعه الشهية والخبز. ١٨. فأقبل على أبيه وقال: يا أبى. فأجابه: نعم يا ابنى من أنت؟ ١٩. فقال يعقوب: أنا عيسو بكرك. وقد فعلت كما طلبت، والأذن قم واجلس وكل من صيدى حتى تباركنى. ٢٠. فقال إسحق: كيف استطعت أن تجد صيداً بمثل هذه السرعة يا ولدى؟ فأجابه: لأن الرب إلهك قد يسر لى ذلك. ٢١. وقال إسحق: إقترب منى لأجسك يا ابنى لأرى أن كنت حقاً ابنى عيسو أم لا. ٢٢. فدنا يعقوب من أبيه إسحق فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب، أما اليدان فهما يدا عيسو. ٢٣. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى أخيه عيسو، فباركه!! ٢٤. وسأل: هل أنت ابنى عيسو؟ فأجاب: أنا هو. ٢٥. ثم قال: قدم لى من صيدك حتى آكل وأباركك. فأحضر يعقوب إليه الطعام فأكل ثم قدم له خمراً فشرب، ٢٦. فقال له إسحق أبوه: تعال وقبلنى يا ولدى. ٢٧. فاقترب منه وقبله، فتنسم رائحة ثيابه وباركه قائلاً: ها أن رائحة ابنى كرائحة حقل باركه الرب، ٢٨. فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيكثر لك الحنطة والخمر. ٢٩. لتخدمك الشعوب، وتسجد لك القبائل، لتكن سيداً على إخوتك. وبنو أمك لك ينحنون. وليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين.

٣٠. ولما فرغ إسحق من مباركة يعقوب، وخرج يعقوب من عند أبيه، رجع عيسو من صيده، ٣١. فجهز هو أيضاً أطمعه طيبة وأحضرها إلى أبيه وقال: ليقيم أبى ويأكل من صيد ابنه فتباركنى نفسك. ٣٢. فقال إسحق: من أنت؟ فأجابه: أنا ابنك بكرك عيسو. ٣٣. فارتعد إسحق بعنف وقال: من هو إذا الذى اصطاد صيداً وأحضره لى فأكلت من الكل قبل أن تجى، وباركته؟ وحقاً يكون مباركاً. ٣٤. فما

أن سمع عيسو كلام أبيه حتى أطلق صرخة هائلة ومرة جداً وقال: باركني أنا أيضاً يا أبي. ٣٥. فأجاب: لقد مكر بي أخوك وسلب بركتك! ٣٦. فقال: ألم يدع اسمه يعقوب؟ لقد تعقبنى مرتين: أخذ بكوريتي، وها هو يسلبني الآن بركتي. ثم قال: أما احتفظت لي ببركة؟ ٣٧. فأجاب إسحق: لقد جعلته سيدياً لك، وصيرت جميع إخوته له خداماً، وبالحنطة والخمر أمددته. فماذا أفعل لك الآن يا ولدي؟ ٣٨. فقال عيسو: ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركني أنا أيضاً يا أبي. وأجهش عيسو بالبكاء بصوت عال. ٣٩. فأجابه أبوه: ها مسكنك يكون في أرض جدباء لا يهطل عليها ندى السماء. ٤٠. بسيفك تعيش ولأخيك تكون عبداً، ولكن حين تجمع تحطم نيره عن عنقك.

٤١. وحقق عيسو على يعقوب من أجل ما ناله من بركة أبيه. فناجى نفسه: قريباً يموت أبي، وبعدئذ أقتل أخى يعقوب. ٤٢. فبلغ رفقة وعيد عيسو ابنها الأكبر، فأرسلت واستدعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له: عيسو يخطط لقتلك. ٤٣. والأبن يا ابنى إصغ لقولى، وقم اهرب إلى أخى لابان إلى حاران، ٤٤. وامكث عنده أياماً قلائل ريثما يهدأ سخط أخيك. ٤٥. ومتى سكن غضبه ونسى ما صنعت به، عندئذ أبعث إليك لتعود من هنا!!

واتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان

في قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧: (٧: ٢٢). والختان من الشعائر المعروفة في اليهودية، وهو قطع لحم غرله كل ذكر ابن ثمانية أيام... وقد ختن إبراهيم وهو في التاسعة والتسعين وإسماعيل وهو في الثالثة عشرة. (تك ١٧: ١١ - ٢٧). ثم تجددت سنة الختان لموسى (لا ١٢: ٣) ففضى أن لا يأكل الفصح رجل أغرل. وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم في البرية. على أنه عند دخول الشعب أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من الصوان وختن الشعب كله). (يشوع ٥: ٢ - ٩).

وافتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى

في التوراة/٥٥٤: ٩. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين ١٠. وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب. ١١. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمييزاً وأعطيها لعدك). انتهى.

النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة

لهذا العمل اليهودى دلالات مهمة ونتائج خطيرة بل مهولة، فى عقائد اليهود وحياتهم، فى تعاملهم مع ربهم وأنبيائهم عليهم السلام، ومع الشعوب الأخرى!
فمنها: أنه يكشف سبب التعقيد فيهم، والذي تحول من صفة فى الشخص اليهودى المنحرف، إلى صفة فى الجماعة اليهودية كلها، إلا من عصم الله.

فإن كنت تعتقد أن رب العالمين خالق السماوات والأرضين، يعامل عباده بالغضب والظلم والإنتقام، ويفتقر إلى العلم المطلق، والحكمة المطلقة، والرحمة المطلقة.. فمن الطبيعى أن تتأصل فى نفسك الذاتية، وتشعر أنك موجودٌ فى مقابل خالقه، ليس المهم عنده عبادة ربه وطاعته وكسب فيض رحمته، بل المهم أن يستعمل الحيل مع ربه لحماية نفسه منه، وكسب ما يمكنه منه! وهذا هو التعقيد فى الشخصية فى أعماق حالاته!

وإذا كان رب العالمين معاذ الله كذلك، وكان الأنبياء عليهم السلام جماعة أنانيين شهوانيين، يسيئون استعمال السلطة والبركة التى

أعطاهم إياها! فماذا عسى أن يكون اليهودى العادى؟!!

ومنها: أنه يكشف منشأ نظرتهم الدونية إلى أنفسهم فضلاً عن غيرهم، فعقيدة أنهم شعب الله المختار لا تقلل من عقيدة الدونية! فما دام أنبياء هذا الشعب سيؤون ذميون، فصفت عامة الشعب أخط منها وأسوأ بكثير!

ومنها: أن نعرف سبب عقيدتهم بدونية الشعوب، فمن كانت هذه عقيدته إلى أنبيائه عليهم السلام ونفسه، فلا عجب أن تكون نظرتهم إلى بقية شعوب العالم بأنهم حمير خلقهم الله ليركبهم أبناء الشعب اليهودى؟!!

ومنها: أنه يكشف سبب حرصهم على نشر النظرة الدونية إلى الإنسان فى العالم، التى تزعم أن الإنسان حيوان يحركه الجنس لا أكثر! ولذا كان دارون وفرويد اليهوديان أبطالاً قوميين عند اليهود! لايتكارهما نظريات تساعد فى تركيز النظرة اليهودية فى ثقافة شعوب العالم!

ومنها: أنا بذلك نضع يدنا على فعالية أحبار يهود المدينة وخيبر والشام واليمن، ونابتغتهم كعب الأخبار، فى تخريب عقيدة المسلمين فى صفات الله تعالى والظعن فى عدالته، وفيهم لعصمة الأنبياء عليهم السلام، وخاصة نبينا صلى الله عليه وآله فإن أول هدف وأهمه عند اليهودى أن يجعلك مثله تنتقد الله تعالى ورسله، وتطول لسانك عليهم، فبذلك تقف معه على الطريق الذى يريده لك! راجع ماكتبناه فى (ألف سؤال وإشكال: ١/٤٨٥) عن دور كعب فى تخريب عقائد المسلمين وزرع اليأس فى نفوسهم من المستقبل، وزعمه حتمية انتهاء الإسلام وفناء أمته، وهدم الكعبة وخراب مكة، خراباً لا تسكن بعده أبداً!

امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة

نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة

امتاز الشيعة عن غيرهم من جميع مذاهب المسلمين وأهل الأديان الأخرى بأنهم يعتقدون بالعدالة الكاملة لله تعالى، والعصمة الكاملة للأنبياء وأوصيائه عليهم السلام وبنزھونهم عن جميع المعاصى والردائل، طوال أعمارهم الشريفة، قبل البعثة والإمامة وبعدها، سواء فى تبليغ الرسالة وعقائدها وأحكامها، أو فى غيره من سلوكهم الشخصى والعام.

وقد عزّف الإمام الصادق عليه السلام العصمة كما فى معانى الأخبار للصدوق: ص ١٣٢:

(حدثنا على بن الفضل بن العباس البغدادي بالرى المعروف بأبى الحسن الخنوطى، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن الحارث، قال: حدثنا محمد بن على بن خلف العطار قال: حدثنا حسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: أن الإمام لا يكون إلا معصوماً؟ فقال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم).

وفى معانى الأخبار ص ١٣٢: (حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقرئ قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر المقرئ الجرجانى قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن الموصلى ببغداد، قال: حدثنا محمد بن عاصم الطريفى، قال: حدثنا عباس بن يزيد بن الحسن الكحال مولى زيد بن على قال: حدثنى أبى قال: حدثنى موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين عليهم السلام قال: الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة فى ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلا منصوباً.

فقيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لايفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدى إلى القرآن والقرآن يهدى إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: "إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم."

وفى معانى الأخبار ص ١٣٢: (حدثنا محمد بن على ماجيلويه - رحمه الله - قال حدثنا على بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبى

عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام، فإنني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ فقال: نعم. فقلت: فما صفة العصمة فيه؟ وبأى شئ تعرف؟ فقال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منفية عنه لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين، فعلى ماذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد، فكيف يحسد من هو دونه؟ ولا يجوز أن يغضب لشئ من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل، فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل، ولا يجوز له أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عز وجل حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر إلى الدنيا فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح وطعاماً طيباً لطعام مر وثوباً لنا ثوب خشن ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية). (ورواه في علل الشرائع: ١/٢٠٤. وأمالى الصدوق: ٧٣١/٧٣١؛ والخصال: ٢١٥)

وهذا الإتيان معروف للجميع عن الشيعة، من عصر النبي والأئمة عليهم السلام.

قال الرازي في تفسيره: ٣/٧: (واختلف الناس على ثلاثة أقوال:

أحدها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من وقت مولدهم، وهو قول الرافضة.

وثانيها: قول من ذهب إلى عصمتهم وقت بلوغهم، ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة، وهو قول كثير من المعتزلة. وثالثها: قول من ذهب إلى أن ذلك (يعني ارتكاب الكفر والكبيرة) لا يجوز وقت النبوة أما قبلها فجائز، وهو قول أكثر أصحابنا، وقول أبي الهذيل العلاف، وأبي علي من المعتزلة).

وقال أيضاً في عصمة الأنبياء ص ٨: (وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

(الأول): الحشوية وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

(الثاني): أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا تكون منفراً، وأما أن كانت منفراً فذلك لا يجوز عليهم، مثل التطفيف بما دون الحبة، وهو قول أكثر المعتزلة.

(الثالث) أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل، وهو قول أبي علي الجبائي

(الرابع): أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ. أما السهو والنسيان فجائز، ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أن علومهم أكمل، فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ، وهو قول أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام.

(الخامس): أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل، ولا بالسهو والنسيان. وهذا مذهب الشيعة).

وقال في تفسيره: ١٨/٩: (وعندنا العصمة إنما تعتبر في وقت النبوة لا قبلها).

وهذه النصوص من عالم سني مشهود له بالعمق والدقة، تكشف لنا أنه لم ينج من التأثير بالتهمة اليهودية للأنبياء عليهم السلام إلا الشيعة، أتباع العترة النبوية الطاهرة صلوات الله عليهم.

كما تكشف لنا خريطة التأثير اليهودي بنسب متفاوتة على فئات المسلمين في تنقيصهم من مقام الأنبياء عليهم السلام، مع الإلتفات إلى أن ما ذكره الرازي هو القدر المتبني رسمياً في فتاوى علمائهم وعقائدهم، أما في مصادرهم الصحيحة فهي حافلة بأنواع الطعن في عصمة الأنبياء عليهم السلام وعدالتهم واتهامهم في سلوكهم الشخصي، وحتى في تبليغهم للرسالة!

وسبب ذلك ما نشره اليهود فيهم من مفاهيم وقصص انتقاص الأنبياء عليهم السلام! وإن حكومات الخلافة القرشية شجعت تلك الروايات وجعلت مجالسها مجالس رسمية في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وغيره من مساجد المسلمين، وأعطت روايتها مناصب علياً في الدولة!

كما أنها شجعت على روايات الإنتقاص من نبينا صلى الله عليه وآله لتبرير عمل الخلفاء، ورفعهم إلى صف النبي صلى الله عليه وآله، بل تفضيلهم عليه أحياناً، كما سيأتى!

من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامّة

من شرائع ديننا عصمة الأنبياء والأوصياء

في الخصال للصدوق ص ٦٠٣: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي، وأحمد بن الحسن القطان، ومحمد بن أحمد السناني، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعبد الله بن محمد الصائغ، وعلى بن عبد الله الوراق رضى الله عنهم قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: (هذه شرائع الدين لمن أراد أن يتمسك بها وأراد الله هداة:

إسباع الوضوء كما أمر الله عز وجل في كتابه الناطق، غسل الوجه واليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس والقدمين إلى الكعبين، مرة مرة. ومرتان جائز.... وهو حديث طويل تضمن أهم أحكام الوضوء والأغسال والفرائض والنوافل وصلاة الجماعة، وأحكام الزكاة... وجاء فيه قوله عليه السلام:

وبر الوالدين واجب، فإن كانا مشركين فلا تطعمهما ولا غيرهما في المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. والأنبياء والأوصياء عليهم السلام لا ذنوب لهم، لأنهم معصومون مطهرون... إلى أن قال عليه السلام: ولا يفرض الله عز وجل على عباده طاعة من يعلم أنه يغويهم ويضلهم، ولا يختار لرسالته ولا يصطفى من عباده من يعلم أنه يكفر به ويعبد الشيطان دونه، ولا يتخذ على خلقه حجة إلا معصوماً. والإسلام غير الإيمان وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن... الخ).

وفي أمالي الصدوق ص ٧٣٨: (المجلس الثالث والتسعون، مجلس يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان سنة ثمان وستين وثلاثمائة: واجتمع في هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (رض)، أهل مجلسه والمشايخ، فسألوه أن يملى عليهم وصف دين الإمامية على الإيجاز والإختصار، فقال رضى الله عنه:

دين الإمامية هو الإقرار بتوحيد الله تعالى ذكره ونفى التشبيه عنه، وتنزيهه عما لا يليق به، والإقرار بأنبياء الله ورسله وحججه وملائكته وكتبه، والإقرار بأن محمداً صلى الله عليه وآله هو سيد الأنبياء والمرسلين، وأنه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقربين، وأنه خاتم النبيين، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة، وإن جميع الأنبياء والرسول والأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة، وأنهم معصومون مطهرون من كل دنس ورجس، لا يهمون بذنب صغير ولا كبير ولا يرتكبونه، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء.

وإن الدعائم التي بنى الإسلام عليها خمس: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وولاية النبي والأئمة صلوات الله عليهم بعده، وهم اثنا عشر إماماً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم الجواد محمد بن علي، ثم الهادي علي بن محمد، ثم العسكري الحسن بن علي، ثم الحجّة بن الحسن بن علي، عليهم السلام، والإقرار بأنهم أولوا الأمر الذين أمر الله عز وجل بطاعتهم، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: ٥٩) وإن طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، ووليهم ولي الله، وعدوهم عدو الله عز وجل. ومودة ذرية النبي صلى الله عليه وآله إذا كانوا على منهاج آبائهم الطاهرين فريضةً واجبةً في أعناق العباد إلى يوم القيامة، وهي أجر النبوة، لقول الله عز وجل: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى: ٢٣) والإقرار بأن الإسلام هو الإقرار بالشهادتين، والإيمان هو إقرار باللسان، وعقد بالقلب، وعمل بالجوارح، لا يكون الإيمان إلا هكذا،

ومن شهد الشهادتين فقد حقن ماله ودمه إلا بحقها، وحسابه على الله عز وجل).

وفى التوحيد للصدوق ص ١١٨: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه محمد بن خالد، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبي الصالح، عن عبد الله بن عباس في قوله عز وجل: فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، قال: يقول سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ من أن أسألك الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى.

قال محمد بن علي بن الحسين مصنف هذا الكتاب رضى الله عنه:

إن موسى عليه السلام علم أن الله عز وجل لا يجوز عليه الرؤية، وإنما سأل الله عز وجل أن يريه ينظر إليه عن قومه حين ألحوا عليه في ذلك، فسأل موسى ربه ذلك من غير أن يستأذنه فقال: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فِي حَالٍ تَزَلُّزُهُ فَسَوِّفَ تَرَانِي، ومعناه إنك لا ترائي أبداً، لأن الجبل لا يكون ساكناً متحركاً في حال أبداً، وهذا مثل قوله عز وجل: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ومعناه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً، كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبداً. فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، أى ظهر للجبل بآية من آياته، وتلك الآية نور من الأنوار التي خلقها ألقى منها على ذلك الجبل جَعَلَهُ ذَكَاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، من هول تزلزل ذلك الجبل على عظمه وكبره.

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ، أى رجعت إلى معرفتي بك عادلاً عما حملني عليه قومي من سؤالك الرؤية، ولم تكن هذه التوبة من ذنب لأن الأنبياء لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولم يكن الاستيذان قبل السؤال بواجب عليه، لكنه كان أدباً يستعمله ويأخذ به نفسه متى أراد أن يسأله، على أنه قد روى قوم أنه قد استأذن في ذلك فأذن له، ليعلم قومه بذلك أن الرؤية لا تجوز على الله عز وجل. وقوله: وأنا أول المؤمنين، يقول: وأنا أول المؤمنين من القوم الذين كانوا معه وسألوه أن يسأل ربه أن يريه ينظر إليه، بأنك لا ترى.

وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم

فى علل الشرائع للصدوق: ١/١٢٣: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل (رض) قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته). وفى الخصال ص ١٣٩: (حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن عمر بن أذينة. عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: إحدروا على دينكم ثلاثة: رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رأيت عليه بهجته، اخترط سيفه على جاره ورماه بالشرك! فقلت: يا أمير المؤمنين أيهما أولى بالشرك؟ قال: الرامي.

ورجلاً استخفته الأحاديث، كلما أحدثت أحدثه كذب مدّها بأطول منها!

ورجلاً آتاه الله عز وجل سلطاناً فزعم أن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله! وكذب لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، لا ينبغي للمخلوق أن يكون حبه لمعصية الله، فلا طاعة فى معصيته ولا طاعة لمن عصى الله، إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر، لا يأمر بمعصيته، وإنما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته).

ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم

فى الكافي: ١/١٦٨: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنما لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشروهم، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه،

يُعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شئ من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة. ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكي لا تخلو أرض الله من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته). انتهى.

وقال الوحيد الخراساني في شرح هذا الحديث في منهاج الصالحين: ١/٦٤:

(ومعناه أن كل فعل وترك وحركة وسكون يصدر من الإنسان، إما أن يكون نافعاً لدينه وآخرته، أو ضاراً، أو غير نافع ولا ضار، وعلى كل الفروض يحتاج الإنسان إلى معرفة ما هو النافع وما هو الضار وما هو المصلح والمفسد لدينه وآخرته، وهذه المعرفة لا تيسر إلا من عند من هو خبير بالرابطة التي بين الأفعال والتروك وصلاح الإنسان وفساده، ومحيط بتأثير الحركات والسكنات في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، وإنما هو خالق الإنسان وخالق الدنيا والآخرة سبحانه. ولما كانت حكمته تعالى تستوجب أن يدل عباده على ذلك، وكانت دلالاته عليه بدون واسطة غير ممكنة لتعالیه عن مباشرتهم ومخاطبتهم، فلا بد من سفراء مختارين (يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم).

وهذا البرهان يمتاز من جهات عما برهن به الفلاسفة على ضرورة النبوة، الذي اعتمد على قاعدة أن الإنسان مدني بالطبع فيحتاج إلى قوانين عادلة لمعاملاته وعلاقاته الاجتماعية، فإن دليلهم مختص بالحياة الاجتماعية على الأرض، بينما دليل الإمام عليه السلام يشمل عموم مصالح الإنسان ومضاره في كل عوالم الوجود).

العصمة من أول صفات الإمام

في الخصال ص ٤٢٨: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي (رض) قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية، عن سليمان بن مهران، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنصوص، وإن يكون أعلم الناس، وأتقاهم الله، وأعلمهم بكتاب الله، وإن يكون صاحب الوصية الظاهرة، ويكون له المعجز والدليل، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يكون له في، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه).

احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثني عشر و عصمتهم

في أمالي الصدوق ص ٥٧٤: (حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمه الله قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا جعفر بن سلمة الأهوازي قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي، عن إبراهيم بن موسى بن أخت الواقدي قال: حدثنا أبو قتادة الحراني، عن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم وعنده عليٌّ وفاطمةٌ والحسنُ والحسينُ فقال: اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ فأحب من أحبهم وأبغض من أبغضهم، ووال من والأهم وعاد من عاداهم، وأعز من أعانهم. واجعلهم مطهرين من كل رجس، معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس.

ثم قال: يا عليُّ أنت إمام أمتي، وخليفتي عليها بعدى، وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة، وكأني أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملك، تقود مؤنات أمتي إلى الجنة، فأيا امرأة صلت في اليوم والليله خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجت بيت الله الحرام، وزكت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدى، دخلت الجنة بشفاعه ابنتي فاطمة، وإنها لسيدة نساء العالمين.

فقيل له: يا رسول الله أهى سيده نساء عالمها؟ فقال النبي: ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتى فاطمة فهى سيده نساء العالمين من الأولين والإخريين، وإنها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. ثم التفت إلى عليّ فقال: يا عليّ، أن فاطمة بضعة منى، وهى نور عيني، وثمره فؤادى، يسوءنى ما ساءها، ويسرنى ما سرها، وإنها أول من يلحقنى من أهل بيتى فأحسن إليها بعدى.

وأما الحسن والحسين فهما ابنائى وريحانائى، وهما سيديا شباب أهل الجنة، فليكرما عليك كسمعك وبصرك. ثم رفع يده إلى السماء، فقال: اللهم إنى أشهدك أنى محب لمن أحبهم، ومبغض لمن أبغضهم، وسلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم، وعدو لمن عاداهم، وولى لمن والأهم).

وفى عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٦٥: (حدثنا على بن عبد الله الوراق الرازى قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا الهيثم بن أبى مسروق النهدي، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن سعد بن طريف، عن الأصبع بن نباته، عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة ولأجد الحسين، مطهرون معصومون). (ورواه أيضاً فى كمال الدين ص ٢٨٠، وفى كفاية الأثر ص ١٩).

وفى دلائل الإمامة للطبرى الشيعى ص ٥٠٦: (أخبرنى أبو القاسم عبد الباقي بن يزداد بن عبد الله البرازى قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الثعالبي قراءة فى يوم الجمعة مستهل رجب سنة سبعين وثلاثمائة، قال: أخبرنا أبو على أحمد بن محمد بن يحيى العطار، عن سعد بن عبد الله بن أبى خلف القمى، من حديث طويل، قال:

كنت امرأةً لهجاً بجمع الكتب المشتمة على غوامض العلوم ودقائقها، كلفاً باستظهار ما يصح من حقائقها، مغرماً بحفظ مشتبهها ومستغلقها، شحيحاً على ما أظفر به من معاضلها ومشكلاتها، ومتعصباً لمذهب الإمامية، راغباً عن الأمن والسلامة فى انتظار التنازع والتخاصم، والتعدى إلى التباغض والتشاتم، معيباً للفرق ذوى الخلاف، كشافاً عن مثالب أئمتهم، هتاكاً لحجب قاداتهم.

إلى أن بليت بأشد النواصب منازعة، وأطولهم مخاصمة، وأكثرهم جدالاً، وأقشعهم سؤالاً، وأثبتهم على الباطل قدماً. فقال ذات يوم وأنا أنظره:

تباً لك يا سعد ولأصحابك، إنكم معشر الرافضة تقصدون على المهاجرين والأنصار بالظعن عليهما...

وكنت قد اتخذت طوماراً، وأثبت فيه نيفا وأربعين مسألة من صعاب المسائل التى لم أجد لها مجيباً، على أن أسأل عنها خير أهل بلدى أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبى محمد عليه السلام فارتحلت خلفه، وقد كان خرج قاصداً نحو م ولاى بسر من رأى، فلحقته فى بعض المناهل، فلما تصافحنا قال: لخير لحاقتك بى؟ قلت: الشوق، ثم العادة فى الأسئلة. قال: قد تكافأنا على هذه الخطئة الواحدة، فقد برح بى الشوق إلى لقاء مولانا أبى محمد عليه السلام، وأريد أن أسأله عن معاضل فى التأويل ومشاكل من التنزيل، فدونهاك الصعبة المباركة، فإنها تقف بك على ضفة بحر لاتنقضى عجائبه، ولا تفنى غرائب، وهو إمامنا.

فوردنا سر من رأى فانتبهنا منها إلى باب سيدنا عليه السلام، فاستأذنا فخرج إلينا الإذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطاه بكساء طبرى، فيه ستون ومائة صرة من الدنانير والدارهم، على كل صرة ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبهت مولانا أبى محمد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلا بيدرد قد استوفى من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذة الأيمن غلام يناسب المشتري فى الخلقة والمنظر، على رأسه فرق بين وفرتين، كأنه ألف بين واوين، وبين يدي مولانا عليه السلام رمانه ذهبية تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة، ويده قلم، إذا أراد أن يسطر به على البياض قبض الغلام على أصابعه، وكان مولانا عليه السلام يدحرج الرمانه بين يديه ويشغله بردها لئلا يصدده عن كتبه ما أراد، فسلمنا عليه فألطف فى الجواب، وأوماً إلينا بالجلوس، فلما فرغ من كتابة البياض الذى كان بيده، أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طي كسائه، فوضعه بين يدي مولانا فنظر أبو محمد عليه السلام إلى الغلام وقال: يا بنى، فض الخاتم عن هدايا شيعتك

ومواليك.

فقال: يا م ولأى، أيجوز لى أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة، وأموال رجسة قد شيب أحلها بأحرمها؟!

فقال مولانا عليه السلام: يا بن إسحاق، استخرج ما فى الجراب ليميز بين الأحل منها والأحرم. فأول صرة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: هذه لفلان بن فلان من محله كذا بقم، تشتمل على اثنين وستين ديناراً، فيها من ثمن حجرة باعها وكانت إرثاً له من أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أبواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أجره الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بنى، دُلَّ الرجل على الحرام منها....

قال أحمد (روى الحديث عن سعد): وكان ذلك الثوب فى حقيبه لى فنسيته. فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إلى مولانا أبو محمد عليه السلام فقال: ما جاء بك يا سعد؟ فقلت: شوقنى أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا. فقال: والمسائل التى أردت أن تسأله عنها؟ قلت: على حالتها يا مولاي. فقال: سل قره عيني، وأوماً إلى الغلام، عما بدا لك منها.

فقلت: مولانا وابن مولانا، أنا روينا عنكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نساءه بيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشه: "إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فإن كفت عنى غريبك وإلا طلقتك." ونساء رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان طلاقهن بوفاته؟!

قال عليه السلام: ما الطلاق؟ قلت: تخليه السيل. قال: فإذا كنَّ بوفاه رسول الله صلى الله عليه وآله قد خُلِّيَ سبيلهنَّ، فلم لا يحلَّ لهنَّ الأزواج؟ قلت: لأن الله حرم الأزواج عليهن قال: كيف وقد خُلِّيَ الموت سبيلهن؟ قلت فأخبرنى يا بن م ولأى عن معنى الطلاق الذى فوض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله فخصهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن، إن هذا الشرف باق لهن ما دُمَّنَّ لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدى بالخروج عليك، فأطلق لها فى الأزواج وأسقطها من شرف الأمهات ومن شرف أمومة المؤمنين....

قلت: فأخبرنى يا م ولأى عن العلة التى تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم؟ قال: مصلح أو مفسد؟ قلت: مصلح. قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على الفساد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلى. قال: فهى العلة أوردتها لك ببرهان ينقاد له عقلك: أخبرنى عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم علمه، وأيدهم بالوحي والعصمة، إذ هم أعلام الأمم، وأهدى إلى الإختيار منهم، مثل موسى وعيسى عليهما السلام، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما، إذا هما بالإختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنان أنه مؤمن؟ قلت: لا.

قال عليه السلام: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، اختار من أعيان قومه ووجوه عسكريه لميقات ربه سبعين رجلاً، ممن لم يشك فى إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله عز وجل: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا، وَقَوْلُهُ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ،** فلما وجدنا إختيار من قد اصطفاه الله لنبوته، واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن لا إختيار إلا لمن يعلم ما تخفى الصدور وتكنُّ الضمائر، وتنصرف عليه السرائر، وإن لاخطر لإختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء عليهم السلام... انتهى.

كتاب كفاية الأثر فى النصوص على الأئمة الإثنى عشر

وهو كتاب جليل جمع فيه مؤلفه الخراز القمى رحمه الله وهو من علماء القرن الرابع، الأحاديث النبوية على إمامة الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام عن ثلاثين صحابياً من طرق غير أهل البيت عليهم السلام. وقد اقترحنا على بعض الفضلاء تحقيقه وتخريج أحاديثه، وسيصدر فى مجلدات إن شاء الله، وهذه بعض أحاديثه فى عصمتهم عليهم السلام:

في كفاية الأثرص ٢٩: (حدثنا علي بن الحسين، قال حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن البرقوي (رض)، قال حدثنا القاضي أبو إسماعيل جعفر بن الحسين البلخي، قال حدثنا شقيق البلخي، عن سماك، عن زيد بن أسلم، عن أبي هرون العبدي، عن سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

أهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض كما أن النجوم أمانٌ لأهل السماء.

قيل: يارسول الله فالأئمة بعدك من أهل بيتك؟ قال: نعم الأئمة بعدى اثنا عشر تسعةً من صلب الحسين، أمناء معصومون. ومنا مهدي هذه الأئمة، إلا إنهم أهل بيتي وعترتي من لحمي ودمي، ما بال أقوام يؤذونني فيهم، لا أنالهم الله شفاعتي).

وفي كفاية الأثر: ص ٣٥: (حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله الشيباني رحمه الله، قال حدثنا محمد بن رباح الأشجعي، قال حدثنا محمد بن غالب بن الحارث، قال حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، قال حدثنا عبد الكريم، عن أبي الحسن، عن أبي الحرث، عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحبني وأهل بيتي كنا نحن وهو كهاتين - وأشار بالسبابة والوسطى - ثم قال: أخي خير الأوصياء، وسبطي خير الأسباط، وسوف يخرج الله تبارك وتعالى من صلب الحسين أئمة أبراراً، ومنا مهدي هذه الأمة. قلت: يارسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقيب بني إسرائيل.

حدثنا القاضي أبو الفرج المعافا بن زكريا البغدادي، قال حدثني محمد بن همام بن سهيل الكاتب، قال حدثني محمد بن معافا السلماسي، عن محمد بن عامر، قال حدثنا عبد الله بن زاهر، عن عبد العدوس، عن الأعمش، عن حبش بن المعتمر قال: قال أبو ذر الغفاري رحمه الله عليه: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه، فقال: يا أبا ذر إيتني بابنتي فاطمة. قال: فقمتم ودخلت عليها وقلت: يا سيده النسوان أجيبني أباك. قال: فلبت منحلها وأبرزت وخرجت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رأته رسول الله صلى الله عليه وآله انكبت عليه وبكت وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها وضمها إليه، ثم قال: يا فاطمة لا تبكين فداك أبوك، فأنت أول من تلحقين بي مظلومةً مغصوبةً، وسوف يظهر بعدى حسيك النفاق وسمل حلاب الدين، وأنت أول من يرد على الحوض.

قالت: يا أبة أين ألقاك؟ قال: تلقيني عند الحوض وأنا أسقى شيعتك ومحبيك وأطرد أعداك ومبغضيك. قالت: يا رسول الله فإن لم ألقك عند الحوض؟ قال تلقيني عند الميزان. قالت: يا أبة وإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: تلقيني عند الصراط وأنا أقول: سلم سلم شيعه علي.

قال أبو ذر: فسكن قلبها ثم التفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا ذر أنها بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني، إلا أنها سيده نساء العالمين، وبعلمها سيد الوصيين، وابنيها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإنهما إمامان أن قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدي هذه الأمة. قال قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقيب بني اسرائيل.

وفي كفاية الأثر: ص ٤٤: (حدثنا علي بن الحسين بن محمد قال: حدثنا هارون بن موسى (رض) قال: أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا محمد بن عامر بن السائب الثقفي، عن أبيه، عن سلمان الفارسي رحمه الله عليه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده الحسن والحسين يتغديان والنبى صلى الله عليه وآله يضع اللقمة تارة في فم الحسن وتارة في فم الحسين، فلما فرغا من الطعام أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن على عاتقه والحسين على فخذه، ثم قال: يا سلمان أتحبهم؟ قلت: يا رسول الله كيف لا أحبهم ومكانهم منك مكانهم؟ قال: يا سلمان من أحبهم فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله. ثم وضع يده على كتف الحسين عليه السلام فقال: أنه الإمام ابن الإمام، تسعة من صلبه أئمة أبرار، أمناء معصومون، والتاسع قائمهم).

وفي كفاية الأثر: ص ٧٣: (حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهري قال: حدثنا محمد بن أحمد الصفواني قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحمصي قال: حدثنا بن حماد، عن أنس بن سيرين، عن

أنس بن مالك، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر، ثم أقبل علينا فقال: معاشر أصحابي من أحب أهل بيتي حشر معنا، ومن استمسك بأوصيائي من بعدى فقد استمسك بالعروة الوثقى.

فقام إليه أبو ذر الغفاري فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نساء بني إسرائيل، فقال: كلهم من أهل بيتك؟ قال: كلهم من أهل بيتي، تسعة من صلب الحسين، والمهدي منهم.

حدثنا محمد بن عبد الله الشيباني رحمه الله قال: حدثنا رجا بن يحيى العرآني الكاتب قال: حدثنا يعقوب بن إسحق عن محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبه، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته. ورأيت اثني عشر إسماء مكتوباً بالنور فيهم على بن أبي طالب وسبطي وبعدهما تسعة أسماء علياً علياً ثلاث مرات، ومحمد ومحمد مرتين، وجعفر وموسى والحسن، والحجة يتلألاً من بينهم، فقلت: يا رب أسامي من هؤلاء؟ فناداني ربي جل جلاله: هم الأوصياء من ذريتك، بهم أئيب وأعاقب).

وفي كفاية الأثر ص ٧٥: وعنه قال: حدثنا أبو مزاحم موسى بن عبد الله بن يحيى بن خاقان المقرئ ببغداد قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن الفضل بن ربيع أبو العباس مولى بني هاشم قال: حدثني عثمان بن أبي شيبة في مسند أنس. قال: حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا عبد الله ابن عوف، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوصياء الأنبياء الذين بعدهم بقضاء ديونهم وإنجاز عدااتهم ويقاثلون على سنتهم. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: أنت وصيي وأخي في الدنيا والآخرة تقضي ديني وتنجز عدااتي، وتقاتل على سنتي، تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فأنا خير الأنبياء وأنت خير الأوصياء وسبطاي خير الأسباط، ومن صلبهما يخرج الأئمة التسعة، مطهرون معصومون قوامون بالقسط، والأئمة بعدى علي عدد نساء بني إسرائيل وحواري عيسى. هم عترتي من لحمي ودمي.

وفي كفاية الأثر ص ٩٨: (حدثنا الحسين بن علي الرازي قال: حدثني إسحاق بن محمد بن خالويه قال: حدثني يزيد بن سليمان البصري قال: حدثني شريك، عن الركين بن الربيع، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، أنا جدتهما، وجدتهما خديجة سيدة نساء أهل الجنة.

ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين أبوهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة سيدة نساء العالمين.

ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب.

أيها الناس إلا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، خالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله.

ثم قال: علي قاتلها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإنه ليخرج من صلب الحسين أئمة أبرار أمناء معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدي هذه الأمة الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه. قلنا: من يا رسول الله؟ قال: هو التاسع من صلب الحسين، تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار والتاسع مهديهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً).

وفي كفاية الأثر: ص ١٠٠: (حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد الخزاعي قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله الكوفي الأسدي قال: حدثني محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثني مندل بن علي، عن أبي نعيم عن محمد بن زياد، عن زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: أنت الإمام والخليفة بعدى، وابناك سبطاي وهما سيدا شباب أهل الجنة، وتسعة من صلب الحسين أئمة معصومون، ومنهم قائمنا أهل البيت. ثم قال:

يا على، ليس في القيامة راكب غيرنا، ونحن أربعة. فقام إليه رجل من الأنصار، فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله ومن هم؟ قال: أنا على دابة الله البراق، وأخي صالح على ناقته التي عقرت، وعمي حمزة على ناقتي العضباء، وأخي علي على ناقه من نوق الجنة، ويده لواء الحمد، ينادى لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيقول الآدميون: ما هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو حامل عرش، فيجيئهم ملك من بطنان العرش: يا معشر الآدميين، ليس هذا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا حامل عرش، هذا الصديق الأكبر علي بن أبي طالب). وفي كفاية الأثر ص ١١٠: (حدثنا علي بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى قال: حدثنا جعفر بن علي بن سهل الدقاق الدورى قال: حدثنا علي بن الحارث المروزى قال: حدثنا أيوب بن عاصم الهمداني قال: حدثنا حفص بن غياث، عن يزيد بن مكحول، عن واثله بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدره المنتهى ناداني ربي جل جلاله فقال: يا محمد. فقلت: لبيك سيدي. قال: اني ما أرسلت نبياً فانقضت أيامه إلا أقام بالأمر بعده وصيه، فاجعل علي بن أبي طالب الإمام والوصي من بعدك، فإني خلقتكما من نور واحد، وخلقت الأئمة الراشدين من أنوار كما، أتحب أن تراهم يا محمد؟ قلت: نعم يا رب. قال: إرفع رأسك. فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار الأئمة بعدى اثنا عشر نوراً، قلت: يا رب أنوار من هي؟ قال: أنوار الأئمة بعدك أمناء معصومون.

وفي كفاية الأثر ص ١١٣: (أخبرنا أبو المفضل الشيباني قال: حدثني حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي قال: حدثنا محمد بن مسعود، عن يوسف بن السخت، عن سفیان الثوري، عن موسى بن عبيدة أياس بن مسلمة بن الأكوع، عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أناسيد الأنبياء، وعلئي سيد الأوصياء، وسبطاي خير الأسباط، ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسين، ومنا مهدي هذه الأمة. فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد الأسباط وحواري عيسى ونقباء بني إسرائيل).

وفي كفاية الأثر ص ١٢٤: (حدثني علي بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى قال: حدثنا هارون بن موسى قال: حدثني محمد بن علي بن معمر قال: حدثني عبد الله بن معبد قال: حدثنا موسى بن إبراهيم الممتع قال: حدثني عبد الكريم بن هلال، عن أسلم، عن أبي الطفيل، عن عمار قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا بعلي عليه السلام، فسارته طويلاً ثم قال: يا علي أنت وصيي ووارثي قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا متُّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم وغضبٌ علي حقد. فبكت فاطمة عليها السلام وبكى الحسن والحسين، فقال لفاطمة: يا سيدة النسوان مم بكائك؟ قالت: يا أبة أخشى الضيعة بعدك. قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، ولاتبكي ولا تحزني فإنك سيدة نساء أهل الجنة، وأباك سيد الأنبياء، وابن عمك خير الأوصياء، وابناك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة مطهرون معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال:

يا علي لا يلي غسلني وتكفيني غيرك. فقال علي عليه السلام: يا رسول الله من يناولني الماء فإنك رجل ثقيل لا أستطيع أن ألقبك. فقال: أن جبرئيل معك والفضل يناولك الماء وليغطي عينيه فإنه لا يرى أحد عورتى إلا انفقت عيناه.

قال: فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله كان الفضل يناوله الماء وجبرئيل يعاونه، فلما أن غسله وكفنه أتاه العباس فقال: يا علي أن الناس قد أجمعوا أن يدفن النبي صلى الله عليه وآله بالبقيع وإن يؤمهم رجل واحد، فخرج علي إلى الناس فقال: أيها الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إمامنا حياً وميتاً، وهل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن من جعل القبور مصلى، ولعن من جعل مع الله إلهاً آخر، ولعن من كسر رباعيته وشق لثته.

قال فقالوا: الأمر إليك فاصنع ما رأيت. قال: فإني أودن رسول الله صلى الله عليه وآله في البقعة التي قبض فيها. قال: ثم قام علي الباب فصلى عليه، وأمر الناس عشراً عشراً يصلون عليه ثم يخرجون).

وفي كفاية الأثر ص ١٣٢: (أخبرنا محمد بن عبد الله بن المطلب، قال حدثنا أبو أسيد أحمد بن محمد بن أسيد المدني بأصبهان، قال

حدثنا عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر، عن عبد الوهاب بن عيسى المروزي، قال حدثنا الحسين بن علي بن محمد البلوي، قال حدثنا عبد الله بن سحج، عن علي بن هاشم، عن علي بن خرورج، عن الأصبع بن نباتة، قال سمعت عمران بن حصين، يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: أنت وارث علمي وأنت الإمام والخليفة بعدي، تعلم الناس بعدي ما لا يعلمون، وأنت أبو سبطي وزوج ابنتي، من ذريتكم العترة الأئمة المعصومون. فسأله سلمان عن الأئمة، فقال: عدد نساء بني إسرائيل. (حدثنا علي بن محمد بن الحسن، قال حدثنا هارون بن موسى قال: حدثنا حيدر بن نعيم السمرقندي قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا العباس بن بكار الضبي قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن أبي عبد الله الشامي، عن عمران بن حصين، وذكر نحوه).

وفي كفاية الأثر ص ١٣٤: (حدثنا محمد بن وهبان بن محمد البصري قال: حدثنا الحسين بن علي البزوفري قال: حدثني عبد العزيز بن يحيى الجلودى بالبصرة قال: حدثني محمد بن زكريا، عن أحمد بن عيسى بن زيد قال: حدثني عمر بن عبد الغفار، عن أبي بصير، عن حكيم بن جبير، عن علي بن زيد بن جذعان، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدي، تقضى ديني وتنجز عدااتي، وتقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل. يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق، ولقد نبأني اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون مطهرون، ومنهم مهدي هذه الأمة الذي يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت في أوله).

وفي كفاية الأثر ص ١٥١: (أخبرنا القاضي المعافا بن زكريا قال: حدثنا علي بن عتبة قال: حدثني الحسين بن علوان، عن أبي علي الخراساني، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الوصي على الأموات من أهل بيتي، والخليفة على الأحياء من أمتي، حربك حربي وسلمك سلمى، أنت الإمام أبو الأئمة الأحد عشر، من صلبك أئمة مطهرون معصومون، ومنهم المهدي الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، فالويل لمبغضكم. يا علي لو أن رجلاً أحب في الله حجراً لحشره الله معه وإن محبيك وشيعتك ومحبي أولادك الأئمة بعدك يحشرون معك. وأنت معي في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار، يدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار).

وفي كفاية الأثر ص ١٨٠: (حدثنا علي بن الحسن بن محمد بن مندة قال: حدثنا أبو الحسين زيد بن جعفر بن محمد بن الحسين الخزاز بالكوفة في سنة سبع وسبعين وثلثمائة قال: حدثنا العباس بن الجوهري ببغداد في دار عميرة قال: حدثني عفان بن مسلم قال: حدثني حماد بن سلمة، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن سداد بن أوس، قال: لما كان يوم الجمل قلت: لا أكون مع علي ولا أكون عليه، وتوقفت عن القتال إلى انتصاف النهار فلما كان قرب الليل ألقى الله في قلبي أن أقاتل مع علي، فقاتلت معه حتى كان من أمره ما كان.

ثم إنى أتيت المدينة فدخلت على أم سلمة، قالت: من أين أقبلت؟ قلت: من البصرة. قالت: مع أي الفريقين كنت؟ قلت: يا أم المؤمنين إنى توقفت عن القتال إلى انتصاف النهار وألقى الله عز وجل أن أقاتل مع علي.

قالت: نعم ما عملت، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من حارب علياً فقد حاربنى، ومن حاربنى فقد حارب الله! قلت: فترين أن الحق مع علي؟ قالت: أي والله، علي مع الحق والحق معه، والله ما أنصف أمه محمد نبيهم إذ قدموا من أخره الله عز وجل ورسوله، وأخروا من قدمه الله تعالى ورسوله، وأنهم صانوا حلائلهم في بيوتهم وأبرزوا حليله رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الفناء! والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لأمتي فرقة وجعله (وجمعه) فجامعوها إذا اجتمعت، وإذا افترت فكونوا من النمط الأوسط، ثم ارقبوا أهل بيتي فإن حاربوا فحاربوا، وإن سالموا فسالموا، وإن زالوا فزالوا معهم، فإن الحق معهم حيث كانوا.

قلت: فمن أهل بيته؟ قالت: أهل بيته الذين أمرنا بالتمسك بهم، قالت: هم الأئمة بعده كما قال: عدد نساء بني إسرائيل: علي وسبطاه، وتسعة من صلب الحسين، هم أهل بيته، هم المطهرون، والأئمة المعصومون.

قلت أنا: لله هلك الناس إذا! قالت: كل حزب بما لديهم فرحون.

وفى كفاية الأثر: ص ١٨٥: (أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن العياشي قال: حدثني جدي عبيد الله بن الحسن، عن أحمد بن عبد الجبار، قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: حدثنا عمر بن حماد قال: حدثنا علي بن هاشم البريد، عن أبيه قال: حدثني أبو سعيد التميمي، عن أبي ثابت مولى أبي ذر، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بي إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش "لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته بعلي"، ورأيت أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وأنوار علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي، ورأيت نور الحجة يتلأل من بينهم كأنه كوكب دري، فقلت: يا رب من هذا ومن هؤلاء؟ فنوديت: يا محمد هذا نور علي وفاطمة، وهذا نور سبطيك الحسن والحسين، وهذه أنوار الأئمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون، وهذا الحجة يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً.

وهذه أم سلمة روى عنها شداد بن أوس والحكم بن قيس وأبو الأسود وأبو ثابت مولى أبي ذر رحمه الله عليه).

وفى كفاية الأثر ص ٣٠١: (حدثنا أبو المفضل رحمه الله قال: حدثني محمد بن علي بن شاذان بن حباب الأزدى بالكلية قال: حدثني الحسن بن محمد بن عبد الواحد قال: حدثنا الحسن ثم الحسين العربي الصوفي قال: حدثني يحيى بن يعلى الأسلمي، عن عمرو بن موسى الوجيهي، عن زيد بن علي عليه السلام قال: كنت عند أبي علي بن الحسين عليه السلام إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فبينما هو يحدثه إذ خرج أخى محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال: ادبر فأدبر، فقال: شمائل كشمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ما اسمك يا غلام؟ قال: محمد. قال: ابن من؟ قال: ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: أنت إذاً الباقر. قال فأكبي عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام. قال: علي رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام. ثم عاد إلى مصلاه، فأقبل يحدث أبي ويقول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدى الباقر فاقرأه مني السلام، فإنه سميت وأشبهه الناس بي، علمه علمي وحكمه حكمي، سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)

وفى كفاية الأثر ص ٣٠٣: (حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد بن علي الخزاعي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بالكلية قال: حدثني جعفر بن علي بن سحاح الكندي قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن ميمون قال: حدثني المسعودي أبو عبد الرحمان، عن محمد بن علي الفراري، عن أبي خالد الواسطي، عن زيد بن علي عليه السلام، قال حدثني أبي علي بن الحسين، عن أبيه الحسين ابن علي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حسين أنت الإمام وأخ الإمام وابن الإمام. تسعة من ولدك أمناء معصومون والتاسع مهديهم، فطوبى لمن أحبهم، والويل لمن أبغضهم).

وفى كفاية الأثر ص ٢٦١: (عن أبي عبد الله عليه السلام: أن قائمنا يخرج من صلب الحسين والحسين، يخرج من صلب علي، وعلي يخرج من صلب محمد، ومحمد يخرج من صلب علي، وعلي يخرج من صلب ابني هذا، وأشار إلى موسى بن جعفر، وهذا خرج من صلبى. نحن اثنا عشر، كلنا معصومون مطهرون).

وفى أمالي الصدوق ص ٦٧٩: (حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم (رض) قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن محمد بن علي التميمي قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آباءه، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: من سره أن ينظر إلى القضيبي الأحمر الذي غرسه الله بيده، ويكون متمسكاً به، فليتول علياً والأئمة من ولده فإنهم خيرة الله عز وجل وصفوته، وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة). (ورواه في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٦٢٩).

في الكافي: ١/٢٦٩: (محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن البرقي، عن أبي طالب، عن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أن قوماً يزعمون أنكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآناً: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ! فقال: ياسدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي! والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا- وهو ساخط عليهم! قال قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل، يقرؤون علينا بذلك قرآناً: يَا أَيُّهَا الرَّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ! فقال: ياسدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم! قال قلت: فما أنتم؟ قال: نحن خُزَّانُ علم الله، نحن تَرَاجمُهُ أمر الله، نحن قومٌ معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهَى عن معصيتنا، نحن الحجَّةُ البالغةُ على من دون السماء وفوق الأرض).

وفي علل الشرائع للصدوق: ١/١٧٣: (حدثنا أبو علي أحمد بن يحيى المكتب قال حدثنا أحمد بن محمد الوراق قال حدثنا بشر بن سعيد بن قلوبيه المعدل بالرافقه قال حدثنا عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني قال سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له يا ابن رسول الله في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها فقال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فسل، قال قلت له يا ابن رسول الله وبأى شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟ فقال بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عز وجل (إِنَّ فِي ذَلِكْ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) وقول رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال قلت له يا ابن رسول الله فأخبرني بمسألتك قال: أردت أن تسألني عن رسول الله صلى الله عليه وآله لم لم يطق حمله على عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته وما ظهر منه في قلع باب القموص بخيبر والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً، وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يركب الناقة والفرس والحمار، وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك دون علي في القوة والشدة؟ قال فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسألك يا ابن رسول الله، فأخبرني؟ فقال:

إن علياً عليه السلام برسول الله تشرف وبه ارتفع، وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك، وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل، ولو علاه النبي عليهما السلام لحط الأصنام لكان عليه السلام بعلي مرتفعاً وتشريفاً وواصللاً إلى حط الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياً عليه السلام قال: لما علوت ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها، أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدي به في الظلمة، وانبعث فرعه من أصله، وقد قال علي عليه السلام أنا من أحمد كالضوء من الضوء، أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله عز وجل قبل خلق الخلق بألفي عام، وإن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي وأما الإمامة فلعلي حجتي وولي، ولولاهما ما خلقت خلقي! أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يد علي عليه وآله في حقه حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما فجعله مولى المسلمين وإمامهم، وقد احتمل الحسن والحسين عليهما السلام يوم حزيمة بنى النجار، فلما قال له بعض أصحابه ناولني أحدهما يارسول الله قال: نعم الراكبان وأبوهما خير منهما، وأنه كان يصلي بأصحابه فأطال سجدة من سجدياته فلما سلم قيل له يارسول الله لقد أطلت هذه السجدة فقال صلى الله عليه وآله لأن ابني ارتحلني فكرهت أن أعاجله حتى ينزل، وإنما أراد بذلك رفعهم وتشريفهم، فالنبي صلى الله عليه وآله إمام ونبي وعلي عليه السلام إمام ليس بنبي ولا رسول، فهو غير مطيق لحمل أُنُقَالِ النبوة.

قال محمد بن حرب الهلالي: فقلت له زدني يا ابن رسول الله فقال: إنك لأهل للزيادة إن رسول الله صلى الله عليه وآله حمل علياً عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده وإمام الأئمة من صلبه، كما حول رداءه في صلاة الإستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه بذلك أنه قد تحول الجذب خصباً، قال قلت له زدني يا ابن رسول الله، فقال: احتمل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يريد

بذلك أن يعلم قومه أنه هو الذى يخفف عن ظهر رسول الله ما عليه من الدين والعدات والأداء عنه من بعده، قال: فقلت له يا ابن رسول الله زدنى فقال: احتمله ليعلم بذلك أنه قد احتمله وما حمل إلا- لأنه معصوم لا يحمل وزراً فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لعلى يا على أن الله تبارك وتعالى حملنى ذنوب شيعتك ثم غفرها لى وذلك قوله تعالى: لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، ولما أنزل الله عز وجل إذا اهتديتم وعلئى نفسى وأخى أطيعوا علياً فإنه مطهر معصوم لا يضل ولا يشقى ثم تلا هذه الآية: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

قال محمد بن حرب الهلالي: ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام: أيها الأمير لو أخبرتك بما فى حمل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعانى التى أرادها به، لقلت إن جعفر بن محمد لمجنون! فحسبك من ذلك ما قد سمعت! فقلت إليه وقبلت رأسه وقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته). انتهى.

من كلمات علماء الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة

الانبياء معصومون مطهرون كاملون

قال الصدوق فى الاعتقادات فى دين الإمامية ص ٧٠: باب الاعتقاد فى العصمة: (إعتقادنا فى الأنبياء والرسول والأئمة والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً لاصغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. ومن نفى عنهم العصمة فى شئ من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر. واعتقادنا فيهم: أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم، من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون فى شئ من أحوالهم بنقص ولا عيب ولا جهل). انتهى.

ملاحظة: لا بد أن يكون الكفر فى كلام الصدوق رحمه الله بمعناه اللغوى، فلا هو ولا بقية فقهاءنا يكفرون أحداً من أهل القبلة لقوله بالعصمة الناقصة.

وقال المفيد فى المقنعة ص ٣٠: (ويجب أن يعتقد التصديق لكل الأنبياء عليهم السلام وأنهم حجج الله على من بعثهم إليه من الأمم، والسفراء بينه وبينهم، وإن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، وإن شريعته ناسخة لما تقدمها من الشرائع المخالفة لها، وأنه لانبى بعده صلى الله عليه وآله ولا شريعة بعد شريعته.

وكل من ادعى النبوة بعده فهو كاذب على الله تعالى، ومن يغير شريعته فهو ضال، كافر من أهل النار، إلا أن يتوب ويرجع إلى الحق بالإسلام فيكفر بالله تعالى حينئذ عنه... بالتوبة ما كان مقرفاً من الآثام.

ويجب اعتقاد نبوة جميع من تضمن الخبر عن نبوته القرآن على التفصيل، واعتقاد الجملة منهم على الإجمال، ويعتقد أنهم كانوا معصومين من الخطأ، موفقين للصواب، صادقين عن الله تعالى فى جميع ما أدوه إلى العباد، وفى كل شئ أخبروا به على جميع الأحوال، وإن طاعتهم طاعة لله ومعصيتهم معصية لله، وإن آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وإدريس وموسى وهارون وعيسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس وذا الكفل وصالحاً وشعبياً ويونس ولوطاً وهوداً، كانوا أنبياء الله تعالى ورسلاً له صادقين عليه، كما سماهم بذلك وشهد لهم به، وإن من لم يذكر اسمه من رسله على التفصيل كما ذكر ممن سميته منهم، وذكرهم فى الجملة حيث يقول: وَرَسُولًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، كلهم أنبياء عن الله صادقون، وأصفياء له منتجبون لديه، وإن محمداً صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم، كما قدمناه...

ويجب على كل مكلف أن يعرف إمام زمانه، ويعتقد إمامته وفرض طاعته وأنه أفضل أهل عصره وسيد قومه، وأنهم فى العصمة والكمال كالأنبياء عليهم السلام ويعتقد أن كل رسول الله تعالى فهو نبي إمام، وليس كل إمام نبياً ولا رسولاً، وإن الأئمة بعد رسول الله

صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأوليائه، وخاصةً أصفياء الله، أولهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عليه أفضل السلام، وبعده الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي بن الحسين، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي بن موسى، ثم علي بن محمد بن علي، ثم الحسن بن علي بن محمد، ثم الحجّة القائم بالحق ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام. لإمامة لآحد بعد النبي صلى الله عليه وآله غيرهم، ولا يستحقها سواهم، وأنهم الحجّة على كافة الأنام كالأنبياء عليهم السلام وأنهم أفضل خلق الله بعد نبيه عليه وآله السلام، والشهداء على رعاياهم يوم القيامة، كما أن الأنبياء عليهم السلام شهداء الله على أممهم، وأنه بمعرفتهم وولايتهم تُقبل الأعمال، وبعادوتهم والجهل بهم تُستحق النار).

في بحار الأنوار: ١١/٧٢-٩٦: (باب عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأويل ما يوهم خطأهم وسهوهم). أورد فيه نحو مجموعة أحاديث وكلمات لعلمائنا رضی الله عنهم في عصمة الأنبياء التامة عليهم السلام.

العصمة عن الذنوب، والغلط، والردائل، وما ينفر

قال المفيد في تصحيح اعتقادات الإمامية/١٢٨:

(العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق واللفظ، والإعتصام من الحجج بها: عن الذنوب، والغلط في دين الله تعالى. والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته، والإعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن، ولا مُلجئة له إليه، بل هي الشئ الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعد من عبده لم يؤثر معه معصيته له، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والإخيار).

جلبنا

وفي الكافي لأبي الصلاح الحلبي/٧٨: (وإذا ثبتت نبوة نبينا صلى الله عليه وآله بالبراهين الواضحة وجب القطع على كونه صلى الله عليه وآله على الصفات التي يجب كون النبي عليها من العصمة فيما يؤديه، والعصمة من جميع القبائح، وتنزيهه عن كل منفر حسب ما دللنا عليه).

اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلي

أقول: أصل الدليل في مذهبنا على عقيدة عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة هو العقل، الذي يحكم بضرورة أن يكون المؤدى للناس عن الله تعالى والمؤدى للناس عن النبي صلى الله عليه وآله معصوماً، وإلا فلا يمكن الوثوق بقوله، وأن عصمته تثبت بنص المعصوم أو بالمعجزة.

وقد حاول غيرنا إثبات العصمة بالنقل لكنه يلزم منه الدور، لأن الوثوق بالنص الذي يثبت العصمة يتوقف عليها، فلا يصح أن تتوقف هي عليه.

وأسوأ من ذلك قول بعضهم بأن الأنبياء عليهم السلام يرتكبون الذنوب والمعاصي حتى في تبليغ الرسالة، لكن الله تعالى لا يقرهم على الخطأ، فيصح لهم ما عصوا فيه ويتوبون من معصيتهم!

قال ابن تيمية في منهاج سنته: ٢/٤٠٠: (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحينئذ فما وصفوه إلا بما فيه كمالهم، فإن الأعمال بالخواتيم. مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم في تقرير هذا الأصل! فالمنكرون لذلك يقولون في تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان، ويحرفون

الكلم عن مواضعه). انتهى.

وقوله: (والجمهور...) يقصد بهم أتباع المذاهب السنية، وتعبيره بالصغائر لكي يجعل آيات الغرائق الشيطانية التي افتروها على النبي صلى الله عليه وآله وصحح هو روايتها ودافع عنها، أن يجعلها من المعاصي الصغيرة! مع أنها خيانة للوحي، وكفر بالله العظيم، وعبادة للأصنام وسجود لها!

والوجه في بطلان هذا الكلام أنه يستوجب سلب الثقة بكل كلام النبي عليه السلام فما دام قد يخطئ أو يخون الرسالة ويبلغ الكفر بدل التوحيد! فلا ينفع بعد ذلك أن الله تعالى لا يقره على الخطأ، وأنه ينبهه بعد مدة فيقول النبي للناس إن الشيء الفلاني الذي بلغتكم إياه كان خطأ مني أو من شيطاني، وقد نهني إليه جبرئيل وتاب الله عليّ! فخذوا الصحيح ودعوا الخطأ!

فمن أين يثق الناس بأن هذا البديل الذي بلغه الآن ليس منه أو من الشيطان كسابقه؟! فإن من وقع في خطيئة مرة يمكن أن يقع فيها مئة مرة، ومن خان الوحي مرة، قد يخونه مئة مرة!

ونفس هذا الكلام يجرى بطريق أولى في عصمة الإمام المؤدى للأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله فإن من يؤدي عن النبي صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون عنده العلم القطعي بكتاب الله والسنة، وأن يكون معصوماً لا يحتمل في حقه النسيان والخطأ وارتكاب خيانه، لأن احتمال الكذب والخطأ فيه يسلب الإطمئنان من أجيال الأمة بأن ما أدّاه إليها هو مراد الله تعالى من كلامه قطعاً وهو قول النبي صلى الله عليه وآله قطعاً!

قال المحقق الحلّي في المسلك في أصول الدين ص ١٥٤:

(وأما العصمة (للنبي) عن المعاصي فقد اختلفوا، فمنهم من عصمه عن الخلل في التبليغ لا غير، ومنهم من عصمه مع ذلك عن الكبائر. والحق أنه معصوم عن الكل في حال النبوة وقبلها. وهل هو معصوم عن السهو أم لا؟ فيه خلاف بين أصحابنا، والأصح القول بعصمته عن ذلك كله.

لنا: لو جاز شيء من ذلك لجاز تطرقه إلى التبليغ، لكن ذلك محال، ولأنه مع تجويز ذلك يرتفع الوثوق بخبره، فينتقض الغرض المراد بالبعثة.

وأما قبل النبوة فهو معصوم عن تعمد المعصية، صغيرة كانت أو كبيرة، ويدل عليه من القرآن قوله: لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.

وأما ما تضمنه الكتاب العزيز وكثير من الأخبار من مظاهره وقوع المعصية فمحمول على ضرب من التأويل، لثلاث تناقض الأدلة).

وقاتل العلامة الحلّي في شرح التجريد ص ٣٧٥:

المسألة الثانية: في وجوب العصمة قال: ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض، ولوجوب متابعتة، وضدها الإنكار عليه.

أقول: اختلف الناس هاهنا، فجماعة المعتزلة جوزوا الصغائر على الأنبياء عليهم السلام أما على سبيل السهو كما ذهب إليه بعضهم، أو على سبيل التأويل كما ذهب إليه قوم منهم، أو لأنها تقع محبطة بكثرة ثوابهم. وذهبت الأشاعرة والحشوية إلى أنه يجوز عليهم الصغائر والكبائر، إلا الكفر والكذب. وقالت الإمامية إنه يجب عصمتهم عن الذنوب كلها، صغيرة كانت أو كبيرة، والدليل عليه بوجوه:

أحدها: أن الغرض من بعثة الأنبياء عليهم السلام إنما يحصل بالعصمة فيجب العصمة تحصيلاً للغرض، وبيان ذلك أن المبعوث إليهم لو جوزوا الكذب على الأنبياء والمعصية جوزوا في أمرهم ونهيهم وأفعالهم التي أمرهم باتباعهم فيها ذلك، وحينئذ لا ينقادون إلى امتثال أوامرهم وذلك نقض للغرض من البعثة.

الثاني: أن النبي عليه السلام يجب متابعتة فإذا فعل معصية فأما أن يجب متابعتة أولاً والثاني باطل لانتفاء فائدة البعثة، والأول باطل لأن المعصية لا يجوز فعلها وأشار بقوله لوجوب متابعتة وضدها إلى هذا الدليل، لأنه بالنظر إلى كونه نبياً يجب متابعتة، وبالنظر إلى كون الفعل معصية لا يجوز اتباعه.

الثالث: أنه إذا فعل معصية وجب الإنكار عليه، لعموم وجوب النهي عن المنكر، وذلك يستلزم إيذائه، وهو منهى عنه، وكل ذلك محال).

وفي النافع يوم الحشر للعلامة الحلبي ص ٨٤: (والإمامية أوجبوا العصمة مطلقاً عن كل معصية، عمداً وسهواً، وهو الحق لوجهين: الأول: ما أشار إليه المصنف، وتقريره: أنه لو لم يكن الأنبياء عليهم السلام معصومين لانتفت فائدة البعثة، واللازم باطل فالملزوم مثله. بيان الملازمة: أنه إذا جازت المعصية عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم، وإذا لم يحصل الوثوق لم يحصل الإنقياد لأمرهم ونهيهم، فتنتفى فائدة بعثهم، وهو محال.

الثاني: لو صدر عنهم الذنب لوجب اتباعهم، لدلالة النقل على وجوب اتباعهم، لكن الأمر حينئذ باتباعهم محال لأنه قبيح! فيكون صدور الذنب عنهم محالاً وهو المطلوب....

وأما ما ورد في الكتاب العزيز والأخبار مما يوهم صدور الذنب عنهم فمحمول على ترك الأولى، جمعاً بين ما دل العقل عليه وبين صحة النقل، مع أن جميع ذلك قد ذكر له وجوه ومحامل في مواضعه... وعليك في ذلك بمطالعة كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام الذي رتبته السيد المرتضى رحمه الله علم الهدى الموسوي وغيره من الكتب، ولولا خوف الإطالة لذكرنا نبذة من ذلك).

وقال في تذكرة الفقهاء (ط.ج): ٩/٣٩٧: (الخامس عشر: أن يكون منزهاً عن القبائح لدلالة العصمة عليه، ولأنه يكون مستحقاً للإهانة والإنكار عليه، فيسقط محله من قلوب العامة فتبطل فائدة نصبه.

وأن يكون منزهاً عن الدنئات والرذائل، كاللعب والأكل في الأسواق وكشف الرأس بين الناس، وغير ذلك مما يسقط محله ويوهن مرتبته.

وأن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات.

وقد خالفت العامة في ذلك كله).

وقال ابن ميثم البحراني في قواعد المرام في علم الكلام ص ١٢٥:

البحث الأول: العصمة صفة للإنسان يمتنع بسببها من فعل المعاصي ولا يمتنع منه بدونها. وعندنا أن النبي معصوم عن الكبائر والصغائر عمداً وسهواً من حين الطفولية إلى آخر العمر. وجوز بعض الخوارج صدور جميع الذنوب عن الأنبياء عليهم السلام، وجوزت المعتزلة والزيدية وقوع الصغائر عنهم فيما يتعلق بالفتوى دون الكبائر. ثم منهم من جوزها سهواً فقط، وهو مذهب الأشعرية. فأما ما يتعلق بأداء الشريعة فأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم فيه التحريف والخيانة لا عمداً ولا سهواً، وكذلك أجمعوا على أن وقت العصمة هو وقت النبوة دون ما قبله.

لنا وجوه: أحدها، أن غرض الحكيم من البعثة هداية الخلق إلى مصالحهم وحثهم بالبشارة والندارة وإقامة الحجة عليهم بذلك لقوله تعالى: رَسَالًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ. (النساء: ١٦٥) فلو لم يجب في حكمته عصمة النبي لناقض غرضه من بعثه وإرساله، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله، فعصمة النبي واجبة في الحكمة.

أما الملازمة فلأنه بتقدير وقوع المعصية منه جاز أن يأمرهم بما هو مفسدة لهم وينهاهم عما هو مصلحة لهم، وذلك مستلزم لإغوائهم وإضلالهم، فكان في بعثه غير المعصوم مناقضة للغرض من بعثه.

وأما بطلان اللازم فلأن مناقضة الغرض يستلزم السفه والعبث، وهما محالان على الحكيم، كما تقدم في باب اللطف.

الثاني، لو جاز صدور المعصية عن النبي لوجب علينا فعل المفسدة أو ترك المصلحة الواجبة، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله. بيان الملازمة أنه يجب علينا فعل ما أمرنا به والانتفاء عما نهانا عنه لقوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. (الحشر: ٧) فتقدير أن تجوز المعصية عليه جاز أن يوجب علينا ما هو محرم ويحرم علينا ما هو واجب، ويجب علينا اتباعه في ذلك.

وأما بطلان اللازم فلأن أمر الحكيم لنا باتباعه مطلقاً يستلزم أمره لنا بفعل القبيح إذن، لكن الأمر بالقبيح قبيح ممتنع عليه تعالى.

الثالث، لو جاز صدور المعصية عنهم لكان بتقدير وقوعها منهم لا تقبل شهاداتهم، لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا. (الحجرات: ٦) لكن اللازم باطل، لأنها إذا لم تقبل في محقرات الأمور فكان أولى أن لا تقبل في الأديان الباقية إلى يوم القيامة).

قال الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار ص ١٣٣ بعد إيراد الحديث المتقدم في أماليه:

(قال أبو جعفر مصنف هذا الكتاب: الدليل على عصمة الإمام أنه لما كان كل كلام ينقل عن قائله يحتمل وجوهاً من التأويل، وكان أكثر القرآن والسنة مما أجمعت الفرق على أنه صحيح لم يغير ولم يبدل، ولم يزد فيه ولم ينقص منه، محتملاً لوجوه كثيرة من التأويل، وجب أن يكون مع ذلك مخبراً صادقاً معصوماً من تعمد الكذب والغلط، منبئاً عما عنى الله ورسوله في الكتاب والسنة على حق ذلك وصدقه، لأن الخلق مختلفون في التأويل، كل فرقة تميل مع القرآن والسنة إلى مذهبها، فلو كان الله تبارك وتعالى تركهم بهذه الصفة من غير مخبر عن كتابه صادق فيه لكان قد سوغهم الاختلاف في الدين ودعاهم إليه، إذ أنزل كتاباً يحتمل التأويل، وسن نبه سنة تحتمل التأويل، وأمرهم بالعمل بهما، فكأنه قال: تأولوا واعملوا. وفي ذلك إباحة العمل بالمتناقضات والإعتماد للحق وخلافه. فلما استحال ذلك على الله عز وجل، وجب أن يكون مع القرآن والسنة في كل عصر من يبين عن المعاني التي عناها الله عز وجل في القرآن بكلامه، دون ما تحتمل ألفاظ القرآن من التأويل، ويبين عن المعاني التي عناها رسول الله في سننه وأخباره دون التأويل الذي تحتمل ألفاظ الأخبار المروية عنه عليه السلام المجمع على صحة نقلها.

وإذا وجب أنه لا بد من مخبر صادق، وجب أن لا يجوز عليه الكذب تعمداً ولا الغلط فيما يخبر به عن مراد الله عز وجل في كتابه، وعن مراد رسول الله في أخباره وسننه. وإذا وجب ذلك وجب أنه معصوم.

ومما يؤكد هذا الدليل أنه لا يجوز عند مخالفتنا أن يكون الله عز وجل أنزل القرآن على أهل عصر النبي صلى الله عليه وآله ولا نبي فيهم ويتعبد لهم بالعمل بما فيه على حقه وصدقه، فإذا لم يجر أن ينزل القرآن على قوم ولا ناطق به ولا معبر عنه ولا مفسر لما استعجم منه، ولا مبين لوجهه، فكذلك لا يجوز أن نتعبد نحن به إلا ومعه من يقوم فينا مقام النبي صلى الله عليه وآله في قومه وأهل عصره، في التبيين لناسخه ومنسوخه وخاصة وعامه، والمعاني التي عناها الله عز وجل بكلامه دون ما يحتمل التأويل، كما كان النبي صلى الله عليه وآله مبيناً لذلك كله لأهل عصره. ولا بد من ذلك ما لزموا العقول والدين.

فإن قال قائل: إن المؤدى إلينا ما نحتاج إلى علمه من مشابهة القرآن ومن معانيه التي عناها الله دون ما يحتمل ألفاظه، هو الأمة.

أكذبه اختلاف الأمة وشهادتها بأجمعها على أنفسها في كثير من أي القرآن لجهلهم بمعناه الذي عناها الله عز وجل!

وفي ذلك بيان أن الأمة ليست هي المؤدية عن الله عز وجل ببيان القرآن، وأنها ليست تقوم في ذلك مقام النبي صلى الله عليه وآله. فإن تجاسر متجاسر فقال: قد كان يجوز أن ينزل القرآن على أهل عصر النبي صلى الله عليه وآله، ولا يكون معه نبي ويتعبد لهم بما فيه مع احتمالها للتأويل.

قيل له: فهب ذلك كان قد وقع من الخلاف في معانيه ما قد وقع في هذا الوقت، ما الذي كانوا يصنعون؟

فإن قال: ما قد صنعوا الساعة.

قيل: الذي فعلوه الساعة أخذ كل فرقة من الأمة جانباً من التأويل وعمله عليه، وتضليل الفرقة المخالفة لها في ذلك، وشهادتها عليها بأنها ليست على الحق.

فإن قال: أنه كان يجوز أن يكون أول الإسلام كذلك وإن ذلك حكمه من الله وعدل فيهم، ركب خطأ عظيماً وما لا أرى أحداً من الخلق يقدم عليه.

فيقال له عند ذلك: فحدثنا إذا تهيأ للعرب الفصحاء أهل اللغة أن يتأولوا القرآن ويعمل كل واحد منهم بما يتأوله على اللغة العربية، فكيف يصنع من لا يعرف اللغة من الناس؟ وكيف يصنع العجم من الترك والفرس؟ وإلى أي شيء يرجعون في علم ما فرض الله عليهم

في كتابه؟ ومن أى الفرق يقبلون مع اختلاف الفرق فى التأويل؟!!

وإباحتك كل فرقة أن تعمل بتأويلها، فلا بد لك من أن تجرى العجم ومن لا يفهم اللغة مجرى أصحاب اللغة من أن لهم أن يتبعوا أى الفرق شأوا! و[إلا-] إن ألزمت من لا يفهم اللغة اتباع بعض الفرق دون بعض، لزمك أنت تجعل الحق كله فى تلك الفرقة دون غيرها، فإن جعلت الحق فى فرقة دون فرقة نقضت ما بنيت عليه كلامك واحتجت إلى أن يكون مع تلك الفرقة علم وحجة تبين بها من غيرها، وليس هذا من قولك!

ولو جعلت الفرق كلها متساوية فى الحق مع تناقض تأويلاتها، فيلزمك أيضاً أن تجعل للعجم ومن لا يفهم اللغة أن يتبعوا أى الفرق شأوا، وإذا فعلت ذلك لزمك فى هذا الوقت أن لاتلزم أحداً من مخالفيك من الشيعة والخوارج وأصحاب التأويلات وجميع من خالفك ممن له فرقة ومن مبتدع لافرقه له على مخالفيك ذمًا!! وهذا نقض الإسلام والخروج من الإجماع.

ويقال لك: وما ينكر على هذا الأخطاء أن يتعبد الله عز وجل الخلق بما فى كتاب مطبق لا يمكن أحداً أن يقرأ ما فيه، ويأمر أن يبحثوا ويرتادوا ويعمل كل فرقة بما ترى أنه فى الكتاب.

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل العبث لأن ذلك صفة العاثر! ويلزمك أن تجيز على كل من نظر بعقله فى شىء واستحسن أمراً من الدين أن يعتقد أنه سواء أباحهم أن يعملوا فى أصول الحلال والحرام وفروعها بأرائهم، وأباحهم أن ينظروا بقولهم فى أصول الدين كله وفروعه من توحيد وغيره، وإن يعملوا أيضاً بما استحسوه وكان عندهم حقاً!

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل أن يبيح الخلق أن يشهدوا عليه أنه ثانى اثنين، وإن يعتقدوا الدهر، ووجدوا البارئ جل وعز. وهذا آخر ما فى هذا الكلام، لأن من أجاز أن يتعبدنا الله عز وجل بالكتاب على احتمال التأويل ولا مخبر صادق لنا عن معانيه، لزمه أن يجيز على أهل عصر النبى صلى الله عليه وآله مثل ذلك! وإذا أجاز مثل ذلك لزمه أن يبيح الله عز وجل كل فرقة العمل بما رأت وتأولت، لأنه لا يكون لهم غير ذلك إذا لم يكن معهم حجة فى أن هذا التأويل أصح من هذا التأويل.

وإذا أباح ذلك أباح متبعهم ممن لا يعرف اللغة! وإذا أباح أولئك أيضاً لزمه أن يبيحنا فى هذا العصر، وإذا أباحنا ذلك فى الكتاب لزمه أن يبيحنا ذلك فى أصول الحلال والحرام ومقائيس العقول وذلك خروج من الدين كله.

وإذاً وجب بما قدمنا ذكره أنه لا بد من مترجم عن القرآن وأخبار النبى صلى الله عليه وآله وجب أن يكون معصوماً ليجب القبول منه، فإذا وجب أن يكون معصوماً بطل أن يكون هو الأمة لما بينا من اختلافاتها فى تأويل القرآن والأخبار، وتنازعها فى ذلك ومن إكفار بعضها بعضاً!!

وإذا ثبت ذلك وجب أن المعصوم هو الواحد الذى ذكرناه وهو الإمام. وقد دللنا على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً، وأرينا أنه إذا وجبت العصمة فى الإمام لم يكن بد من أن ينص النبى عليه، لأن العصمة ليست فى ظاهر الخلقة فيعرفها الخلق بالمشاهدة فواجب أن ينص عليها علام الغيوب تبارك وتعالى على لسان نبيه، وذلك لأن الإمام لا يكون إلا منصوصاً عليه، وقد صح لنا النص بما بيناه من الحجج وبما روينا من الأخبار الصحيحة). انتهى.

وقال الطباطبائى فى تفسير الميزان: ٢/١٣٤: (كلام فى عصمة الأنبياء عليهم السلام:

العصمة على ثلاثة أقسام: العصمة عن الخطأ فى تلقى الوحي، والعصمة عن الخطأ فى التبليغ والرسالة، والعصمة عن المعصية، وهى ما فيه هتك حرمة العبودية ومخالفة مولوته، ويرجع بالآخرة إلى قول أو فعل ينافى العبودية منافاةً ما. ونعنى بالعصمة وجود أمر فى الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ، أو المعصية.

وأما الخطأ فى غير باب المعصية وتلقى الوحي والتبليغ، وبعبارة أخرى: فى غير باب أخذ الوحي وتبليغه والعمل به، كالخطأ فى الأمور الخارجية نظير الأغلط الواقعة للإنسان فى الحواس وإدراكاتها، أو الإعتباريات من العلوم، ونظير الخطأ فى تشخيص الأمور التكوينية من حيث الصلاح والفساد والنفع والضرر ونحوها، فالكلام فيها خارج عن هذا المبحث.

وكيف كان، فالقرآن يدل على عصمتهم عليهم السلام في جميع الجهات الثلاث:

أما العصمة عن الخطأ في تلقى الوحي وتبليغ الرسالة: فيدل عليه قوله تعالى في الآية: كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ. (البقرة: ٢١٣) فإنه ظاهر في أن الله سبحانه إنما بعثهم بالتبشير والإنذار وإنزال الكتاب، وهذا هو الوحي، ليبينوا للناس الحق في الاعتقاد والحق في العمل. وبعبارة أخرى لهداية الناس إلى حق الاعتقاد وحق العمل، وهذا هو غرضه سبحانه في بعثهم، وقد قال تعالى: لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى. (طه: ٥٢) فيبين أنه لا يضل في فعله ولا يخطئ في شأنه، فإذا أراد شيئاً فإنما يريده من طريقه الموصل إليه من غير خطأ، وإذا سلك بفعله إلى غاية فلا يضل في سلوكه، وكيف لا ويده الخلق والأمر وله الملك والحكم، وقد بعث الأنبياء عليهم السلام بالوحي إليهم وتفهمهم معارف الدين، ولا بد أن يكون، وبالرسالة لتبليغها للناس ولا بد أن يكون. وقال تعالى أيضاً: إِنَّ اللَّهَ بِالْعَمَلِ رَبٌّ قَدِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. (الطلاق: ٣) وقال أيضاً: وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. (يوسف: ٢١) ويدل على العصمة عن الخطأ أيضاً قوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، الْأَمْنُ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. (الجن: ٢٦-٢٨) فظاهره أنه سبحانه يختص رسله بالوحي فيظهرهم على الغيب ويؤيدهم بمراقبته ما بين أيديهم وما خلفهم، والإحاطة بما لديهم، لحفظ الوحي عن الزوال والتغير بتغيير الشياطين وكل مغير غيرهم، ليتحقق إبلاغهم رسالات ربهم. ونظيره قوله تعالى حكاية عن قول ملائكة الوحي: وَمَا نَنْتَهِزُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا. (مريم: ٦٤)، دلت الآيات على أن الوحي من حين شروعه في النزول، إلى بلوغه النبي، إلى تبليغه للناس محفوظ مصون عن تغيير أي مغير يغيره).

وقال الوحيد الخراساني في مقدمته منهاج الصالحين ص ٦١:

والأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام عديدة، نشير إلى بعضها:

الدليل الأول: أن لوصول كل مخلوق إلى كماله الذي خلق له سنناً وقوانين، وقد تبين مما تقدم أن السنة التي توصل الإنسان إلى كماله المقصود من خلقه، إنما هي الهداية الإلهية ودين الحق.

ولما كان تحقق هذا الكمال يتوقف على تبليغ السنة والنظام الإلهي وتنفيذه،

والنبي متكفل لتربية الإنسان وفق هذه السنة والنظام، فلو حصل تخلف في تبليغه أو تنفيذه لكان نقضاً للغرض، ولا يكون تخلف مبلغ الوحي والمربي بالتربية الإلهية إلا من جهة الخطأ أو الهوى، وأى منهما كان فلا يحصل الغرض الأقصى.

فكمال الهداية الإلهية يتطلب كمال الهادي، وعصمة النظام الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تستلزم عصمة المعلم والمنفذ.

الدليل الثاني: دلّ العقل والنقل على أن الدين جاء ليحيي الإنسان حياة طيبة من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، وماء الحياة الطيبة للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، وهما يشكّلان مجموعة الدين، ومجرى هذا الماء الطيب وجود النبي عليه السلام، فلو كان مجرى الماء ملوثاً لتلوث الماء ولم يصلح لسقى عقول الناس وقلوبهم، ولا يحصل منه ثمرة الحياة الطيبة.

الدليل الثالث: بما أن الغرض من بعث النبي عليه السلام لا يتحقق إلا بإطاعته في أمره ونهيه، وبما أن إطاعته المخطئ والمعاصي لا تجوز، فلو لم يكن النبي عليه السلام معصوماً لم تجب إطاعته، فيلزم نقض الغرض وبطلان نتيجة البعث.

الدليل الرابع: إذا لم يكن النبي عليه السلام معصوماً، لم يحصل للأمة اليقين بصدقه وصحة قوله في تبليغ الوحي، وإذا لم يكن معصوماً من الذنوب، سقطت مكانته في أعين الناس، وكلام العالم بلا عمل، والواعظ غير المتعظ لا يؤثر في النفوس، فلا يحصل الغرض

المقصود من البعثة.

الدليل الخامس: منشأ الخطأ والذنب ضعف العقل والإرادة، وعقل النبي عليه السلام كامل، لأنه باتصاله بالوحي اتصل بحق اليقين، وصار يرى الأشياء على واقعها كما هي، وإرادته لا تتأثر إلا من إرادة الله سبحانه وتعالى، فلا يبقى في شخصيته مجالاً للخطأ والذنب). انتهى.

العصمة لاتعنى الإجمار، ولا تنافى الإختيار

قال المفيد في رسالته النكت الإعتقادية ص ٤٥:

(فإن قيل: ما حد العصمة؟ الجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما.

فإن قيل: ما الدليل على أنه معصوم من أول عمره إلى آخره؟

والجواب: الدليل على ذلك أنه لو عهد منه السهو والنسيان لارتفع الوثوق منه عند إخباراته. ولو عهد منه خطيئة لتفرت العقول من متابعتها فتبطل فائدة البعثة).

وقال العلامة الحلبي في شرح التجريد/٤٩٤:

قال: ولا تنافى العصمة القدرة.

أقول: اختلف القائلون بالعصمة في أن المعصوم هل يتمكن من فعل المعصية أم لا؟ فذهب قوم منهم إلى عدم تمكنه من ذلك، وذهب آخرون إلى تمكنه منها. أما الأولون فمنهم من قال: أن المعصوم مختص في بدنه أو نفسه بخاصية تقتضى امتناع إقدامه على المعصية، ومنهم من قال: أن العصمة هو القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية، وهو قول أبي الحسين البصرى. وأما الآخرون الذين لم يسلبوا القدرة فمنهم من فسرها بأنه الأمر الذى يفعله الله تعالى بالعبد من الألفاظ المقربة إلى الطاعات التى يعلم معها أنه لا يقدم على المعصية بشرط أن لا- ينتهى ذلك الأمر إلى الالغاء، ومنهم من فسرها بأنها ملكة نفسانية لا يصدر عن صاحبها معها المعاصى. وآخرون قالوا: العصمة لطف يفعله الله تعالى بصاحبها لا يكون له معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، وأسباب هذا اللطف أمور أربعة:

أحدها: أن يكون لنفسه أو لبدنه خاصية تقتضى ملكة مانعة من الفجور وهذه الملكة مغايرة للفعل.

الثانى: أن يحصل له علم بمطالب المعاصى ومناقب الطاعات.

الثالث: تأكيد هذه العلوم بتتابع الوحي والإلهام من الله تعالى.

الرابع: مؤاخذته على ترك الأولى بحيث يعلم أنه لا يترك مهملاً بل يضيق عليه الأمر فى غير الواجب من الأمور الحسنه.

فإذا اجتمعت هذه الأمور كان الإنسان معصوماً.

والمصنف رحمه الله اختار المذهب الثانى وهو أن العصمة لا تنافى القدرة بل المعصوم قادر على فعل المعصية، وإلا لما استحق المدح

على ترك المعصية ولا- الثواب، ولبطل الثواب والعقاب فى حقه، فكان خارجاً عن التكليف! وذلك باطل بالإجماع وبالنقل فى قوله

تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ).

وقال العلامة الحلبي فى كتاب الألفين/٦٧:

البحث السابع: فى عصمة الإمام، وهى ما يتمتع المكلف معه من المعصية متمكناً منها، ولا يتمتع منها مع عدمها. اختلف الناس فى

ذلك، فذهبت الإمامية والإسماعيلية إليه، ونفاه الباقر، لنا وجوه:

الأول: لو كان غير معصوم لكان محتاجاً إما إلى نفسه أو إلى إمام آخر فيدور أو يتسلسل وهما محالان، وذلك لوجود العلة المحوغة

إليه فيه.

لا يقال: المعصوم لا يخلو إما أن يقدر على المعصية أو لا يقدر، فإن قدر فلا يخلو أن يمكن وقوعها منه أو لا يمكن، فإن أمكن فهو كسائر المكلفين في الحقيقة من غير امتياز، وإن لم يمكن فقد رتبته على ما لا يمكن وقوعه لا يكون قدرته، وإن لم يقدر فهو مجبورٌ وليس ذلك بشرف له.

وأيضاً إذا جاز أن يمتنع وقوع المعصية من شخص من المكلفين بفعل الله تعالى، ولا يضر ذلك قدرته وتمكنه من الطرفين، فالواجب أن يجعل جميع المكلفين كذلك، إذ كان الغرض من وجودهم إيصال الثواب إليهم دون وقوع المعصية وعقابهم عليها؟ وأيضاً، فلم يجوز أن يكون الإتهام في الإحتجاج إلى النبي صلى الله عليه وآله أو القرآن وينقطع التسلسل.

لأننا نجيب عن الأول: بأنه يقدر عليها ولكن لا تقع مقدوره منه، لعدم خلوص داعيه إليها، كما نقول في امتناع وقوع القبايح من الحكيم تعالى، وكما نقول في عصمة الأنبياء عليهم السلام فإن القدرة على ما لا يمكن وقوعه لا اعتبار شيء غير ذاته لا يستنكر، إنما يستنكر القدرة على ما لا يمكن وقوعه لذاته.

وعن الثاني: أنا لا نقول أن الحكيم تعالى جعل شخصاً واحداً بفعله معصوماً من غير استحقاق منه لذلك، لكننا نقول: كل من يستحق الألفاظ الخاصة التي هي العصمة بكسبه، فهو تعالى يخصه بها.

ثم الإمام يجب أن يكون من تلك الطائفة، فالمكلفون بأسرهم لو استحقوا بكسبهم تلك الألفاظ لكانوا كلهم معصومين، فظهر أن الخلل في عدم عصمتهم جميعاً راجع عليهم لا عليه تعالى.

وعن الثالث: أن نسبة غير المعصومين إلى النبي صلى الله عليه وآله القرآن نسبة واحدة، فلو جاز أن يكون النبي الموجود في زمان سابق أو القرآن مُغنياً لمكلف مع جواز خطئه عن الإمام لجاز في الجميع مثل ذلك، وحينئذ لا يجب احتياجهم جميعاً إلى الإمام، وقد سبق فساد اللازم فظهر فساد الملزوم.

الثاني: لما ثبت وجوب نصب الإمام على الله تعالى بالطريق الثاني فنقول: أنا نعلم ضرورة أن الحاكم إذا نصب في رعيته من يعرف منه أنه لا يقوم بمصالحهم ولا يراعى فيهم ما لأجله احتاجوا إلى منصوب قبله، تستقيح العقول منه ذلك النصب وتنفر عنه، ونصب غير المعصوم من الله تعالى داخل في هذه الحكمة، فعلمنا أنه لا ينصب غير المعصوم، فكل إمام ينصبه الله تعالى فهو معصوم. انتهى.

وقال الشريف المرتضى في رسائله: ٣/٣٢٣:

(مسألة في العصمة: ما حقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للأنبياء والأئمة عليه السلام، وهل هو معنى يضطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية أو معنى يضام الإختيار؟ فإن كان معنى يضطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية، فكيف يجوز الحمد والذم لفاعلهما؟ وإن كان معنى يضام الإختيار، فاذكروه ودُّلُّوا على صحته مطابقتة له، ووجوب اختصاص المذكورين به دون من سواهم، فقد قال بعض المعتزلة: إن الله عصم أنبياءه بالشهادة لهم بالإعتصام، وضلل قوماً بنفس الشهادة عليهم بالضلال، فإن يكن ذلك هو المعتمد، أنعم بذكره ودل على صحته وبطلان ما عساه نعلمه من الطعن عليه، وإن كان باطلاً دل على بطلانه وصحة الوجه المعتمد دون ما سواه؟

الجواب والله التوفيق: أعلم أن العصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا إن الله عصمه، بأن فعل له ما اختار عنده العبد عن القبيح، ويقال إن العبد معصم، لأنه اختار عند هذا الداعي الذي فعل الإمتناع عن القبيح. وأصل العصمة في وضع اللغة المنع، يقال: عصمت فلاناً من سوء إذا منعت من فعله به. غير أن المتكلمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به، لأنه إذا فعل به ما يعلم أن يمتنع عنده من فعل القبيح فقد منعه منه، فأجروا عليه لفظ المانع قسراً أو قهراً. وأهل اللغة يتصارفون ذلك ويستعملونه، لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأى فقبله مختاراً، واحتمى بذلك من ضرر يلحقه هو وماله إنه حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه، وإن كان ذلك على سبيل الإختيار.

فإن قيل: أفتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده الإمتناع من فعل واحد قبيح أنه معصوم.

قلنا: نقول ذلك مضافاً ولا نطلقه، فنقول: أنه معصوم من كذا ولا نطلق، فيوهم أنه معصوم من جميع القبائح، ونطلق في الأنبياء والأئمة

عليهم السلام العصمة بلا تقييد، لأنهم عندنا لا يفعلون شيئاً من القبائح، دون ما يقوله المعتزلة من نفى الكبائر عنهم دون الصغائر.

فإن قيل: فإذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم، أفلا عصم الله جميع المكلفين وفعل بهم ما يختارون عنده الإمتناع من القبائح.

قلنا: كل من علم الله تعالى أن له لطفاً يختار عنده الإمتناع من القبائح، فإنه لا بد أن يفعله وإن لم يكن نبياً ولا إماماً، لأن التكليف يقتضى فعل اللطف على ما دل عليه في مواضع كثيرة.

غير أننا لا نمنع أن يكون في المكلفين من ليس في المعلوم أن فيه سبباً متى فعل اختار عنده الإمتناع من القبائح، فيكون هذا المكلف لالعصمة له في المعلوم ولا- لطف، ولا- يكلف من لا- لطف له بحسن ولا- بقبح، وإنما القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف.

فأما قول بعضهم إن العصمة الشهادة من الله تعالى بالإعتصام، فباطل لأن الشهادة لا يجعل الشيء على ما هو به، وإنما يتعلق به على ما هو عليه، لأن الشهادة هي الخبر، والخبر عن كون الشيء على صفة لا يؤثر في كونه عليها، فيحتاج أولاً إلى أن يتقدم إلى العلم بأن زيداً معصوم أو معتصم، ويوضح عن معنى ذلك، ثم تكون الشهادة من بعده مطابقة لهذا العلم، وهذا بمنزلة من سئل عن حد المتحرك، فقال: هو شهادة بأنه متحرك أو العلم بأنه على هذه الصفة. وفي هذا البيان كفاية لمن تأمل).

وقال الطباطبائي في تفسير الميزان: ٢/١٣٨: (فإن قلت: الذي يدل عليه ما مر من الآيات الكريمة هو أن الأنبياء عليهم السلام لا يقع منهم خطأ ولا يصدر عنهم معصية، وليس ذلك من العصمة في شيء، فإن العصمة على ما ذكره القوم قوة تمنع الإنسان عن الوقوع في الخطأ، وتردعه عن فعل المعصية واقتراف الخطيئة، وليست القوة مجرد صدور الفعل أو عدم صدوره، وإنما هي مبدأ نساني تصدر عنه الفعل كما تصدر الأفعال عن الملكات النفسانية).

قلت: نعم لكن الذي يحتاج إليه في الأبحاث السابقة هو عدم تحقق الخطأ والمعصية من النبي عليه السلام ولا يضر في ذلك عدم ثبوت قوة تصدر عنها الفعل صواباً أو طاعة وهو ظاهر.

ومع ذلك يمكن الإستدلال على كون العصمة مستندة إلى قوة رادعة بما مر في البحث عن الإعجاز من دلالة قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. (الطلاق: ٣) وكذا قوله تعالى: إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (هود: ٥٦) على أن كلاً من الحوادث يحتاج إلى مبدأ يصدر عنه وسبب يتحقق به، فهذه الأفعال الصادرة عن النبي عليه السلام على وتيرة واحدة صواباً وطاعة تنتهي إلى سبب مع النبي عليه السلام وفي نفسه وهي القوة الرادعة.

وتوضيحه: أن أفعال النبي عليه السلام المفروض صدورها طاعة أفعال اختيارية من نوع الأفعال الإختيارية الصادرة عنا، التي بعضها طاعة وبعضها معصية، ولا شك أن الفعل الإختيارى إنما هو اختياري بصدوره عن العلم والمشية، وإنما يختلف الفعل طاعة ومعصية باختلاف الصورة العلمية التي يصدر عنها، فإن كان المقصود هو الجرى على العبودية بامتنال الأمر مثلاً تحققت الطاعة، وإن كان المطلوب- أعنى الصورة العلمية التي يضاف إليها المشية- اتباع الهوى واقتراف ما نهى الله عنه تحققت المعصية، فاختلاف أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذي يصدر عنه الفعل، ولو دام أحد العلمين أعنى الحكم بوجوب الجرى على العبودية وامتثال الأمر الإلهي، لما صدر إلا الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية (والعياذ بالله) لم يتحقق إلا المعصية.

وعلى هذا فصدور الأفعال عن النبي عليه السلام بوصف الطاعة دائماً ليس إلا لأن العلم الذي يصدر عنه فعله بالمشية صورة علمية صالحة غير متغيرة، وهو الإذعان بوجوب العبودية دائماً، ومن المعلوم أن الصورة العلمية والهيئة النفسانية الراسخة غير الزائلة، هي الملكة النفسانية كملكة العفة والشجاعة والعدالة ونحوها، ففي النبي ملكة نفسانية تصدر عنها أفعاله على الطاعة والإتقياد وهي القوة الرادعة عن المعصية.

ومن جهة أخرى النبي عليه السلام لا يخطئ في تلقي الوحي ولا في تبليغ الرسالة ففيه هيئة نفسانية لاتخطئ في تلقي المعارف وتبليغها، ولا تعصى في العمل. ولو فرضنا أن هذه الأفعال وهي على وتيرة واحدة ليس فيها إلا الصواب والطاعة تحققت منه من غير توسط سبب

من الأسباب يكون معه، ولا انضمام من شئ إلى نفس النبي عليه السلام، كان معنى ذلك أن تصدر أفعاله الإختيارية على تلك الصفة بإرادة من الله سبحانه من غير دخالة للنبي عليه السلام فيه، ولازم ذلك إبطال علم النبي عليه السلام وإرادته في تأثيرها في أفعاله، وفي ذلك خروج الأفعال الإختيارية عن كونها اختيارية، وهو يناهى افتراض كونه فرداً من أفراد الإنسان الفاعل بالعلم والإرادة. فالعصمة من الله سبحانه إنما هي بإيجاد سبب في الإنسان النبي يصدر عنه أفعاله الإختيارية صواباً وطاعةً، وهو نوع من العلم الراسخ، وهو الملكة كما مر).

وقال في الميزان: ٥/٧٨، في تفسير قوله تعالى: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣): (ظاهر الآية أن الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ. وبعبارة أخرى: علم مانع عن الضلال، كما أن سائر الإخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كل منها صورة علمية راسخة موجبة لتحقق آثارها، مانعة عن التلبس بأضدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشرة والبخل والتبذير.

والعلم النافع والحكمة البالغة وإن كانا يوجبان تنزه صاحبهما عن الوقوع في مهالك الرذائل، والتلوث بأقذار المعاصي، كما نشاهده في رجال العلم والحكمة والفضلاء من أهل التقوى والدين، غير أن ذلك سبب غالبى كسائر الأسباب الموجودة في هذا العالم المادى الطبيعى، فلا تكاد تجد متلبساً بكمال يحجزه كماله من النواقص ويصونه عن الخطأ صوناً دائماً من غير تخلف، سنه جارية في جميع الأسباب التى نراها ونشاهدها.

والوجه في ذلك أن القوى الشعورية المختلفة في الإنسان يوجب بعضها ذهوله عن حكم البعض الآخر، أو ضعف التفاته إليه، كما أن صاحب ملكة التقوى مادام شاعراً بفضيلة تقواه لا يميل إلى اتباع الشهوة غير المرضية ويجرى على مقتضى تقواه، غير أن اشتعال نار الشهوة وانجذاب نفسه إلى هذا النحو من الشعور، ربما حجبه عن تذكر فضيلة التقوى أو ضعف شعور التقوى، فلا يلبث دون أن يرتكب ما لا يرتضيه التقوى، ويختار سفاسف الشرة، وعلى هذا السبيل سائر الأسباب الشعورية في الإنسان.

وإلا فالإنسان لا يجيد عن حكم سبب من هذه الأسباب ما دام السبب قائماً على ساق، ولا مانع يمنع من تأثيره، فجميع هذه التخلفات تستند إلى مغالبة التقوى والأسباب، وتغلب بعضها على بعض.

ومن هنا يظهر أن هذه القوة المسماة بقوة العصمة سبب شعورى علمى غير مغلوب البتة، ولو كانت من قبيل ما نتعارفه من أقسام الشعور والإدراك لتسرب إليها التخلف، وخبطت في أثرها أحياناً، فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم والإدراكات المتعارفة التى تقبل الإكتساب والتعلم. وقد أشار الله تعالى إليه في خطابه الذى خص به نبيه صلى الله عليه وآله بقوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) وهو خطاب خاص لانفقه حقيقة الفقه، إذ لا ذوق لنا في هذا النحو من العلم والشعور.

غير أن الذى يظهر لنا من سائر كلامه تعالى بعض الظهور كقوله: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. (البقرة: ٩٧) (نزل به الروح الأمين، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، (الشعراء: ١٩٥-١٩٦) أن الإنزال المذكور من سنخ العلم، ويظهر من جهة أخرى أن ذلك من قبيل الوحي والتكليم، كما يظهر من قوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، الآية.. (الشورى: ١٣) وقوله: أَنَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، (النساء: ١٦٣) وقوله: إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ. (الأنعام: ٥٠)، وقوله: إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ (لأعراف: ٢٠٣) ويستفاد من الآيات على اختلافها أن المراد بالإنزال هو الوحي، وحى الكتاب والحكمة، وهو نوع تعليم إلهى لنبيه صلى الله عليه وآله.

غير أن الذى يشير إليه بقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) ليس هو الذى علمه بوحي الكتاب والحكمة فقط، فإن مورد الآية قضاء النبي صلى الله عليه وآله في الحوادث الواقعة والدعاوى التى ترفع إليه برأيه الخاص، وليس ذلك من الكتاب والحكمة بشئ وإن كان متوقفاً عليهما بل رأيه ونظره الخاص به. ومن هنا يظهر أن المراد بالإنزال والتعليم فى قوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمِيَّةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) نوعان اثنان من العلم، أحدهما التعليم بالوحي ونزول الروح الأمين على النبي صلى الله عليه وآله والإخر: التعليم بنوع من الإلقاء في القلب والإلهام الخفى الإلهي من غير إنزال الملك، وهذا هو الذى تؤيده الروايات الواردة فى علم النبي صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا فالمراد بقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، آتاك نوعاً من العلم لو لم يؤتك إياه من لدنه لم يكفك فى إيتائه الأسباب العادية التى تعلم الإنسان ما يكتسبه من العلوم.

فقد بان من جميع ما قدمناه أن هذه الموهبة الإلهية التى نسميها قوة العصمة نوع من العلم والشعور، يغير سائر أنواع العلوم فى أنها غير مغلوبة لشيء من القوى الشعورية البتة، بل هى الغالبة القاهرة عليها المستخدمة إياها، ولذلك كانت تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً.

وقد ورد فى الروايات أن للنبي والإمام عليهما السلام روحاً تسمى روح القدس تسدده وتعصمه عن المعصية والخطيئة، وهى التى يشير إليها قوله تعالى وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا، (الشورى: ٥٢) بتزليل الآية على ظاهرها من الإلقاء عليه صلى الله عليه وآله ونظيره قوله تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ، (الأنبياء: ٧٣) بناء على ما سيجى من بيان معنى الآية إن شاء الله العزيز أن المراد به تسديد روح القدس الإمام بفعل الخيرات وعبادة الله سبحانه. وبأن مما مر أيضاً أن المراد بالكتاب فى قوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، هو الوحي النازل لرفع اختلافات الناس على حد قوله تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. (البقرة: ٢١٣).

دفاع أهل البيت و شيعتهم عن عصمة الأنبياء

الإمام الصادق يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء

إشارة

فى أمالى الصدوق ص ١٦٣: (حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنا على بن محمد بن قتيبة عن حمدان بن سليمان، عن نوح بن شعيب، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح، عن علقمة، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وقد قلت له: يا بن رسول الله أخبرنى من تقبل شهادته ومن لا تقبل شهادته؟ فقال: (يا علقمة، كل من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته. قال فقلت له: تقبل شهادة المقترف للذنوب؟ فقال: يا علقمة لو لم تقبل شهادة المقترفين للذنوب لما قبلت إلا شهادات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم، لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق، فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان، فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة، وإن كان فى نفسه مذنباً...

قال علقمة: فقلت للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله أن الناس ينسبوننا إلى عظام الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال عليه السلام:

يا علقمة أن رضا الناس لا يملك، وألستهم لا تضبط، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام!؟

ألم ينسبوا يوسف إلى أنه هم بالزنا؟! ألم ينسبوا أيوب إلى أنه ابتلى بذنوبه؟!؟

ألم ينسبوا داود إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهاها! وأنه قدم زوجها إمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها؟!؟

ألم ينسبوا موسى إلى أنه عين وآذوه حتى برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها؟!؟

ألم ينسبوا جميع أنبياء الله إلى أنهم سحرة طلبه الدنيا؟!

ألم ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟!

ألم ينسبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله إلى أنه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء! حتى أظهره الله عز وجل على القطيفة وبرأ نبيه من الخيانة، وأنزل بذلك في كتابه: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! ألم ينسبوه إلى أنه ينطق عن الهوى في ابن عمه علي حتى كذبهم الله عز وجل، فقال سبحانه: وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ؟!

ألم ينسبوه إلى الكذب في قوله: أنه رسول من الله إليهم؟ حتى أنزل الله عز وجل عليه: وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ؟ ولقد قال يوماً: عرج بي البارحة إلى السماء. فقيل: والله ما فارق فراشه طول ليلته.

وما قالوا في الأوصياء عليهم السلام أكثر من ذلك! ألم ينسبوا سيد الأوصياء عليه السلام إلى أنه كان يطلب الدنيا والملك وأنه كان يؤثر الفتنة على السكون، وأنه يسفك دماء المسلمين بغير حلها، وأنه لو كان فيه خير ما أمر خالد بن الوليد بضرب عنقه؟ ألم ينسبوه إلى أنه أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله شكاه على المنبر إلى المسلمين، فقال: أن علياً يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله، إلا أن فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ومن سرها فقد سرنى، ومن غاظها فقد غاظني؟

ثم قال الصادق عليه السلام: يا علقم، ما أعجب أقاويل الناس في علي عليه السلام!

كم بين من يقول: أنه رب معبود، وبين من يقول: أنه عبد عاص للمعبود! ولقد كان قول من ينسبه إلى العصيان أهون عليه من قول من ينسبه إلى الربوبية.

يا علقم، ألم يقولوا الله عز وجل: أنه ثالث ثلاثة؟ ألم يشبهوه بخلقه؟ ألم يقولوا أنه الدهر؟ ألم يقولوا: أنه الفلك؟ ألم يقولوا: أنه جسم؟ ألم يقولوا: أنه صورة؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

يا علقم، أن الألسنة التي تتناول ذات الله تعالى ذكره بما لا يليق بذاته، كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه! فاستعينوا بالله واصبروا، أن الأرض يُورثها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. فإن بنى إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا، فقال الله عز وجل: قل لهم يا موسى: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عِبْدُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ). (الأعراف: ١٢٩)

الإمام الرضا عليه السلام يدافع عن عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٧٤. (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام: (حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي (رض) قال: حدثني أبي عن حمدان بن سليمان النيسابوري عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليهما السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: الأنبياء معصومون؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله عز وجل: وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ؟

فقال عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى قال لآدم: (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، وأشار لهما إلى شجرة الحنطة فتكونا من الظالمين، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان اليهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة، وإنما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها، إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، فدلاهما بغيرور، فأكلا منها ثقةً بيمينه بالله. وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم

يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم > فلما اجتبه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. وقال عز وجل: أن الله اصطفى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا؟

فقال له الرضا عليه السلام: < إن حواء ولدت لآدم خمس مائة بطن ذكراً وأُنثى، > وإن آدم عليه السلام وحواء عاهداً الله عز وجل ودعواهما وقالوا: لئن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا مِنَ النَّسْلِ خَلَقًا سَوِيًّا بَرِيئًا مِنَ الزَّمَانَةِ وَالْعَاهَةِ وَكَانَ مَا آتَاهُمَا صِنْفَيْنِ صِنْفًا ذَكَرْنَا وَصِنْفًا إِنَانًا، فجعل الصنفان لله تعالى شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

فقال المأمون: أشهد إنك ابن رسول الله حقاً، فأخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي؟

فقال الرضا عليه السلام: أن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثه أصناف صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفى فيه فلماً جَنَّ عَلَيْهِ فَرَأَى الزَّهْرَةَ قَالَ: هَذَا رَبِّي؟! على الإنكار والاستخبار فلماً أَفَلَ الكوكب قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ، لأن الأفل من صفات المحدث لا من صفات القدم، فلماً رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي على الإنكار والاستخبار: فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، يقول: لو لم يهدني ربي لكنت من القوم الضالين، فلما أصبح رأى الشمس بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ مِنَ الزَّهْرَةِ وَالْقَمَرِ، على الإنكار والاستخبار لا على الأخبار والإقرار، فلماً أَفَلَتْ قَالَ لِلْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ مِنْ عِبَادَةِ الزَّهْرَةِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا- تحق لما كان بصفه الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض.

وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال الله عز وجل: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.

فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي؟

قال الرضا عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إنى متخذ من عبادى خليلاً أن سألتنى إحياء الموتى أحبته، فوقع فى نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل، فقال: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي عَلَى الْخَلَّةِ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فأخذ إبراهيم عليه السلام نسرًا وطاووساً وديكاً، فقطعهنَّ وخالطهنَّ، ثم جعل على كل جبل من الجبل التى حوله وكانت عشرة منهن جزءً وجعل مناقيرهن بين أصابعه، ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماءً، فتطارت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى انضمَّ إلى رقبته ورأسه، فخلَّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطُرْنَ، ثم وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحب وقلن: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَحْيَيْتَنَا، أحياك الله. فقال إبراهيم: بل الله يحيى ويميت، وهو على كل شئ قدير.

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؟

قال الرضا عليه السلام: أن موسى دخل مدينه من مدائن فرعون على حين غفلةٍ من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ، فقضى موسى على العدو، وبحكم الله تعالى ذكره فَوَكَرَهُ، فمات! قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، يعنى الإقتال الذى كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله. أنه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، يعنى الشيطان.

فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؟

قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة، فَاغْفِرْ لِي، أي أسترني من أعدائك لثلاث يظفروا بي فيقتلونني، فَعَفَرَ لَهُ أَنَّهُ هُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ، قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، من القوة حتى قتلت رجلاً بوكرة، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ، بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى.

فَأَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ عَلَى آخِرٍ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُبِينٌ، قَاتَلْتَ رَجُلًا بِالْأَمْسِ وَتَقَاتَلَ هَذَا الْيَوْمَ، لِأَوْذِينِكَ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا وَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِ قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ أَنْ تُرِيدَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ.

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ؟

قال الرضا عليه السلام: أن فرعون قال: لموسى لما أتاه: وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ، بى! قال موسى: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ، عن الطريق بوقوعى إلى مدينه من مدائنك، فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُزْسَلِينَ، وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، يقول: ألم يجدك وحيداً فأوى إليك الناس. وَوَجَدَكَ ضَالًّا، يعنى عند قومك، فَهَدَى، أى هداهم إلى معرفتك.

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى، يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً.

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله، فما معنى قول الله عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَتْ لَنْ تَرَئِنِي، كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟

قال الرضا عليه السلام: أن كلم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى أعز من أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً، رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ كَمَا سَمِعْتَ، وكان القوم سبعمئة ألف رجل، فاختر منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمئة، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربهم، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم فى سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وإمام، لأن الله عز وجل أحدثه فى الشجرة، وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ بِأَنْ هَذَا الَّذِي سَمِعْنَاهُ كَلَامَ اللَّهِ: حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقه فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك، فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك نظره إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا- كيفيه له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقاله بنى إسرائيل، وأنت أعلم بصلاحتهم فأوحى الله جل جلاله: يا موسى سلنى ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَتْ لَنْ تَرَئِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ سَيِّئَةً مَكَانَهُ وَهُوَ يَهْوَى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صِرَعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ يَقُولُ: رجعت إلى معرفتى بك عن جهل قومى وأنا أول المؤمنين منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فأخبرنى عن قول الله عز وجل: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ؟

قال الرضا عليه السلام: لقد همت به ولولا- أن رأى برهان ربه لهمم بها كما همت، لكنه عليه السلام كان معصوماً والمعصوم لا يهتّم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثنى أبى عن أبىه الصادق عليهما السلام أنه قال: هَمَّتْ بِأَنْ تَفْعَلَ، وَهَمَّ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: **وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ؟** فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى استيقناً لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ أى لن نصيق رزقه، ومنه قوله عز وجل: **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، أَى ضيق وقتراً. فَتَأَدَّى فِي الظُّلُمَاتِ،** أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت أن لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتنى لها في بطن الحوت، فاستجاب الله وله وقال عز وجل: **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.**

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: **حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا؟** قال الرضا عليه السلام يقول الله عز وجل: **حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَن قَوْمِهِمْ أَنْ الرُّسُلَ قَدْ كُذِّبُوا، جَاءَ الرُّسُلَ نَصْرُنَا.** فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني قول الله عز وجل: **لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟** قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة وستين صنماً فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمته الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: **أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا أُنْ هَذَا لَشَيْءٍ عَجَابٍ.** وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ أَنْ هَذَا لَشَيْءٍ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَأَةِ الْآخِرَةِ أَنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ. فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له يا محمد: **أَنَا فَتَحْنَا لَكَ > مَكَّةَ فَتَحْنَا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ،** عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم. **وَمَا تَأَخَّرَ،** لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عز وجل: **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ؟** قال الرضا عليه السلام: هذا مما نزل بإياك أعنى واسمعى يا جارة، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته وكذلك قوله: **تَعَالَى: لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين،** وقوله عز وجل: **وَلَوْلَا أَنْ تَبَتْنَاكَ لَقَدْ كَدْتِ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا.**

قال صدقت يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ؟**

قال الرضا عليه السلام: **< إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الذى خلقك، وإنما أراد بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله، فقال الله عز وجل: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا،** فقال النبي صلى الله عليه وآله: لما رآها تغتسل: سبحان الذى خلقك أن يتخذ له ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والإغتسال، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجى رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله لها: سبحان الذى خلقك! فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها > فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: يا رسول الله أن امرأتى فى خلقها سوء وإنى أريد طلاقها فقال النبي صلى الله عليه وآله: **أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ،** وقد كان الله عز وجل عرفه عدد أزواجه وإن تلك المرأة صلى الله عليه وآله ومنهن، فأخفى ذلك فى نفسه، ولم يبد له زيد، وخشى الناس أن يقولوا أن محمداً يقول لمولاه: أن امرأتك ستكون لى زوجته، يعيبونه بذلك، فأنزل الله عز وجل: **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَعْنَى بِالْإِسْلَامِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ** يعنى بالعتق أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ.

ثم أن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيه محمد صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا.** ثم علم الله عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل الله تعالى: **مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا.**

فقال المأمون: لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليّ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.
قال علي بن محمد بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله وكان حاضر المجلس وتبعتهما، فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال له: عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم!
فقال المأمون: أن ابن أخيك من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين قال فيهم النبي:
إلا- أن أبرار عترتي وأطياب أرومتي أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى، ولا يدخلونكم في باب ضلالة.
وانصرف الرضا عليه السلام إلى منزله، فلما كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له، فضحك عليه السلام ثم قال: يا ابن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه فإنه سيغتنني، والله تعالى ينتقم لي منه!
قال مصنف هذا الكتاب: هذا الحديث غريب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام). انتهى. (ورواه الصدوق أيضاً في التوحيد/٧٤: و/١٢١)

ملاحظة

اعتبر السيد الخوئي قدس سره علي بن الجهم وعلي بن محمد بن الجهم، شخصاً واحداً، قال في معجم رجال الحديث: ١٢/٣٢٣: (علي بن الجهم: عن مروج الذهب أنه بلغ من نصب علي بن الجهم أنه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك فقال: بتسميتي علياً! قال ابن شهر آشوب: قال أبو العيناء لعل بن الجهم: إنما تبغض علياً لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول، وأنت أحدهما! فقال له: يا مخنث! فقال أبو العيناء: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ!!
وقال في: ١٣/١٤٢: (علي بن محمد بن الجهم: روى الصدوق بإسناده عنه في حديث ذكر في آخره أن المأمون سأل محمد بن جعفر بن محمد وقال: كيف رأيت ابن أخيك (الرضا عليه السلام)؟ فقال: عالم، ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم... الخ. ثم قال السيد الخوئي رحمه الله: أقول: كأن علي بن محمد بن الجهم، هو علي بن الجهم المتقدم). انتهى.
لكنَّ علي بن محمد بن الجهم إسم لعديد من الرواة، وقد ميزوا بعضهم بالسمري، وبعضهم بالكاتب، وبعضهم بالسائي، وبعضهم بكنية أبي طالب... (راجع كفاية الخطيب ص ٩٠ قال: أنا أبو طالب علي بن محمد بن الجهم الكاتب، قال ثنا صالح بن أحمد بن حنبل...).
وميزه الكلباسي في سماء المقال: ١/٨: فقال: (علي بن الجهم بن بدر السائي: كان أكذب خلق الله، مشهوراً بالنصب كثير الحط على علي وأهل البيت عليهم السلام وقيل إنه كان يلعن أباه لم سماه علياً).
أما الحسكاني في شواهد التنزيل: ١/٤٢، فروى عن أبي الفضل جعفر بن الفضل الوزير بمكة، قال: حدثنا علي بن محمد بن الجهم.. وروى عنه فضيلة لأمر المؤمنين عليهم السلام)

كما روى الزرندي في نظم درر السمطين: ص ٢٤٢، عن علي بن الجهم معجزة الإمام الهادي عليه السلام مع المتوكل.
ولعل الذي روى عنه الصدوق غير الذين ترجموا لهم بهذا الإسم، لاسيما أن رواية أبي الصلت التي نقلناها في مقدمة الكتاب عن العيون: ٢/١٧٠، تدل على أنه كان من العلماء الذين اختارهم المأمون لمناظرة الإمام الرضا عليه السلام وأنه لم يكن معانداً بل كان مؤدباً مخبتاً مطيعاً للحق، فقد جاء في آخرها:
(وفي آخرها: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا ابن رسول الله، أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومى إلا بما ذكرتته).

فمن المحتمل أنه اهتدى بعد مناظرته مع الإمام الرضا عليه السلام ولم يطلع الصدوق على ذلك.
لكن الإشكال الأهم من إسم ابن الجهم، متن روايته، ففيها تنزيهٌ للأنبياء عليهم السلام يتفق مع مذهبنا، وفيها ما يخالف عصمتهم التامة

قبل البعثة، ولذا قال صاحب الميزان: ١/١٤٦: (أقول: قال الصدوق رحمه الله بعد نقل الحديث على طوله: والحديث عجيب من طريق على بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام. انتهى. وما أعجبه منه إلا ما شاهده من اشتماله على تنزيه الأنبياء عليهم السلام من غير أن يمعن النظر في الأصول المأخوذة فيه، فما نقله من جوابه عليه السلام في آدم لا يوافق مذهب أئمة أهل البيت المستفيض عنهم من عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها.

على أن الجواب مشتمل على تقدير في قوله تعالى: مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا...، إلى مثل قولنا: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وإنما نهاكما عن غيرها، وما نهاكما عن غيرها إلا أن تكونوا.. الخ). انتهى.

فالرواية مضافاً إلى الجهالة في سندها، فيها إشكالات تتعلق بالعصمة، وقد وضعنا أهم فقراتها بين قوسين). < > لكنها بقرينة الشواهد الأخرى الصحيحة، تدل على أن الإمام الرضا عليه السلام قد أجاب المأمون على تمسك العامة بالمشابهات وشبهات اليهود على عصمة الأنبياء التامة عليهم السلام، وشبهات قريش على عصمة نبينا صلى الله عليه وآله، وإن كان الرواي ابن الجهم أو غيره رواها متأثرةً بتصوره، ولم يحفظها بدقة!

استغفار الأنبياء والأوصياء وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب

إشاره

في الخصال للصدوق ص ٣٩٩: (حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي الخزاز، عن فضل الأشعري، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب.

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علي السكري قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عماره، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهم السلام قال: أن أيوب عليه السلام ابتلى من غير ذنب، وإن الأنبياء لا يذنبون لأنهم معصومون مطهرون، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وقال عليه السلام: إن أيوب عليه السلام مع جميع ما ابتلى به لم ينتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدّة من دم ولا قيح، ولا استقدره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا يدود شئ من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه. وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: أعظم الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة، وإنما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس، لئلا يدعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظام نعمته متى شاهده، ليستدلوا بذلك على أن الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق واختصاص، ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره ولأمريضاً لمرضه، وليعلموا أنه يسقم من يشاء ويشفى من يشاء، متى شاء كيف شاء بأي سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن يشاء وشقاوة لمن يشاء وسعادة لمن يشاء، وهو في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلا الأصلاح لهم، ولا قوة لهم إلا به).

وفي معاني الأخبار/ ٣٨٣: (حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، أرأيت ما أصاب علياً وأهل بيته هو بما كسبت أيديهم، وهم أهل بيته طهارة معصومون؟

فقال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عز وجل ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مره من غير ذنب. أن الله عز وجل يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب). (ورواه في الكافي: ٢/٤٥٠)

وفى الكافي: ٢/٤٥٠: (على بن إبراهيم، رفعه قال: لما حمل على بن الحسين إلى يزيد بن معاوية فأوقف بين يديه، قال يزيد: وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم، فقال على بن الحسين: ليست هذا الآية فينا أن فينا قول الله عز وجل: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا أَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

ملاحظة

إن نفى الذنوب عن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام والإعتقاد بأنهم مطهرون منها، كما فى الخصال ص ٦٠٣ وأمالى الصدوق ص ٧٣٨، لا ينافيه وجود آيات تنسب اليهم الذنوب عليهم السلام، لأنها ذنوب من مستواهم وليست من نوع ذنوبنا، فيصح إطلاق الذنوب عليها بلحاظ، ونفى كونها ذنوباً بلحاظ آخر، كما لو دخل شخص مجلساً ولم يسلم على أهله، فقلت له هذا ذنب لا يناسب أخلاقك العالیه، ثم قلت له: لكن لا بأس فهو ليس ذنباً شرعياً.

هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة تحت سيف هارون الرشيد

فى كمال الدين للصدوق ص ٣٦٢: (حدثنا أحمد بن زياد الهمداني، والحسين بن إبراهيم بن ناتان رضى الله عنهما قالوا: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير قال: أخبرني على الأسوارى قال: كان ليحيى بن خالد مجلس فى داره يحضره المتكلمون من كل فرقة وملء يوم الأحد فيتناظرون فى أديانهم، يحتج بعضهم على بعض، فبلغ ذلك الرشيد، فقال ليحيى بن خالد: يا عباسى ما هذا المجلس الذى بلغنى فى منزلتك يحضره المتكلمون؟ قال: يا أمير المؤمنين ما شئ مما رفعنى به أمير المؤمنين وبلغ بى من الكرامة والرفعة أحسن موقعاً عندى من هذا المجلس، فإنه يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على بعض ويعرف المحق منهم، ويتبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم.

فقال له الرشيد: أنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم على أن لا يعلموا بحضورى فيحتشمونى ولا يظهروا مذاهبهم، قال: ذلك إلى أمير المؤمنين متى شاء، قال: فضع يدك على رأسى أن لا تعلمهم بحضورى، ففعل، وبلغ الخبر المعتزلة، فتشاوروا بينهم وعزموا على أن لا يكلموا هشاماً إلا فى الإمامة لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالإمامة. قال: فحضروا وحضر هشام، وحضر عبد الله بن يزيد الإياضى وكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم، وكان يشاركه فى التجارة، فلما دخل هشام سلم على عبد الله بن يزيد من بينهم، فقال يحيى بن خالد لعبد الله بن يزيد: يا عبد الله كلم هشاماً فيما اختلفتم فيه من الإمامة.

فقال هشام: أيها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا- مسألة إن هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامة رجل، ثم فارقونا بلا علم ولا معرفة، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحق، ولا حين فارقونا علموا على ما فارقونا، فليس لهم علينا مسألة ولا جواب.

فقال بيان، وكان من الحرورية: أنا أسألك يا هشام، أخبرنى عن أصحاب على يوم حكموا الحكمين أكانوا مؤمنين أم كافرين؟ قال هشام: كانوا ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون، وصنف مشركون، و صنف ضلال، فأما المؤمنون فمن قال مثل قولى إن علياً عليه السلام إمام من عند الله عز وجل ومعاوية لا يصلح لها، فآمنوا بما قال الله عز وجل فى على عليه السلام وأقروا به. وأما المشركون فقوم قالوا: على إمام، ومعاوية يصلح لها، فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع على عليه السلام. وأما الضلال: فقوم خرجوا على الحمية والعصبية للقبائل والعشائر لم يعرفوا شيئاً من هذا وهم جهال.

قال: فأصحاب معاوية ما كانوا؟ قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف كفرون، وصنف مشركون، وصنف ضلال. فأما الكافرون: فالذين قالوا إن معاوية إمام، وعلى لا يصلح لها، فكفروا من جهتين إذ جحدوا إماماً من الله عز وجل، ونصبوا إماماً ليس من الله. وأما المشركون: فقوم قالوا: معاوية إمام، وعلى يصلح لها، فأشركوا معاوية مع على عليه السلام. وأما الضلال: فعلى سبيل أولئك خرجوا للحمية

والعصية للقبائل والعشائر. فانقطع بيان عند ذلك.

فقال ضرار: وأنا أسألك يا هشام في هذا؟ فقال هشام: أخطأت قال: ولم؟ قال: لأنكم كلكم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي، وقد سألتني هذا عن مسألة وليس لكم أن تثنوا بالمسألة عليّ حتى أسألك يا ضرار عن مذهبك في هذا الباب؟ قال ضرار: فسل، قال: أتقول إن الله عز وجل عدل لا يجور؟ قال: نعم هو عدل لا يجور تبارك وتعالى.

قال: فلو كلف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيل الله، وكلف الأعمى قراءة المصاحف والكتب أترأه كان يكون عادلاً أم جائراً؟ قال ضرار: ما كان الله ليفعل ذلك.

قال هشام: قد علمت أن الله لا يفعل ذلك ولكن ذلك على سبيل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً إذ كلفه تكليفاً لا يكون له السبيل إلى إقامته وأدائه؟ قال: لو فعل ذلك لكان جائراً.

قال: فأخبرني عن الله عز وجل كلف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لا يقبل منهم إلا أن يأتوا به كما كلفهم؟ قال: بلى. قال: فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين، أو كلفهم مالا دليل لهم على وجوده فيكون بمنزلة من كلف الأعمى قراءة الكتب والمعقد المشي إلى المساجد والجهاد؟ قال: فسكت ضرار ساعة، ثم قال: لا بد من دليل وليس بصاحبك!

قال: فتبسم هشام وقال: تشيع شطرك وصرت إلى الحق ضرورة ولا خلاف بيني وبينك إلا في التسمية! قال ضرار: فإني أرجع القول عليك في هذا.

قال: هات.. قال ضرار لهشام: كيف تعقد الإمامة؟ قال هشام: كما عقد الله عز وجل النبوة.

قال: فهو إذاً نبي! قال هشام: لا لأن النبوة يعقدها أهل السماء، والإمامة يعقدها أهل الأرض فعقد النبوة بالملائكة، وعقد الإمامة بالنبي، والعقدان جميعاً بأمر الله جل جلاله. قال: فما الدليل على ذلك؟ قال هشام: الإضرار في هذا. قال ضرار: وكيف ذلك؟

قال هشام: لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه: أما أن يكون الله عز وجل رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فلم يكلفهم ولم يأمرهم ولم ينههم فصاروا بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها، أفتقول هذا يا ضرار إن التكليف عن الناس مرفوع بعد الرسول صلى الله عليه وآله؟ قال: لا أقول هذا.

قال هشام: فالوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس المكلفون قد استحالوا بعد الرسول صلى الله عليه وآله علماء في مثل حد الرسول في العلم حتى لا يحتاج أحد إلى أحد، فيكونوا كلهم قد استغنوا بأنفسهم، وأصابوا الحق الذي لا اختلاف فيه! أفتقول هذا إن الناس استحالوا علماء حتى صاروا في مثل حد الرسول في العلم بالدين حتى لا يحتاج أحد إلى أحد، مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابتهم الحق؟

قال: لا أقول هذا، ولكنهم يحتاجون إلى غيرهم.

قال: فبقى الوجه الثالث وهو أنه لا بد لهم من عالم يقيمه الرسول لهم لا يسهوا ولا يغلطوا ولا يحيفوا، معصوم من الذنوب، مبرؤ من

الخطايا، يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد.

قال: فما الدليل عليه؟ قال هشام: ثمان دلالات أربع في نعت نسبه، وأربع في نعت نفسه. فأما الأربع التي في نعت نسبه: فإنه يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وإن يكون من صالِب الملة والدعوة إليه إشارة، فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين منهم صاحب الملة والدعوة الذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرات على الصوامع " أشهد أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله " فتصل دعوته إلى كل بر وفاجر وعالم وجاهل، مقر ومنكر، في شرق الأرض وغربها، ولو جاز أن تكون الحجة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطالب المرتاد دهر من عصره لا يجده، ولجاز أن يطلبه في أجناس من هذا الخلق من العجم وغيرهم، ولكان من حيث أراد الله عز وجل أن يكون صلاح يكون فساد، ولا يجوز هذا في حكمه الله جل وجلاله وعدله أن يفرض على الناس فريضة لا توجد. فلما لم يجز ذلك لم يجز أن يكون إلا في هذا الجنس لا تصاليه بصاحب الملة والدعوة، فلم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملة وهي قريش، ولما لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والدعوة، ولما كثر أهل هذا البيت وتشاجروا في الإمامة لعلوها وشرفها، ادعاها كل واحد منهم فلم يجز إلا أن يكون من صاحب الملة والدعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه كيلا يطمع فيها غيره.

وأما الأربع التي في نعت نفسه: فإن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل، وإن يكون معصوماً من الذنوب كلها، وإن يكون أشجع الناس، وإن يكون أسخى الناس.

فقال عبد الله بن يزيد الإباضي: من أين قلت: أنه أعلم الناس؟

قال: لأنه أن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقبل الحدود، فمن وجب عليه القطع حده، ومن وجب عليه الحد قطعه، فلا يقيم الله عز وجل حداً على ما أمر به فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً.

قال: فمن أين قلت: أنه معصوم من الذنوب؟ قال: لأنه إن لم يكن معصوماً من الذنوب دخل في الخطأ، فلا يؤمن أن يكتف على نفسه ويكتف على حميمه وقريبه، ولا يحتج الله بمثل هذا على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أشجع الناس؟

قال: لأنه فئته للمسلمين الذي يرجعون إليه في الحروب، وقال الله عز وجل: وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَكُذِّبَ بَاءً بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، فإن لم يكن شجاعاً فَرَّ فيبوء بغضب من الله، ولا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله عز وجل حجة الله على خلقه.

قال: فمن أين قلت أنه أسخى الناس؟

قال: لأنه خازن المسلمين فإن لم يكن سخياً تآقت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً، ولا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن.

فعند ذلك قال ضرار: فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت؟

فقال: صاحب القصر أمير المؤمنين! وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله، فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النورة، ويحك يا جعفر، وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في الستر، من يعنى بهذا؟

فقال: يا أمير المؤمنين يعنى به موسى بن جعفر، قال: ما عنى بها غير أهلها، ثم عضَّ على شفتيه وقال: مثل هذا حتى ويبقى لى ملكى ساعة واحدة! فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف!!

وعلم يحيى أن هشاماً قد أتى، فدخل الستر فقال: يا عباسى ويحك من هذا الرجال؟ فقال: يا أمير المؤمنين حسبك، تكفى تكفى! ثم خرج إلى هشام فغمزه، فعلم هشام أنه قد أتى فقام يريهم أنه يبول أو يقضى حاجة، فلبس نعليه وانسل، ومر بيته وأمرهم بالتواري، وهرب ومر من فوره نحو الكوفة، فوافى الكوفة ونزل على بشير النبال- وكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام

- فأخبره الخبر، ثم اعتل عله شديدة فقال له البشير: آتيك بطيب؟ قال: لا أنا ميت، فلما حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازى فاحملنى فى جوف الليل وضعنى بالكناسه واكتب رقعته وقل: هذا هشام بن الحكم الذى يطلبه أمير المؤمنين، مات حتف أنفه. وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه، وحضر القاضى وصاحب المعونه والعامل و المعدلون بالكوفة، وكتب إلى الرشيد بذلك، فقال: الحمد لله الذى كفانا أمره فخلى عنمن كان أخذ به!! انتهى. (وعنه فى البحار بتفاوت سير: ٤٨/١٩٧)

وفى هذا النص دلالات هامه تاريخيه وعقديه، وهو يكشف الحكمة من نهى الإمام الكاظم عليه السلام لهشام رحمه الله نهياً مشدداً عن المشاركة فى ذلك مجلس المناظرات البرمكى!
وإن كان زمن هذه القصة بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام بكثير حيث توفى الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣، وهشام قريب الميتين.

مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله يدافع عن عصمة نبينا

فى مصنفات الشيخ المفيد: ١/٣٠: (فصل: ومن كلام الشيخ أدام الله عزه أيضاً: حضر فى دار الشريف أبى عبدالله محمد بن محمد بن طاهر رحمه الله، وحضر رجل من المتفقهه يعرف بالورثانى وهو من فقهاءهم، فقال له الورثانى: أليس من مذهبك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً من الخطأ، مبراً من الزلل مأموناً عليه من السهو والغلط، كاملاً بنفسه غنياً عن رعيته؟ فقال له الشيخ أيدى الله: بلى كذلك كان صلى الله عليه وآله.

قال له: فما تصنع فى قول الله جل جلاله: **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**، أليس قد أمره الله بالإستعانة بهم فى الرأى وأفقره إليهم، فكيف يصح لك مادعت مع ظاهر القرآن وما فعله النبى صلى الله عليه وآله؟ فقال له الشيخ أدام الله عزه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى آرائهم ولحاجه دعتهم إلى مشورتهم من حيث ظننت وتوهمت، بل لأمر آخر أنا أذكره لك بعد الإيضاح عما أخبرتك به، وذلك أنا قد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً من الكبائر والصغائر، وإن خالفت أنت فى عصمته من الصغائر. وكان أكمل الخلق باتفاق أهل الملئ وأحسنهم رأياً وأوفرهم عقلاً وأكملهم تدبيراً، وكانت المواد بينه وبين الله سبحانه متصله والملائكه تتواتر عليه بالتوفيق من الله عز وجل والتهديب، والإنباء له عن المصالح، وإذا كان بهذه الصفات لم يصح أن يدعو داع إلى اقتباس الرأى من رعيته، لأنه ليس أحد منهم إلا وهو دونه فى سائر ما عددناه، وإنما يستشير الحكيم غيره على طريق الإستفاده والإستعانة برأيه إذا تيقن أنه أحسن رأياً منه وأجود تدبيراً وأكمل عقلاً أو ظن ذلك فأما إذا أحاط علماً بأنه دونه فيما وصفناه، لم يكن للإستعانة فى تدبيره برأيه معنى، لأن الكامل لا يفتقر إلى الناقص فيما يحتاج فيه إلى الكمال، كما لا يفتقر العالم إلى الجاهل فيما يحتاج فيه إلى العلم. والآيه بيئه يدل متضمنها على ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**، فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأيه ومشورتهم).

مرجع الشيعة السيد المرتضى قدس سره يؤلف كتاباً فى تنزيه الأنبياء

ألف السيد المرتضى وهو من أكابر علمائنا رحمه الله توفى سنة ٤٣٦، كتاباً خاصاً سماه "تنزيه الأنبياء"، ليساعد الشيعة فى وقوفهم إمام ثقافه اليهود التى نشرها الحكام فى الأمه، وقد ردّ فيه افتراءهم على الأنبياء عليهم السلام وما تمسكوا به من متشابهات القرآن. وقد تتبعت المؤلفات فى هذا الموضوع، وأقدم ما رأيت منها كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام لجعفر بن مبشر الكاتب المعتزلى، ذكره كتابه ابن النديم فى الفهرست ص ٢٠٨، وقال الذهبى فى ميزان الإعتدال: ١/٤١٤: (جعفر بن مبشر الثقفى، من رؤوس المعتزله، له تصانيف فى الكلام، وهو أخو الفقيه حبيش بن مبشر... مات سنة أربع وثلاثين ومائتين). انتهى.

وأخوه حبيش هذا من رواة الشيعة وفقهائهم المشهورين في بغداد.

كما وجدت إسم كتاب عصمة الأنبياء لأحمد بن سهل أبي زيد البلخي المعتزلي أيضاً، توفي ٣٢٢، ذكره ابن النديم في الفهرست ص ١٥٣، وابن حجر في لسان الميزان: ١/١٨٣.

وهذا يدل على أن المدافعين عن عصمة الأنبياء عليهم السلام كانوا الشيعة وبعض المعتزلة فقط، وإن أتباع الفرق الموالية للحكم القرشي كانوا يقبلون الإسرائيليات فيهم التي تطعن في عصمتهم قبل النبوة وبعدها!

أما في القرون المتأخرة فنجد مؤلفات كثيرة في تنزيه الأنبياء عليهم السلام أكثرها لعلماء شيعة، وأقل منها لمعتزلة وقليل منها لصوفية وعلماء سنيين، وأشهرها على الإطلاق كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي المتوفى ٦٠٦ هجرية، (كشف الظنون: ١/٣٣٣) وهو سني متأثر بالمعتزلة، وسوف نورد فقرات من كتابه.

مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء

رأينا أن نورد في هذا الكتاب مقتطفات منه أو فهرساً علمياً موسعاً لأهم مسائله، ونضع لها العناوين المناسبة، ونلفت إلى أن العناوين المطبوعة بما فيها المسألة والجواب، ليست من كلام المؤلف، ولا في النسخة الأصلية.

قال رحمه الله في ص ١٥: (سألت أحسن الله توفيقك، إملاء كتاب في تنزيه الأنبياء والأئمة عليهم السلام عن الذنوب والقبائح كلها، ما سمي منها كبيرة أو صغيرة والرد على من خالف في ذلك، على اختلافهم وضروب مذاهبهم.

وأنا أجيب إلى ما سألت على ضيق الوقت، وتشعب الفكر، وأبتدئ بذكر الخلاف في هذا الباب، ثم بالدلالة على مذهب الصحيح من جملة ما ذكره من المذاهب، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار، التي اشتبه عليه وجهها، وظن أنها تقتضي وقوع كبيرة أو صغيرة من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ومن الله تعالى استمد المعونة والتوفيق، وإياه أسأل التأييد والتسديد.

بيان الخلاف في نزاهة الأنبياء عن الذنوب

اختلف الناس في الأنبياء عليهم السلام، فقالت الشيعة الإمامية، لا يجوز عليهم شئ من المعاصي والذنوب كبيراً كان أو صغيراً، لا قبل النبوة ولا بعدها، ويقولون في الأئمة مثل ذلك.

وجوّز أصحاب الحديث والحشوية على الأنبياء الكبار قبل النبوة، ومنهم من جوزها في حال النبوة سوى الكذب فيما يتعلق بأداء الشريعة، ومنهم من جوزها كذلك في حال النبوة بشرط الإستسرار دون الإعلان، ومنهم من جوزها على الأحوال كلها.

ومنعت المعتزلة من وقوع الكبائر والصغائر المستخفة من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة وفي حالها، وجوزت في الحالين وقوع ما لا يستخف من الصغائر، ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبي عليه السلام الإقدام على المعصية الصغيرة على سبيل العمد، ومنهم من منع من ذلك وقال إنهم لا يقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنوباً، بل على سبيل التأويل.

وحكى عن النظام، وجعفر بن مبشر، وجماعة ممن تبعهما، أن ذنوبهم لا تكون إلا على سبيل السهو والغفلة، وأنهم مؤاخذون بذلك وإن كان موضوعاً عن أممهم لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم.

وجوزوا كلهم ومن قدمنا ذكره من الحشوية وأصحاب الحديث على الأئمة الكبار والصغائر، إلا أنهم يقولون أن وقوع الكبيرة من الإمام تفسد إمامته ويجب عزله والإستبدال به....

واعلم أن جميع ما نزه الأنبياء عليهم السلام عنه ومنع من وقوعه منهم، يستند إلى دلالة العلم المعجز أما بنفسه أو بواسطة. وتفسير هذه الجملة، أن العلم المعجز إذا كان واقعاً موقع التصديق لمدعى النبوة والرسالة، وجارياً مجرى قوله تعالى له: صدقت في إنك رسولي ومؤدّ عني، فلا بد من أن يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله سبحانه فيما يؤديه عنه، لأنه تعالى لا يجوز أن يصدق

الكذاب، لأن تصديق الكذاب قبيح....

فإن قيل: لم يبق إلا أن تدلوا على أن تجوز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والإمتثال.

قلنا: لا شبهة في أن من نجوز عليه كبائر المعاصي ولا تأمن منه الإقدام على الذنوب، لا تكون أنفسنا ساكنة إلى قبول قوله أو استماع وعظه كسكونها إلى من لانجوز عليه شيئاً من ذلك، وهذا هو معنى قولنا أن وقوع الكبائر منفر عن القبول....

فإن قيل: أو ليس قد جوز كثير من الناس على الأنبياء عليهم السلام الكبائر مع أنهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرعوه من الشرايع، وهذا ينقض قولكم أن الكبائر منفرة!

قلنا: هذا سؤال من لا يفهم ما أوردناه، لأننا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق وإن لا يقع امتثال الأمر جملة، وإنما أردنا ما فسرناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يجوز ذلك عليه لا يكون على حد سكونها إلى من لا يجوز ذلك عليه، وأنا مع تجوز الكبائر نكون أبعد من قبول القول....

ومما يدل أيضاً على أن الكبائر لا تجوز عليهم، أن قولهم قد ثبت أنه حجج في الشرع....

فأما ما حكيناه عن النظام وجعفر بن مبشر ومن وافقهما، من أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام تقع منهم على سبيل السهو والغفلة، وأنهم مع ذلك مؤاخذون بها فليس بشيء، لأن السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل من أن يكون ذنباً مؤاخذاً به، ولهذا لا يصح مؤاخذه المجنون والنائم.

وحصول السهو في أنه مؤثر في ارتفاع التكليف بمنزلة فقد القدرة والآلات والأدلة، فلو جاز أن يخالف حال الأنبياء في صحة تكليفهم مع السهو، جاز أن يخالف حالهم لحال أممهم في جواز التكليف مع فقد سائر ما ذكرناه، وهذا واضح.

فأما الطريق الذي به يعلم أن الأئمة عليهم السلام لا يجوز عليهم الكبائر في حال الإمامة، فهو أن الإمام إنما احتيج إليه لجهته معلومة، وهي أن يكون المكلفون عند وجوده أبعد من فعل القبيح وأقرب من فعل الواجب على ما دللنا عليه في غير موضع، فلو جازت عليه الكبائر لكانت علة الحاجة إليه ثابتة فيه وموجبه وجود إمام يكون إماماً له، والكلام في إمامته كالكلام فيه، وهذا يؤدي إلى وجود ما لا نهاية له من الأئمة وهو باطل، أو الإنتهاء إلى إمام معصوم وهو المطلوب....

تنزيه آدم عن الغواية

فمما تعلقوا به قوله تعالى في قصة آدم عليه السلام: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه: ١٢١) قالوا وهذا تصريح بوقوع المعصية التي لا تكون إلا قبيحة، وأكدته بقوله غوى، وهذا تصريح بوقوع المعصية، والغى ضد الرشد.

يقال لهم: أما المعصية فهي مخالفة الأمر، والأمر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالمندوب معاً، فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم عليه السلام مندوباً إلى ترك تناول من الشجرة، ويكون بمواقعتها تاركاً نفلًا وفضلاً وغير فاعل قبيحاً، وليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصياً كما يسمى بذلك تارك الواجب، فإن تسميته من خالف ما أمر به سواء كان واجباً أو نفلًا بأنه عاص ظاهره، ولهذا يقولون أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني، وإن لم يكن ما أمره به واجباً.

وأما قوله غوى فمعناه أنه خاب، لأننا نعلم أنه لو فعل ما ندب إليه من ترك تناول من الشجرة لاستحق الثواب العظيم....

فإن قال قائل: فما قولكم في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيْفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتِنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الأعراف: ١٨٩-١٩٠)، أوليس ظاهر هذه الآية يقتضي وقوع المعصية من آدم عليه السلام لأنه لم يتقدم من يجوز صرف هذه الكناية في جميع الكلام إليه، إلا ذكر آدم عليه السلام وزوجته....

يقال له: قد علمنا أن الدلالة العقلية التي قدمناها في باب أن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر والشرك، والمعاصي غير

محتملة، ولا- يصح دخول المجاز فيها، والكلام في الجملة يصح فيه الإحتمال وضروب المجاز، فلا بد من بناء المحتمل على ما لا يحتمل، فلو لم نعلم تأويل هذه الآية على سبيل التفصيل لكننا نعلم في الجملة أن تأويلها مطابق لدلالة العقل. وقد قيل في تأويل هذه الآية ما يطابق دليل العقل، ومما يشهد له اللغة وجوه.

منها، أن الكناية في قوله سبحانه: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، غير راجعة إلى آدم عليه السلام وحواء، بل إلى الذكور والإناث من أولادهما....

فأما ما يدعى في هذا الباب من الحديث فلا يلتفت إليه، لأن الأخبار يجب أن تبنى على أدلة العقول، ولا تقبل في خلال ما تقتضيه أدلة العقول. ولهذا لا تقبل أخبار الجبر والتشبيه، ونردها أو نتأولها أن كان لها مخرج سهل. وكل هذا لو لم يكن الخبر الوارد مطعوناً على سنده مقدوحاً في طريقه، فإن هذا الخبر يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة وهو منقطع، لأن الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً في قول البغداديين.

وقد يدخل الوهن على هذا الحديث من وجه آخر، لأن الحسن نفسه يقول بخلاف هذه الرواية فيما رواه خلف بن سالم، عن إسحاق بن يوسف عن عوف، عن الحسن في قوله تعالى: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، قال: هم المشركون، وبإزاء هذا الحديث ما روى عن سعيد بن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم، من أن الشرك غير منسوب إلى آدم وزوجته عليهما السلام وإن المراد به غيرهما، وهذه جملة واضحة.

تنزيه نوح عما لا يليق به

فإن سأل سائل: عن قوله تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ انِّي مِنْ أَهْلِى وَإِنْ وَعْدِكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَشْتَأَلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). (هود: ٤٥-٤٦) فقال: ظاهر قوله تعالى أنه ليس من أهلك، فيه تكذيب لقوله عليه السلام أن ابني من أهلي، وإذا كان النبي لا يجوز عليه الكذب، فما الوجه في ذلك؟

قيل له: في هذه الآية وجوه، كل واحد منها صحيح مطابق لأدلة العقل:

أولها، أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول فيه نفي النسب، وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم.... الخ.

تنزيه إبراهيم عن الكفر والعصيان

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَكَ بِهَذَا رَبِّي لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. (الأنعام: ٧٦-٧٨) وأوليس ظاهر هذه الآية يقتضى أنه عليه السلام كان يعتقد في وقت من الأوقات الإلهية للكواكب، وهذا مما قلتم أنه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام....

قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما: أنه لم يقل ذلك مخبراً، وإنما قال فارضاً ومقدراً على سبيل الفكر والتأمل، إلا ترى أنه قد يحسن من أحدنا إذا كان ناظراً في شئ ومتأملاً بين كونه على إحدى صفتيه أن يفرضه على إحداهما لينظر فيما يؤدي ذلك الفرض إليه من صحة أو فساد، ولا يكون بذلك مخبراً في الحقيقة....

تنزيه إبراهيم عن الشك في الله تعالى

فإن قيل فما معنى قوله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) (الصفافات: ٨٩)

تنزيه إبراهيم عن الإستغفار للكفار

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَاةٍ إِيَّاهُ)، (التوبة: ١١٤) وكيف يجوز أن يستغفر لكافر، أو أن يعده بالإستغفار؟ قلنا:.... فكيف يجوز أن يجعل ذلك ذنباً لإبراهيم عليه السلام وقد عذره الله تعالى في أن استغفاره إنما كان لأجل مواعده، وبأنه تبرأ منه لما تبين له منه المقام على عداوة الله تعالى....

تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه

فإن قيل: فما معنى تفضيل يعقوب ليوסף عليهما السلام على إخوته في البر والتقريب والمحبة، حتى أوقع ذلك التحاسد بينهم وبينه، وأفضى إلى الحال المكروهة التي نطق بها القرآن....
فإن قيل: فلم أرسل يعقوب يوسف عليهما السلام مع إخوته....

تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه

فإن قيل: فلم أسرف يعقوب عليه السلام في الحزن والتهالك وترك التماسك حتى ابيضت عيناه من البكاء والحزن....

تنزيه يوسف عن الصبر على الإستعباد

فإن قيل: كيف صبر يوسف عليه السلام، ولم لم ينكرها ويبرأ من الرق، وكيف يجوز على النبي الصبر على أن يستعبد ويسترق....

تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية

فإن قيل: فما تأويل قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام وامرأة العزيز: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ أَنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: ٢٤).... قلنا: يجوز أن يكون لما هم بدفعها وضربها، أراه الله تعالى برهاناً على أنه أن أقدم على من هم به أهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدعى عليه المرادة على القبيح، وتقذفه بأنه دعاها إليه وضربها لامتناعها منه، فأخبر الله تعالى أنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء، اللذين هما القتل والمكروه....

فأما ما يدل من القرآن، على أنه عليه السلام ما هم بالفاحشة ولا عزم عليها فمواضع كثيرة منها قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ).....

تنزيه يوسف عليه السلام عن إلحاق الأذى بأبيه. تنزيه يوسف عليه السلام عن الكذب وتهمته إخوته. تنزيه يوسف عليه السلام عن الرضا بالسجود له. تنزيه يوسف عليه السلام عن طاعة الشيطان

في أن أيوب ابتلى امتحانا لا عقابا

فإن قيل: فما قولكم في الأمراض والمحن التي لحقت أيوب عليه السلام أو ليس قد نطق القرآن بأنها كانت جزاء على ذنب في قوله: أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. (ص: ٤١) والعذاب لا يكون إلا جزاءً كالعقاب. والآلام الواقعة على سبيل الإمتحان لا تسمى عذاباً ولا عقاباً، أو ليس قد روى جميع المفسرين أن الله تعالى إنما عاقبه بذلك البلاء لتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقصته مشهورة يطول شرحها؟

قلنا: أما ظاهر القرآن فليس يدل على أن أيوب عليه السلام عوقب بما نزل به من المضار، وليس في ظاهره شيء مما ظنه السائل....

فأما ما روى في هذا الباب من جهلة المفسرين فمما لا يلتفت إلى مثله، لأن هؤلاء لا يزالون يضيفون إلى ربهم تعالى وإلى رسوله عليهم السلام كل قبيح ومنكر، ويقذفونهم بكل عظيم! وفي روايتهم هذه السخيفة ما إذا تأمله المتأمل علم أنه موضوع الباطل مصنوع، لأنهم رويوا أن الله تعالى سلط إبليس على مال أيوب عليهم السلام وغنمه وأهله، فلما أهلكهم ودمر عليهم ورأى من صبره عليه السلام وتماسكه، قال إبليس لربه يا رب أن أيوب قد علم إنك ستخلف عليه ماله وولده فسلطني على جسده، فقال تعالى قد سلطتك على جسده كله إلا قلبه وبصره، قال فأتاه فنفخه من لدن قرنه على قدمه فصار قرحة واحدة، فقذف على كنانة لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهرًا تختلف الدواب على جسده.. إلى شرح طويل نصون كتابنا عن ذكر تفصيله! فمن يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته، ومن لا يعلم أن الله تعالى لا يسلم إبليس على خلقه، وإن إبليس لا يقدر على أن يقرح الأجساد ولا يفعل الأمراض كيف تعتمد روايته؟!

تنزيه موسى عن العصيان بالقتل

فإن قيل: فما الوجه في قتل موسى عليه السلام للقبطي وليس يخلو من أن يكون مستحقاً للقتل أو غير مستحق، فإن كان مستحقاً فلا معنى لنسبته عليه السلام وقوله: (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) وقوله: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي)، وإن كان غير مستحق فهو عاص في قتله...

قلنا: مما يجاب به عن هذا السؤال أن موسى عليه السلام لم يعتمد القتل ولا أراحه، وإنما اجتاز فاستغاث به رجل من شيعته على رجل من عدوه بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله، فأراد موسى عليه السلام أن يخلصه من يده ويدفع عنه مكروهه، فأدى ذلك إلى القتل من غير قصد إليه، فكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح ولا يستحق عليه العوض به، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه، وبين أن يكون عن غيره....

ومن العجب، أن أبا علي الجبائي ذكر هذا الوجه في تفسيره، ثم نسب مع ذلك موسى عليه السلام إلى أنه فعل معصية صغيرة، ونسب معصيته إلى الشيطان!!

تنزيه موسى عليه السلام عن الضلالة والاستعفاء من الرسالة. وتنزيهه عن الأمر بالسحر، وعن الخوف الحرام، وعن نسبة الإضلال لله تعالى، وعن سؤال الرؤية لنفسه، وبيان الوجه في أخذ موسى برأس أخيه عليهما السلام يجره، وتنزيهه عن المعصية في مرافقته للخضر عليهما السلام، وتنزيهه عما رموه به من أخذ الحجر لثيابه وركضه عارياً....

تنزيه داود عليه السلام عن المعصية، وتفسير قوله تعالى: وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. وتنزيه سليمان عليه السلام عن المعصية، وعن الإفتتان. وعن الشح وعدم القناعة في طلبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه

تنزيه عيسى عليه السلام عن ادعائه الألوهية، وتفسير قوله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّتِي وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُرْكَبِينَ. أنت علام الغيوب.

تنزيه نبينا صلى الله عليه وآله عن الضلال، وتفسير قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً.

وقوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَابِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.

وقوله تعالى: سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى.

وقوله تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. وقوله تعالى: مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَشِيرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

وقوله تعالى: لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وقوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ.

وقوله تعالى: لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

وقوله تعالى: وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ، الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ.

وقوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى.

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَى مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وقوله تعالى: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وكيف يوجه هذا الخطاب إلى من لا يجوز عليه الشرك ولا شيء من المعاصي؟

قد قيل في هذه الآية أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به أمته، فقد روى عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة.... وليس يمتنع أن يتوعد الله تعالى على العموم. وعلى سبيل الخصوص من يعلم أنه لا يقع منه ما تناوله الوعيد، لكنه لا بد من أن يكون مقدوراً له وجائزاً بمعنى الصحة لا- بمعنى الشك، ولهذا يجعل جميع وعيد القرآن عاماً لمن يقع منه ما تناوله الوعيد، ولمن علم الله تعالى أنه لا يقع منه....

والشيعه لها في هذه الآية جواب تنفرد به وهو أن النبي صلى الله عليه وآله لما نص على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بالإمامة في ابتداء الأمر جاءه قوم من قريش فقالوا له: يا رسول الله إن الناس قريبا عهد بالإسلام لا يرضون أن تكون النبوة فيك والإمامة في ابن عمك على بن أبي طالب! فلو عدلت به إلى غيره لكان أولى. فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: ما فعلت ذلك برأى فأتخير فيه، لكن الله تعالى أمرني به... إلى آخر ما أورده الشريف المرتضى رحمه الله.

وقد تعرض المؤلف رحمه الله الى عدة مسائل في تنزيه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه وبحث عدداً من أحاديثهم المروية عن النبي صلى الله عليه وآله مثل: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن.. إن الله خلق آدم على صورته.. إن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا- يمل حتى تملوا.. سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لانضمامون في رؤيته!

وقال تعليقا على الإخير: قلنا: أما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح في راويه، فإن راويه قيس بن أبي حازم، وقد كان خولط في عقله في آخر عمره، مع استمراره على رواية الأخبار! وهذا قدح لاشبهه فيه، لأن كل خبر مروى عنه لا يعلم تاريخه يجب أن يكون مردوداً، لأنه لا يؤمن أن يكون مما سمع منه في حال الإختلال. وهذه طريقة في قبول الأخبار وردّها ينبغي أن يكون أصلاً ومعتبراً فيمن علم منه الخروج ولم يعلم تاريخ ما نقل عنه.

على أن قيساً لو سئل من هذا القدح، كان مطعوناً فيه من وجه آخر، وهو أن قيس بن أبي حازم كان مشهوراً بالنصب والمعاداة لأمير المؤمنين صلاة الله وسلامه عليه والإنحراف عنه، وهو الذي قال: رأيت على بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول: إنفروا إلى بقية الأحزاب، فأبغضته حتى اليوم في قلبي! إلى غير ذلك من تصريحه بالمناسبة والمعاداة. وهذا قادح لاشك في عدالته.

وختم المؤلف رحمه الله كتابه بالإجابة على ما يشكله بعضهم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته، من قبيل إشكالهم وسؤالهم لماذا لم ينازع أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام الذين غضبوا خلافته؟ قال رحمه الله:

إن قال قائل: إذا كان من مذهبكم يا معشر القائلين بالنص أن النبي صلى الله عليه وآله نص على بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه

السلام بالخلافه بعده، وفوض إليه أمر أمته، فما باله لم ينازع المتأمرين بعد النبي صلى الله عليه وآله في الأمر الذي وكل إليه وعول في تدبيره عليه، أو ليس هذا منه إغفالاً لواجب لا يسوغ إغفاله؟

فإن قلت إنه لم يتمكن من ذلك فهلا أعذر وأبلى واجتهد، فإنه إذا لم يصل إلى مراده بعد الإعذار والاجتهاد كان معذوراً.

أو ليس هو عليه السلام الذي حارب أهل البصرة وفيهم زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وطلحة والزبير، ومكانهما من الصحبة والإختصاص والتقدم مكانهما، ولم يحشمه ظواهر هذه الأحوال من كشف القناع في حربهم حتى أتى على نفوس أكثر أهل العسكر؟ وهو المحارب لأهل صفين مرة بعد أخرى مع تخاذل أصحابه وتواكل أنصاره، وإنه كان في أكثر مقاماته تلك وموقفه لا يغلب في ظنه الظفر ولا يرجو لضعف من معه النصر، وكان مع ذلك كله مصمماً ماضياً قدماً...

قلنا: أما الكلام على ما تضمنه هذا السؤال فهو مما يخص الكلام في الإمامة وقد استقصيناه في كتابنا المعروف بالشافي في الإمامة، وبسطنا القول فيه في هذه الأبواب ونظائرهما بسطاً يزيل الشبهة ويوضح الحجة، لكننا لا نخلى هذا الكتاب من حيث تعلق غرضه بهذه المواضع من إشارة إلى طريقة الكلام فيها، فنقول: قد بينا في صدر هذا الكتاب أن الأئمة عليهم السلام معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها، واعتمدنا في ذلك على دليل عقلي لا يدخله احتمال ولا تأويل بشيء، فمتى ورد عن أحدهم عليهم السلام فعل له ظاهر الذنب، وجب أن نصرفه عن ظاهره ونحمله على ما يطابق موجب الدليل العقلي فيهم، كما فعلنا مثل ذلك في متشابه القرآن المقتضى ظاهره ما لا يجوز على الله تعالى، وما لا يجوز على نبي من أنبيائه عليهم السلام.

فإذا ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام إمام فقد ثبت بالدليل العقلي أنه معصوم عن الخطأ والزلل، فلا بد من حمل جميع أفعاله على جهات الحسن، ونفى القبيح عن كل واحد منها. وما كان له منها ظاهر يقتضى الذنب علمنا في الجملة أنه على غير ظاهره، فإن عرفنا وجهه على التفصيل ذكرناه، وإلا كفانا في تكليفنا أن نعلم أن الظاهر معدول عنه، وأنه لا بد من وجه فيه يطابق ما تقتضيه الأدلة.

وهذه الجملة كافية في جميع المشتبه من أفعال الأئمة عليهم السلام وأقوالهم، ونحن نزيد عليها فنقول: إن الله تعالى لم يكلف إنكار المنكر سواءً اختص بالمنكر أو تعداه إلى غيره، إلا بشروط معروفة، أقواها التمكن، وإن لا يغلب في ظن المنكر أن إنكاره يؤدي إلى وقوع ضرر به لا يحتمل مثله، وإن لا يخاف في إنكاره من وقوع ما هو أفحش منه وأقبح من المنكر.

وهذه شروط قد دلت الأدلة عليها، ووافقنا المخالفون لنا في الإمامة فيها. وإذا كان ما ذكرناه مراعى في وجوب إنكار المنكر، فمن أين أن أمير المؤمنين عليه السلام كان متمكناً من المنازعة في حقه والمجادلة، وما المنكر من أن يكون عليه السلام خائفاً متى نازع وحارب، من ضرر عظيم يلحقه في نفسه وولده وشيعته؟! ثم ما المنكر من أن يكون خاف من الإيثار من ارتداد القوم عن الدين وخروجهم عن الإسلام ونبذهم شعار الشريعة، فرأى أن الإغضاء أصلح في الدين، من حيث كان يجر الإنكار ضرراً فيه لا يتلافى...

ثم قد ذكرنا في كتابنا في الإمامة من أسباب الخوف وأمارة الضرر التي تناصرت بها الروايات، ووردت من الجهات المختلفة ما فيه مقنع للمتأمل، وأنه عليه السلام غولط في الأمر وسوبق إليه وانتهزت غرته، واغتنمت الحال التي كان فيها متشاغلاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله، وسعى القوم إلى سقيفة بني ساعدة، وجرى لهم فيها مع الأنصار ما جرى...

وأما حضور مجالسهم، فما كان عليه الصلاة والسلام ممن يتعمدها ويقصدها، وإنما كان يكثر الجلوس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فيقع الاجتماع مع القوم هنا، وذلك ليس بمجلس لهم مخصوص. وبعد، فلو تعمد حضور مجالسهم لينهى عن بعض ما يجرى فيها من منكر، فإن القوم قد كانوا يرجعون إليه في كثير من الأمور، لجاز، ولكان للحضور وجه صحيح له بالدين علقه قوية.

فأما الدخول في آرائهم، فلم يكن عليه السلام ممن يدخل فيها إلا مرشداً لهم، ومنبهاً على بعض ما شذ عنهم، والدخول بهذا الشرط واجب....

فأما الدخول في الشورى، فقد بينا في كتابنا المقدم ذكره الكلام فيه مستقصى، ومن جملته أنه عليه السلام لولا الشورى لم يكن ليتمكن من الإحتجاج على القوم بفضائله ومناقبه، والأخبار الدالة على النص بالإمامة عليه... ومن كان يصغى لولا الشورى إلى كلامه

المستوفى في هذا المعنى؟...

فإن قيل: فما الوجه في تحكيمه عليه السلام أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وما العذر في أن حكم في الدين الرجال....؟
قلنا: كل أمر ثبت بدليل قاطع غير محتمل فليس يجوز أن نرجع عنه ونتشكك فيه لأجل أمر محتمل، وقد ثبت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته وطهارته من الخطأ، وبرائه من الذنوب والعيوب، بأدله عقلية وسمعية، فليس يجوز أن نرجع عن ذلك أجمع، ولا عن شئ منه، لما وقع من التحكيم للصواب بظاهره، وقبل النظر فيه كاحتماله للخطأ، ولو كان ظاهره أقرب إلى الخطأ وأدنى إلى مخالفة الصواب.

بل الواجب في ذلك القطع على مطابقتها ما ظهر من المحتمل لما ثبت بالدليل، أو صرف ماله ظاهر عن ظاهره، والعدول به إلى موافقة مدلول الدلالة التي لا يختلف مدلولها ولا يتطرق عليها التأويل.

وهذا فعلنا فيما ورد من أي القرآن التي تخالف بظواهرها الأدلة العقلية مما يتعلق به الملحدون أو المجبره أو المشبهة. وهذه جملة قد كررنا ذكرها في كتابنا هذا لجلالة موقعها من الحجّة، ولو اقتصرنا في حل هذه الشبهة عليها لكانت مغنية كافية... انتهى.

معركة تنزيه الأنبياء بين الشيعة ومخالفهم

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها...

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها معصية الأنبياء، ورد الأحاديث التي تزعم ذلك اتضح بما تقدم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام رسموا خطأ في تنزيه الأنبياء عليهم السلام والدفاع عنهم، وأن علماء المذهب رضوان الله عليهم اتبعوهم فأجادوا الإتياع والشرح والإستدلال، وكان موقفهم ثابتاً في أن الآيات التي يبدو منها وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام وأنها ليست على ظاهرها بل يجب اتباع الراسخين في العلم في تأويلها.
واتضح أن الأحاديث الصريحة في ارتكاب الأنبياء عليهم السلام للمعاصي مكذوبة، وأنها من موضوعات رواة السلطة القرشية لتبرير معاصي الخلفاء أو من الإسرائيليات التي ابتليت بها مصادر السنة عندهم، وكلها روايات باطلة يجب التوقف فيها أو تكذيبها، حتى لو تسرب بعضها إلى مصادرنا!

وتشمل هذه القاعدة نفي وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام وكل سلوك أو وضع ينفر الناس منهم، كما تشمل نفي السهو والنسيان عنهم عليهم السلام.

قال العلامة الحلي في منتهى المطلب: ١/٣٣٥: (احتج المخالف بأن النبي صلى الله عليه وآله صلى بأصحابه فلما أحرم بالصلاة ذكر أنه جنب، فقال لأصحابه: كما أنتم، ومضى ورجع ورأسه يقطر ماء ولم يستخلف، فدل على عدم الجواز.

والجواب: أن هذا عندنا باطل، والخبر كذب إذ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن وقوع الذنب عمداً وسهواً). انتهى.

ومن هذا القبيل رد علماء الشيعة لخبر اتهام نبي داود عليه السلام مع أنه ورد في تفسير القمي: ٢/٢٢٩: وجاء فيه: (فلما كان اليوم الذي وعده الله عز وجل اشتدت عبادته وخلا في محرابه وحجب الناس عن نفسه وهو في محرابه يصلي، فإذا طائر قد وقع بين يديه جناحه من زبرجد أخضر ورجلاه من ياقوت أحمر ورأسه ومنقاره من لؤلؤ وزبرجد، فأعجبه جداً ونسى ما كان فيه، فقام ليأخذه فطار الطائر فوق على الحائط بين داود وبين أوريا بن حنان، وكان داود قد بعث أوريا في بعث فصعد داود عليه السلام الحائط ليأخذ الطير، وإذا امرأة أوريا جالسة تغتسل، فلما رأت ظل داود نشرت شعرها وغطت به بدنها، فنظر إليها داود فافتتن بها ورجع إلى محرابه ونسى ما كان فيه، وكتب إلى صاحبه في ذلك البعث لما أن يصيروا إلى موضع كيت وكيت يوضع التابوت بينهم وبين عدوهم، وكان التابوت

فى بنى إسرائيل كما قال الله عز وجل: فِيهِ سَيَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ (البقرة: ٢٤٨) وقد كان رفع بعد موسى عليه السلام إلى السماء لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصي، فلما غلبهم جالوت وسألوا النبي أن يبعث إليهم ملكاً يقاتل فى سبيل الله بعث إليهم طالوت وأنزل عليهم التابوت، وكان التابوت إذا وضع بين بنى إسرائيل وبين أعدائهم ورجع عن التابوت إنسان كفر وقتل، ولا يرجع أحد عنه إلا ويقتل. فكتب داود إلى صاحبه الذى بعثه أن ضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم أوريا بن حنان بين يدي التابوت، فقدمه وقتل، فلما قتل أوريا دخل عليه الملكان وقعدوا ولم يكن تزوج امرأة أوريا، وكانت فى عدتها وداود فى محرابه يوم عبادته، فدخل عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه ففرغ داود منهما فقالا: لا تخف خصمان بئى بعضنا على بعض فأحككم بيننا بالحق ولا تشيط واهدنا إلى سواء الصراط. (ص: ٢٢) ولداود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية، فقال أحدهما لداود: إن هذا أخى له تشع وتسيمون نعمة ولى نعمة واحدة فقال أكفليها وعزني فى الخطاب. أى ظلمنى وقهرنى، فقال داود كما حكى الله عز وجل: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضًا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إِنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) (ص: ٢٣-٢٤) قال: فضحك المستعدى عليه من الملائكة وقال: وقد حكم الرجل على نفسه فقال داود: أتضحك وقد عصيت لقد هممت أن أهشم فاك، قال: فرجاء، وقال الملك المستعدى عليه: لو علم داود أنه أحق بهشم فيه منى.

ففهم داود الأمر وذكر الخطيئة فبقى أربعين يوماً ساجداً يبكى ليله ونهاره ولا يقوم إلا وقت الصلاة، حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه...!! إلى آخر القصة الواردة فى مصادر أهل الكتاب ومصادر السنين! وقد ردها علماء الشيعة، وحملها بعضهم على التقية لموافقتها مذهب العامة ورواياتهم التى تجوز المعاصى على الأنبياء عليهم السلام. وقد تقدم استنكارها فى مقدمه الكتاب فى حديث الإمام الرضا عليه السلام.

لا عصمة للأنبياء عند السنين لكن الصحابة عندهم معصومون

المعروف عن المذاهب السنية أنها تعتقد بعصمة الأنبياء عليهم السلام، لكن واقعها العملى عدم الاعتقاد بعصمتهم، لاعن الصغائر ولا الكبائر ولا ما يفر الناس منهم، لا قبل البعثة ولا بعدها، لا فى الأمور الشخصية ولا فى تبليغ الرسالة! فأئمة المذاهب وعلمائها يقولون نظرياً بعصمة الأنبياء عليهم السلام عصمة غير تامة على اختلاف بينهم فيها، لكنهم عندما يصلون إلى الإسرائيليات، أو إلى القرشيات، يقعون فى اتهام الأنبياء عليهم السلام، ويتمسكون بالآيات المتشابهة التى يبدو منها وقوع المعصية منهم عليهم السلام فينفون عنهم العصمة التى أثبتوها لهم آنفاً! بل ينسبون اليهم المنكرات والعظائم، حتى إلى خاتمهم وأفضلهم صلى الله عليه وآله!

من جهة أخرى.. يقول علماء المذاهب السنية إنهم لا يعتقدون بعصمة الصحابة بل بعدالتهم، وقد يفسرون عدالتهم بتصديق روايتهم عن النبي صلى الله عليه وآله.

لكن كلامهم هذا نظري، لأنهم إذا وصلوا إلى أى مسألة تتعلق بأبى بكر وعمر وعثمان، تراهم يدافعون عنهم حتى لو كانت المسألة مقابل النبي صلى الله عليه وآله!

ومعناه أنهم يقولون بعصمة هؤلاء الثلاثة، وبعضهم يقول بعصمة عائشة وحفصة ومعوية معهم، فهم يبررون أخطاءهم، وقد يكفرون من ينتقدهم!

أما إذا اختلف الصحابة فى رأى أو فتوى أو نقل حديث، فهم مجمعون على أن العصمة والحق دائماً مع عمر، وفيما وافق عمر! وقد ناقشنا بعض المتحمسين لعمر وابن تيمية، فقال إنكم تتهمونا زوراً بأننا نعتقد بعصمة عمر وابن تيمية، فنحن لم نقل ذلك؟ فقلنا له إنكم لا تقولون ذلك بل تفعلونه، فإن كنت صادقاً فأعطنا خطأ واحداً تراه لابن تيمية أو لعمر! فغضب وولى!

وهذه مفارقة عجيبة أنهم يقولون بعصمة الأنبياء عليهم السلام نظرياً ثم ينقضونها عملياً! ويقولون بعدم عصمة الصحابة نظرياً، ثم يصرون عليها عملياً!

قال العلامة الحلبي قدس سره في نهج الحق وكشف الصدق ص ١٤٢:

(ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الصغائر والكبائر، ومنزهون عن المعاصي، قبل النبوة وبعدها، على سبيل العمدة والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعف.

وخالفت الأشاعرة في ذلك وجوزوا عليهم المعاصي، وبعضهم جوزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها! وجوزوا عليهم السهو والغلط! ونسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السهو في القرآن بما يوجب الكفر! فقالوا إنه صلى يوماً وقرأ في سورة (النجم) عند قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاِخْرَىٰ: تلك الغرائق العلى، منها الشفاعة ترتجى!!

وهذا اعتراف منه صلى الله عليه وآله بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها! نعوذ بالله من هذه المقالة التي نسبوا النبي صلى الله عليه وآله إليها، وهي توجب الشرك! فما عذرهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قتل جماعة كثيرة من أهله وأقاربه على عبادة الأصنام، ولم تأخذه في الله لومة لائم، وهم) ينسبون إليه هذا القول الموجب للكفر والشرك!!...

وروا عنه صلى الله عليه وآله أنه صلى الظهر ركعتين، فقال له ذو اليد: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟! فقال: أصدق ذو اليد؟ فقال الناس: نعم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فضلى اثنتين أخريين، ثم سلم.. الحديث!!

وروا في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله صلى بالناس صلاة العصر ركعتين، ودخل حجرته، ثم خرج لبعض حوائجه، فذكره بعض فأتَمَّها!

وأى نسبة أنقص من هذا وأبلغ في الدناءة! فإنها تدل على إعراض النبي صلى الله عليه وآله عن عبادة ربه وإهمالها والإشتغال عنها غيرها، والتكلم في الصلاة، وعدم تدارك السهو من نفسه لو كان! نعوذ بالله من هذه الآراء الفاسدة!

ونسبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله كثيراً من النقص! روى الحميدى في الجمع بين الصحيحين عن عائشة قالت: كنت ألعبُ بالبنات عند النبي (ص) وكانت لى صواحبٌ يلعبن معى وكان رسول الله إذا دخل تقبَّعَن منه، فيشير إليهن فيلعبن معى!

مع أنهم رووا في صحاح الأحاديث: أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صور مجسمة، أو تماثيل! وتواتر النقل عنه بإنكار عمل الصور والتماثيل، فكيف يجوز لهم نسبة هذا إلى النبي صلى الله عليه وآله وإلى زوجته من عمل الصور في بيته، الذى أسس للعبادة، وهو محل هبوط الملائكة والروح الأمين فى كل وقت! ولما رأى النبي صلى الله عليه وآله فى الكعبة لم يدخلها حتى محيت، مع أن الكعبة بيت الله تعالى، فإذا امتنع من دخوله مع شرفه وعلو مرتبته، فكيف يتخذ فى بيته، وهو أدون من الكعبة صوراً ويجعله محلاً لها.

وروى الحميدى فى الجمع بين الصحيحين: قالت عائشة: رأيت النبي يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر! وروى الحميدى عن عائشة قالت: دخل على رسول الله وعندى جارتان تغنيان بغناء بعث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال: مزماره الشيطان عند النبي؟! فأقبل عليه رسول الله وقال: دعها فلما غفل غمزتهما فخرجتا! وكيف

يجوز للنبي صلى الله عليه وآله الصبر على هذا، مع أنه نص على تحريم اللعب واللهو والقرآن مملوء به، وبالخصوص مع زوجته؟! وهلا دخلته الحمية والغيرة مع أنه صلى الله عليه وآله أعزُّ الناس؟! وكيف أنكر أبو بكر وعمر ومنعهما؟ فهل كانا أفضل منه؟!

وقد رووا عنه صلى الله عليه وآله أنه لما قدم المدينة من سفر، خرجت إليه نساء المدينة يلعبن بالدف فرحاً بقدومه، وهو يرقص بأكمامه!! وهل يصدر مثل هذا عن رئيس، أو من له أدنى وقار، نعوذ بالله من هذه السقطات!

مع أنه لو نسب أحدهم إلى مثل هذا، قابله بالسب والشتم وتبرأ منه، فكيف يجوز نسبة النبي صلى الله عليه وآله إلى مثل هذه الأشياء التى يُتبرأ منها؟!

التي يُتبرأ منها؟!

وفى الصحيحين أن ملك الموت لما جاء لقبض روح موسى عليهما السلام لطمه موسى ففقأ عينه! فكيف يجوز لعاقل أن ينسب موسى عليه السلام مع عظمته وشرف منزلته وقربه من الله تعالى والفوز بمجاورة عالم القدس، إلى هذه الكراهة؟! وكيف يجوز منه أن يوقع بملك الموت ذلك وهو مأمور من قبل الله تعالى؟!!

وفى الجمع بين الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى صفه الخلق يوم القيامة: وإنهم يأتون آدم ويسألونه الشفاعة فيعتذر إليهم، فيأتون نوحاً فيعتذر إليهم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليه، إشفع لنا إلى ربك أما ترى ما نحن فيه؟! فيقول لهم: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله! وإنى قد كذبت ثلاث كذبات. نفسى، نفسى، إذهبوا إلى غيرى! وفى الجمع بين الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لم يكذب إبراهيم النبي إلا ثلاث كذبات!!

كيف يحلُّ لهؤلاء نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام؟! وكيف الوثوق بشريعتهم، مع الإقرار بتعمد كذبهم؟! وفى الجمع بين الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ربِّ أرني كيف تُخَيِّبُ الْمُؤْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي. ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد! ولو لبثت فى السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعى!

كيف يجوز لهؤلاء الإقرار على النبي صلى الله عليه وآله بالشك فى العقيدة؟

وفى الصحيحين قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وآله بحراهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: دعهم يا عمر.

وروى الغزالي فى إحياء علوم الدين أن النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً وعنده جوار يغنين فجاء عمر فاستأذن فقال النبي صلى الله عليه وآله للجوارى: أسكتن فسكتن، فدخل عمر وقضى حاجته ثم خرج، فقال لهن عُدْنَ، فعدن إلى الغناء! فقلن: يا رسول الله، من هذا الذى كلما دخل قلت أسكتن، وكلما خرج قلت: عدن إلى الغناء؟ قال هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل. كيف يحلُّ لهؤلاء القوم رواية مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله؟ أترى عمر أشرف من النبي صلى الله عليه وآله؟ حيث لا يؤثر سماع الباطل، والنبي صلى الله عليه وآله يؤثره؟!!

وفى الجمع بين الصحيحين: عن أبي هريرة قال: أقيمت الصلاة، وعدلت الصفوف قياماً قبل أن يخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله فلما قام فى مصلاه ذكر أنه جنبٌ فقال لنا: مكانكم. فلبثنا على هيئتنا قياماً، فاغتسل، ثم خرج إلينا، ورأسه يقطر، فكبر وصلينا.

فلينظر العاقل: هل يحسن منه وصف أدنى الناس بأنه يحضر الصلاة ويقوم فى الصف وهو جنب! وهل هذا الأمن التقصير فى عبادة ربه وعدم المسارعة إليها وقد قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ... فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ، فأى مكلف أجدر بقبول هذا الأمر من النبي صلى الله عليه وآله؟!!

وفى الجمع بين الصحيحين عن أبي هريرة قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله إحدى صلاتى العشى، قال وأكثر ظنى العصر ركعتين ثم سلم، ثم قال إلى خشبة فى مقام المسجد فوضع يده عليها، وفيهم أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماه، وخرج سرعان الناس فقالوا: أقصرت الصلاة؟ ورجلٌ يدعوه النبي صلى الله عليه وآله ذو اليمين فقال: لم أنس ولم أقصر، قال: بل قد نسيت! فصلى ركعتين ثم سلم!

فلينظر العاقل هل يجوز نسبة هذا الفعل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وكيف يجوز منه أن يقول: ما نسيت؟ فإن هذا سهوٌ فى سهو، ومن يعلم أن أبا بكر وعمر حفظا ما نسى رسول الله صلى الله عليه وآله مع إنهما لم يذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله؟ وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر أنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنه دعا زيد بن عمرو بن نفيل وذلك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال: إنى

لا آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه!!

فليُنظر العاقل هل يجوز له أن ينسب نبيه إلى عبادة الأصنام، والذبح على الأنصاب ويأكل منه! وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان أعرف بالله منه، وأتم حفظاً ورعايةً لجانب الله تعالى؟! نعوذ بالله من هذه الإعتقادات الفاسدة!

وفى الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله فاتتهى إلى سباطة قوم فبال قائماً، ففتحيت فقال: أدنه، فدنوت حتى قمت عند عقبيه، فتوضأ فمسح على خفيه! فكيف يجوز: أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله البول قائماً، مع أن أرذل الناس لو نسب هذا إليه تبرأ منه؟! ثم المسح على الخفين والله تعالى يقول: وأرجلكم! فانظروا إلى هؤلاء القوم: كيف يجوزون الخطأ والغلط على الأنبياء عليهم السلام، وإن النبي يجوز أن يسرق درهماً، ويكذب في أخس الأشياء وأحقرها!

وقد لزمهم من ذلك محالات:

منها: جواز الطعن على الشرائع وعدم الوثوق بها، فإن المبلغ إذا جوزوا عليه الكذب وسائر المعاصي جاز أن يكذب عمداً أو نسياناً، أو يترك شيئاً مما أوحى إليه، أو يأمر من عنده، فكيف يبقى اعتماداً على أقواله؟!

ومنها: أنه إذا فعل المعصية، فإما أن يجب علينا اتباعه فيها، فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه، واجتمع الضدان! وإن لم يجب، انتفت فائدة البعثة.

ومنها: أنه لو جاز أن يعصى لوجب إيذاؤه والتبري منه، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن الله تعالى قد نص على تحريم إيذاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً (الأحزاب: ٥٧) ومنها: سقوط محله وربته عند العوام، فلا ينقادون إلى طاعته، فتنفى فائدة البعثة.

ومنها: أنه يلزم أن يكونوا أدون حالاً من آحاد الأمة، لأن درجات الأنبياء عليهم السلام في غاية الشرف، وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش، كما قال تعالى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، (الأحزاب: ٣٠) والمحصن يرحم وغيره يحد، وحد العبد نصف حد الحر. والأصل فيه: أن علمهم بالله تعالى أكثر وأنتم، وهم مهبط وحيه، ومنازل ملائكته، ومن المعلوم أن كمال العلم يستلزم كثرة معرفته والخضوع والخشوع، فينافى صدور الذنب، لكن الإجماع دل على أن النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يكون أقل حالاً من آحاد الأمة.

ومنها: أنه يلزم أن يكون مردود الشهادة، لقوله تعالى: إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا، فكيف تقبل شهادته في الوحي ويلزم أن يكون أدنى حالاً من عدول الأمة، وهو باطل بالإجماع.

ومنها: أنه لو صدر عنه الذنب لوجب الإقتداء به لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ.. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... فَاتَّبِعُونِي... والتالي باطل بالإجماع، وإلا اجتمع الوجوب والحرمة). انتهى.

وقال رحمه الله في نهج الحق وكشف الصدق/١٥٩:

(ذهبت الإمامية إلى أن النبي صلى الله عليه وآله يجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات، بريئاً من الرذائل والأفعال الدالة على الخسنة، كالإستهزاء به والسخرية والضحك عليه، لأن ذلك يسقط محله من القلوب، وينفر الناس عن الإنقياد إليه، فإنه من المعلوم بالضرورة الذي لا يقبل الشك والإرتياب.

وخالفت السنة فيه: أما الأشاعرة فباعتراف نفى الحسن والقبح، فلزمهم أن يذهبوا إلى جواز بعثه ولد الزنا المعلوم لكل أحد! وإن بفاعلاً لجميع أنواع الفواحش وأبلغ أصناف الشرك! وهو ممن يُسخر به ويُضحك عليه ويُصنع في الأسواق ويُستهزأ به، ويكون قد ليط به دائماً لأبنة فيه، قواداً، وتكون أمه في غاية الزنا والقيادة والإفتضاح بذلك، لا ترد يد لامس! ويكون هو في غاية الدناءة والسفالة، ممن قد ليط به طول عمره، حال النبوة وقبلها، ويصنع في الأسواق، ويعتمد المناكير، ويكون قواداً بصاصاً. فهؤلاء يلزمهم القول بذلك

حيث نفوا التحسين والتقييح العقليين، وإن ذلك ممكنٌ فيجوز من الله وقوعه، وليس هذا بأبلغ من تعذيب الله من لا يستحق العذاب، بل يستحق الثواب طول الأبد!

وأما المعتزلة، فلأنهم جَوَّزوا صدور الذنب عنهم عليهم السلام، لزمهم القول بجواز ذلك أيضاً، واتفقوا على وقوع الكبائر منهم، كما في قصة إخوة يوسف!

فلينظر العاقل بعين الإنصاف: هل يجوز المصير إلى هذه الأقاويل الفاسدة، والآراء الرديئة؟ وهل يبقى مكلف ينقاد إلى قبول قول من كان يفعل به الفاحشة طول عمره إلى وقت نبوته؟ وأنه يصفح ويستتبرأ به حال النبوة؟ وهل يثبت بقول هذا حجة على الخلق؟!

واعلم أن البحث مع الأشاعرة في هذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا في ذلك استعملوا الفضول، لأنهم يجوزون تعذيب المكلف على أنه لم يفعل ما أمره الله تعالى به من غير أن يعلم ما أمره به، ولا أرسل إليه رسولاً البتة! بل وعلى امتثال أمره به، وإن جميع القبائح من عنده تعالى، وإن كل ما وقع في الوجود فإنه فعله تعالى وهو حسن، لأن الحسن هو الواقع والقيح هو الذي لم يقع. فهذه الصفات الخسيسة في النبي وأبويه تكون حسنة، لوقوعها من الله تعالى، فأى مانع حينئذ من البعثة باعتبارها؟!

فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبي عليه السلام وهو من الله وكل ما يفعله تعالى فهو حسن! وكذا أنواع المعاصي! وكيف يمكنهم مع هذا المذهب التنزيه للأنبياء عليهم السلام؟! نعوذ بالله من مذهب يؤدي إلى تحسين الكفر وتقييح الإيمان، وجواز بعثه من اجتمعت فيه كل الرذائل والسقطات.

وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة في هذا الباب، قد أنكروا الضروريات!

وقال في منهاج الكرامة ص ٣١، وهو الكتاب الذي حاول ابن تيمية أن يرد عليه في منهاج سنته، قال العلامة: (الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة:

ذهبت الإمامية إلى أن الله تعالى عدلٌ حكيمٌ لا يفعل قبيحاً ولا يخلُّ بواجب وإن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنه لا يفعل الظلم ولا العبث، وأنه رؤوفٌ بالعباد، يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأمنع، وأنه تعالى كلفهم تخييراً لا إجباراً، ووعدهم بالثواب وتوعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي، وإلا لم يبق وثوقٌ بأقوالهم، فتنتفى فائدة البعثة.

ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول بالأمة، فنصب أولياء معصومين عليهم السلام، ليأمن الناس من غلظهم وسهولهم وخطئهم، فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته. وأنه تعالى لما بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وآله قام بنقل الرسالة ونصَّ على أن الخليفة بعده عليُّ بن أبي طالب، ثم من بعده ولده الحسن الزكي، ثم على الحسين الشهيد، ثم على بن الحسين زين العابدين، ثم على محمد بن علي الباقر، ثم على جعفر بن محمد الصادق، ثم على موسى بن جعفر الكاظم، ثم على بن موسى الرضا، ثم على محمد بن علي الجواد، ثم على بن علي بن محمد الهادي، ثم على الحسن بن علي العسكري، ثم على الخلف الحجة محمد بن الحسن عليهم السلام، وإن النبي صلى الله عليه وآله لم يمت إلا عن وصية بالإمامة.

وذهب أهل السنة إلى خلاف ذلك كله، فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله تعالى، وجَوَّزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب، وأنه تعالى لا يفعل لغرض بل كل أفعاله لا لغرض من الأغراض ولا لحكمة البتة!

وأه تعالى يفعل الظلم والعبث، وأنه لا يفعل ما هو الأصلح للعباد، بل ما هو الفساد في الحقيقة، لأن فعل المعاصي وأنواع الكفر والظلم وجميع أنواع الفساد الواقعة في العالم مستندة إليه! تعالى الله عن ذلك، وإن المطيع لا يستحق ثواباً والمعاصي لا يستحق عقاباً، بل قد يعذب المطيع طول عمره، المبالغ في امتثال أوامره تعالى كالنبي عليه السلام ويثيب العاصي طول عمره بأنواع المعاصي وأبلغها كإبليس وفرعون! وإن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو، وغير ذلك.

وإن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على إمام بينهم، وأنه مات عن غير وصية، وإن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر

بن أبي قحافة لمبايعة عمر بن الخطاب له برضا أربعة: أبي عبيدة، وسالم مولى حذيفة، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعيد، ثم من بعده عمر بن الخطاب بنص أبي بكر عليه، ثم عثمان بن عفان بنص عمر على سته هو أحدهم، فاختره بعضهم، ثم على بن أبي طالب عليه السلام لمبايعة الخلق له.

ثم اختلفوا، فقال بعضهم إن الإمام بعده ابنه الحسن عليه السلام، وبعضهم قال: إنه معاوية بن أبي سفيان، ثم ساقوا الإمامة في بني أمية إلى أن ظهر السفاح من بني العباس، فساقوا الإمامة إليه، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور ثم ساقوا الإمامة في بني العباس إلى المعتصم، إلى أربعين!).

وقال الكراچكى رحمه الله في كتابه: التعجب من أغلاط العامة ص ٦٤:

(الفصل السابع في أغلاطهم في العصمة: فمن عجيب أمرهم: أنهم ينكرون عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عن سائر الأنام، ويقولون إن هذه العصمة إن كانت منهم جاز أن تقع في غيرهم فيساويهم في منزلتهم، وإن كانت من الله سبحانه فقد جبرهم واضطروهم ولم يستحقوا ثواباً على عصمتهم!

وهم مع ذلك معترفون بأن النبي صلى الله عليه وآله معصومٌ في التأييد والتبليغ، ومعصومٌ عما سوى ذلك من جميع كبائر الذنوب في حال نبوته وقبلها، وأنها عصمة اختيار يستحق عليها الجزاء، ولا يساويه أحد من أمته فيها!

ومن عجيب أمرهم: إنكارهم لعصمة الأئمة وقولهم أنها لا تقتضى الاختيار!

ومن العجب قولهم: إن العصمة ثابتة لجميع الأمة منتفية عن كل واحد منها، مع علمهم بأن أحادهم جماعتها، وأنها إذا كانت مؤمنة بأجمعها كان الإيمان حاصلًا لآحادها، ولو كفر جميعها لكان الكفر حاصلًا مع كل واحد منها.

وقد قال أحد المعتزلة يوماً وقد سمع هذا الكلام: فرق بين العصمة وما ذكرت من الكفر والإيمان، وذلك أن ما ثبت لكل واحد منها فهو ثابتٌ لجماعتها، وليس كلما ثبت لجماعتها ثابتاً لكل واحد منها، فلذلك إذا آمن آحادها كان جميعها مؤمنين، وإذا كفر آحادها كان جميعها كافرين، وليس إذا ثبت العصمة لجماعتها يكون آحادها معصومين.

فقلت له: ما رأيت أعجب من أمرك وانصرافك عن مقتضى قضيتك، إذا كان ما ثبت لكل واحد من الأمة ثابتاً لجميعها فقد ثبت عندى وعندك الحكم على كل واحد منها بجواز الخطأ والنسيان وتعمد الغلط في الأفعال والأقوال، فاحكم بثبوت ذلك لجميعها، وأسقط ما ادعيت من عصمتها! فلم يدر ما يقول بعد هذا!

ومن عجيب أمرهم وطريف رأيهم قولهم: إن الأمة معصومة وقولها حجة، وهي مفتقرة مع ذلك إلى إمام، وإمامها غير معصوم ولا قوله حجة، وليس هو مفتقراً إلى إمام، وهذا من أعجب الأقوال! ومن عجيب المناقضة أن يكون لها إمام ولا يكون ارتفاع العصمة عن الإمام موجباً أن يكون له إمام، ولا يكون أيضاً غنايه عن الإمام يقتضى تميزه بالعصمة عن الأنام.

إنهم جعلوا حجتهم في عصمة الأمة وفي أن إجماعها صواب وحجة خبراً نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أنه: لا تجتمع أمتى على ضلالة، وهذا الخبر لا يمكنهم على أصلهم أن يدعوا فيه التواتر، إذا كان غير موجب لسامعيه على الضرورة بصحته، فهو لامحالة من أخبار الآحاد، فهم إذ أقدموا دليل الدعوى بأن الأمة لا تجتمع على ضلال قول بعضها، والحجة على عصمتها شهادة واحد منها، ولم يعلموا أن الخلاف في قول جميعها يتضمن الخلاف في قول بعضها، والتخطئة لسائرها يدخل في التخطئة لواحدها! وهل هم في ذلك إلا كمن ادعى الحجة بإجماع عشرة من الناس على قول أو فعل، وجعل دليلاً على ذلك قول واحد من العشرة، ولم يعلم أن المخالف له في الحجة بإجماع العشرة لم يصر إلى ذلك إلا بعد المخالفة له فيمن دون العشرة! إذ لو سلم الخصم قول بعضها لم يصح خلافه له في قول جميعها!

ولما رأوا أن خبرهم لا يصح كونه في قسم المتواتر على أصلهم، ولا ينصرف عن إضافته إلى أخبار الآحاد التي لا تثبت بها حجة لدعواهم، اشتد غلظهم وعظم زللهم، فأدأهم إلى القول بأنهم علموا بصحته بالإجماع! وهذا من أعجب الأقوال! وهو في المناقضة لاحقٌ

في الهذيان، لأن أصل الخلاف إنما هو في الإجماع وهل هو حجة أم لا، فكيف يكون الإجماع دليلاً لنفسه، وبرهاناً على ما يدعى من صوابه؟! ولو جاز هذا لكانت الدعوى نفسها برهاناً والفتوى بعينها دليلاً، وهذا ما لا يخفى فساده على العقلاء.

ومما يوضح غلطهم فيه أن الدليل على الشيء يعرف قبل معرفته الشيء، فإذا كانوا لم يعلموا أن الإجماع حجة، وإن الأمة فيما تخبر به معصومة إلا بالخبر فقد وجب أن يكونوا عالمين بصحته قبل علمهم بأن الإجماع حجة، وإن الأمة فيما تخبر به معصومة، وإذا كانوا لم يعلموا أن الخبر صحيح إلا بالإجماع، فقد وجب أن يكونوا عالمين بأن الإجماع حجة قبل علمهم بصحة الخبر، فكيف يتقدم المؤخر ويتأخر المقدم، وهل رؤى قط أعجب من هذا الأمر؟!.

أقول: ما أوردناه من كلام العلامة الحلي والكرجكي رحمهما الله، يكفي لبيان أن مخالفتنا ينقضون عملياً عصمة الأنبياء عليهم السلام التي قرروها نظرياً!

نماذج من آراء علمائهم في عصمة الأنبياء

هذه آراء بعض كبار علمائهم في عصمة الأنبياء عليهم السلام، وهي صريحة في سلب قسم من العصمة عنهم عليهم السلام، ثم تراهم يسلبون ما أقروا به منها عندما يصلون إلى الإسرائيليات التي تطعن في عصمتهم وعدالتهم عليهم السلام، والقرشيات التي تطعن في عصمة نبينا وعدالته صلى الله عليه وآله، ويؤيدونها بمتشابه الآيات!

وقد بسطنا الكلام في رأى الفخر الرازى لأنه إمام معترف به عند الأشعرية. وكذا فى رأى ابن تيمية لأنه هاجم الشيعة بسبب قولهم بالعصمة التامة للأنبياء عليهم السلام وادعى إجماع السنيين على ارتكاب الأنبياء عليهم السلام للمعاصى الصغيرة والكبيرة حتى فى تبليغ الرسالة، غاية الأمر أن الله تعالى ينههم أو يؤنبهم ويتوب عليهم!!

ولأنه انفرد بالكشف عن السبب الحقيقى لرفضهم عصمة الأنبياء عليهم السلام وهو أنها تستوجب الطعن فى أبى بكر وعمر، وذلك لأن الارتكاز الذهنى يوجب التجانس بين النبى صلى الله عليه وآله وخليفته، وأبو بكر وعمر قد عبدا الأصنام مدة طويله، فلو قبلوا أن النبى صلى الله عليه وآله معصوم لما ناسب أن يكونا خليفته، وسترى كلامه!

رأى الغزالي

قال فى المستصفى ص ٢٧٤: (الفصل الأول فى دلالة الفعل ونقدم عليه مقدمة فى عصمة الأنبياء، فنقول: لما ثبت ببرهان العقل صدق الأنبياء وتصديق الله تعالى إياهم بالمعجزات، فكل ما يناقض مدلول المعجزة فهو محال عليهم بدليل العقل، ويناقض مدلول المعجزة جواز الكفر والجهل بالله تعالى وكتمان رسالة الله والكذب والخطأ والغلط فيما يبلغ، والتقصير فى التبليغ والجهل بتفاصيل الشرع الذى أمر بالدعوة إليه.

أما ما يرجع إلى مقارفة الذنب فيما يخصه ولا يتعلق بالرسالة فلا يدل على عصمتهم عنه، عندنا دليل العقل، بل دليل التوقيف والإجماع قد دل على عصمتهم عن الكبائر، وعصمتهم أيضاً عما يصغر أقدارهم من القاذورات، كالزنا والسرقه واللواط.

أما الصغائر فقد أنكرها جماعة وقالوا: الذنوب كلها كبائر فأوجبوا عصمتهم عنها، والصحيح أن من الذنوب صغائر وهى التى تكفرها الصلوات الخمس، واجتناب الكبائر كما ورد فى الخبر، وكما قررنا حقيقته فى كتاب التوبة من كتاب إحياء علوم الدين.

فإن قيل: لم تثبت عصمتهم بدليل العقل، لأنهم لو لم يعصموا لَنَفَرَت قلوب الخلق عنهم؟!.

قلنا: لا يجب عندنا عصمتهم من جميع ما ينفر، فقد كانت الحرب سجلاً بينه وبين الكفار، وكان ذلك ينفر قلوب قوم عن الإيمان ولم يعصم عنه وإن ارتاب المبطلون، مع أنه حفظ عن الخط والكتابة كى لا يرتاب المبطلون. وقد ارتاب جماعة بسبب النسخ، كما قال تعالى: وَإِذَا يَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ. (النحل: ١٠١) وجماعة بسبب المتشابهات فقالوا: كان يقدر

على كشف الغطاء لو كان نبياً لخلص الخلق من كلمات الجهل والخلاف كما قال تعالى: فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ (آل عمران: ٧) وهذا لأن نفى المنفردات ليس بشرط دلالة المعجزة.

هذا حكم الذنوب، أما النسيان والسهو فلا خلاف في عصمتهم بما يتعلق بتبليغ الشرع والرسالة، فإنهم كلفوا تصديقه جزماً، ولا يمكن التصديق مع تجويز الغلط، وقد قال قوم: يجوز عليه الغلط فيما شرعه بالإجتهد، لكن لا يقتر عليه، وهذا على مذهب من يقول المصيب واحد من المجتهدين، أما من قال: كل مجتهد مصيب فلا يتصور الخطأ عنده في اجتهاد غيره فكيف في اجتهاده).

وقال في المنحول ص ٣٠٩: (وقد تقرر بمسلك النقل كونهم معصومين عن الكبائر، وأما الصغائر ففيه تردد العلماء، والغالب على الظن وقوعه، وإليه تشير بعض الآيات والحكايات).

هذا كلام في وقوعه، أما جوازه فقد أطبقت المعتزلة على وجوب عصمة النبي عليه السلام عقلاً عن الكبائر تعويلاً على أنه يورث التنفير وهو مناقض لغرض النبوة، وهذا يبطل بكون الحرب سجلاً بينه وبين الكفار وبه اعتصم بعض اليهود في تكذيبه. والمختار ما ذكره القاضي وهو أنه لا يجب عقلاً عصمتهم إذ لا يستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل ولا بنظر العقل، وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزة فإن مدلولها صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى، فلا جرم لا يجوز وقوع الكذب فيما يخبر به عن الرب تعالى لاعمداً ولا سهواً، ومعنى التنفير باطل، فإننا نُجَوِّزُ أَنْ يَبْتِئَ اللَّهُ تَعَالَى كَافِراً وَيُؤَيِّدَهُ بِالْمَعْجِزَةِ! والمعتزلة يأبون ذلك أيضاً.

والذين أوجبوا عصمته عن الكبيرة اختلفوا، فمنهم من قال كل مخالفة كبيرة بالنسبة إلى عظمتها، فلا صغيرة أصلاً وكل مخالفة كبيرة. وهذا كما أن رفع الصوت فوق صوت من يماثل الإنسان، قد يعدُّ صغيرةً وهو بعينه في مجلس الملوك كبيرةً دونه تُحَزُّ الرقاب، فللنسبة بعد تأثير في تعظيم أثر المخالفة.

والذين أثبتوا الصغيرة اضطربوا، ومثار الإضطراب في أنه هل يورث التنفير.

أما النسيان فلا يجب كونه عندنا معصوماً عنه في أفعاله وأقواله، إلا- فيما يخبر عن الله تعالى، لأن تجويزه مناقض مدلول المعجزة). انتهى.

أقول: لك أن تلاحظ فظاعة مذهب أتباع الخلافة في قول الغزالي: (ومعنى التنفير باطل، فإننا نُجَوِّزُ أَنْ يَبْتِئَ اللَّهُ تَعَالَى كَافِراً وَيُؤَيِّدَهُ بِالْمَعْجِزَةِ!!! ومعناه أن المهم عندهم في العقائد والقيم والشرائع التي يدعو إلى الرسول، هو إبلاغها للناس ليطبّقوها، وليس أن يطبقها هو!

والمهم في شخصية الأنبياء والرسل عليهم السلام ليس إيمانهم بما جاؤوا به ولا تطبيقهم له، بل نقلهم البريدي له! حتى لو كانوا فسقة فجرة كفره، وضربوا بما أوحى إليهم عرض الجدار، فنفر الناس منهم لتناقضهم وفقدانهم المصداقية! وهذا يضع يدنا على تأثير علماء السلطة القرشية بتصور اليهود عن أفعال الله تعالى وفقدانها للحكمة! وتصورهم عن أنبياء الله عليهم السلام، وأن النبوة منصب دنيوي كمنصب قضاة بني إسرائيل، ومنصب الخلافة الأموية والعباسية!

رأى الآمدى

قال في الأحكام في أصول الأحكام: ١/١٦٩:

(المقدمة الأولى: في عصمة الأنبياء عليهم السلام وشرح الاختلاف في ذلك، وما وقع الإتفاق من أهل الشرائع على عصمتهم عنه من المعاصي وما فيه الاختلاف.

أما قبل النبوة فقد ذهب القاضي أبو بكر وأكثر أصحابنا وكثير من المعتزلة إلى أنه لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة، بل ولا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم وآمن بعد كفره.

وذهبت الروافض إلى امتناع ذلك كله منهم قبل النبوة، لأن ذلك مما يوجب هضمهم في النفوس واحتقارهم والنفرة عن اتباعهم،

وهو خلاف مقتضى الحكمة من بعثه الرسل، ووافقهم على ذلك أكثر المعتزلة، إلا في الصغائر.

والحق ما ذكره القاضى لأنه لاسمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك والعقل دلالة مبنية على التحسين والتقبيح العقلى، ووجوب رعاية الحكمة في أفعال الله تعالى، وذلك كله مما أبطلناه في كتبنا الكلامية.

وأما بعد النبوة فالإتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمتهم عن تعمد كل ما يخل بصدقهم فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه، من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله تعالى.

واختلفوا في جواز ذلك عليهم بطريق الغلط والنسيان، فمنع منه الأستاذ أبو إسحاق وكثير من الأئمة، لما فيه من مناقضة دلالة المعجزة القاطعة. وجوز القاضى أبو بكر، مصيراً منه إلى أن ما كان من النسيان وفتات اللسان غير داخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة، وهو الأشبه.

وأما ما كان من المعاصى القولية والفعلية التى لادلالة للمعجزة على عصمتهم عنها، فما كان منها ككفر فلا نعرف خلافاً بين أرباب الشرائع فى عصمتهم عنه، إلا ما نقل عن الأزارقة من الخوارج أنهم قالوا بجواز بعثه نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته، وما نقل عن الفضلية من الخوارج أنهم قضوا بأن كل ذنب يوجد فهو كفر، مع تجويزهم صدور الذنوب عن الأنبياء فكانت كفراً.

وأما ما ليس بكفر، فإما أن يكون من الكبائر أو ليس منها. فإن كان من الكبائر فقد اتفقت الأمة سوى الحشوية ومن جوز الكفر على الأنبياء، على عصمتهم عن تعمد من غير نسيان ولا تأويل، وإن اختلفوا فى أن مدرك العصمة السمع، كما ذهب إليه القاضى أبو بكر والمحققون من أصحابنا، أو العقل، كما ذهب إليه المعتزلة.

وأما أن كان فعل الكبيرة عن نسيان أو تأويل خطأ، فقد اتفق الكل على جوازه سوى الراضة.

وأما ما ليس بكبيرة، فإما أن يكون من قبيل ما يوجب الحكم على فاعله بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة، كسرقة خبزة أو كسرة، فالحكم فيه كالحكم فى الكبيرة. وأما ما لا يكون من هذا القبيل كنظره أو كلمة سفه نادرة فى حالة غضب، فقد اتفق أكثر أصحابنا وأكثر المعتزلة على جوازه عمداً وسهواً خلافاً للشيعه مطلقاً، وخلافاً للجباى والنظام وجعفر بن مبشر فى العمداً. انتهى.

وتلاحظ فى رأى الآمدى تصديق قول العلامة الحلى قدس سره فى نهج الحق ص ١٥٩:

(واعلم أن البحث مع الأشاعرة فى هذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا فى ذلك استعملوا الفضول، لأنهم يجوزون تعذيب المكلف على أنه لم يفعل ما أمره الله تعالى به من غير أن يعلم ما أمره به، ولا أرسل إليه رسولاً البتة!....

فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبى عليه السلام وهو من الله وكل ما يفعله تعالى فهو حسن! وكذا أنواع المعاصى! وكيف يمكنهم مع هذا المذهب التنزيه للأنبياء عليهم السلام؟! نعوذ بالله من مذهب يودى إلى تحسين الكفر وتقبيح الإيمان، وجواز بعثه من اجتمعت فيه كل الرذائل والسقطات. وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة فى هذا الباب، قد أنكروا الضروريات). انتهى.

رأى القاضى عياض

قال فى كتابه (الشفاه بتعريف حقوق المصطفى): ٢/١٧٢:

(فصل: قد استبان لك أيها الناظر مما قررناه ما هو الحق من عصمته (ص) عن الجهل بالله وصفاته، أو كونه على حالة تنافى العلم شئ من ذلك كله جملة، بعد النبوة عقلاً وإجماعاً، وقبلها سماعاً ونقلًا، ولا بشئ مما قررناه من أمور الشرع، وأداه عن ربه من الوحي، قطعاً وعقلاً وشرعاً.

وعصمته عن الكذب وخلف القول، منذ نبأه الله وأرسله، قصداً أو غير قصد، واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً، وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً، وعن الصغائر تحقيقاً، وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة، وعصمته فى كل حالاته من رضاً وغضب، وجد ومزح). انتهى.

أقول: بذل القاضى عياض جهده فى كتابه لإظهار النبى صلى الله عليه وآله بمظهر لائق وتنزيهه عما نسبوه إليه من أخطاء ومعاص، لكنه اصطدم دائماً بالقرشيات التى ملأت الصحاح، فحاول معالجتها وتأويلها بما يحفظ رواياتها، ويحفظ مكانة النبى صلى الله عليه وآله فلم يحالفه التوفيق، كما سترى فى قصة الغرائق!

رأى الفخر الرازى

قال فى المحصول: ٣/٢٢٥: (اختلفت الأمة فى عصمة الأنبياء عليهم السلام على قولين: أحدهما، قول من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يقع منهم ذنب صغيراً كان أو كبيراً، لاعمداً ولا سهواً ولا من جهة التأويل، وهو قول الشيعة.

والإخر: قول من ذهب إلى جوازه عليهم، ثم اختلفوا فيما يجوز من ذلك وما لا يجوز. والإختلاف فى هذا الباب يرجع إلى أقسام أربعة:

أحدها، ما يقع فى باب الاعتقاد وقد اتفقوا على أنه لا يجوز أن يقع منهم الكفر، وقالت الفضيلية من الخوارج أنه قد وقعت منهم ذنوب وكل ذنب عندهم كفر وشرك. وأجازت الشيعة إظهار الكفر على سبيل التقية.

فأما الاعتقاد الخطأ الذى لا يبلغ الكفر، مثل أن يعتقد مثلاً أن الأعراض باقية ولا يكون كذلك، فمنهم من أباه لكونه منفراً، ومنهم من جوزه.

وثانيها، باب التبليغ، واتفقوا على أنه لا يجوز عليهم التغيير، وإلا لزال الوثوق بقولهم. وقال قوم يجوز ذلك من جهة السهو.

وثالثها، ما يتعلق بالفتوى، واتفقوا أيضاً على أنه لا يجوز عليهم الخطأ فيه، وجوزه قوم على سبيل السهو.

ورابعها، ما يتعلق بأفعالهم، واختلفت الأمة فيه على أربعة أقوال:

أحدها: قول من جَوَّز عليهم الكبائر عمدًا. وهؤلاء منهم من قال بوقوع هذا الجائر وهم الحشوية، وقال القاضى أبو بكر: هذا وإن جاز عقلاً ولكن السمع منع من وقوعه.

وثانيها: أنه لا يجوز أن يرتكبوا كبيرة ولا صغيرة عمدًا، لكن يجوز أن يأتوا بها على جهة التأويل، وهو قول الجبائى.

وثالثها: أنه لا يجوز ذلك لاعمدًا ولا من جهة التأويل لكن على سبيل السهو، وهم مؤاخذون بما يقع منهم على هذه الجهة، وإن كان موضوعاً عن أمتهم، لأن معرفتهم أقوى فيقدرون على التحفظ عما لا يتأتى لغيرهم.

ورابعها: أنه لا يجوز أن يرتكبوا كبيرة، وأنه قد وقعت منهم صغائر على جهة العمد والخطأ والتأويل إلا ما ينفر كالكذب والتطيف، وهو قول أكثر المعتزلة.

والذى نقول به أنه لم يقع منهم ذنب على سبيل القصد لاصغيراً ولا كبيراً، أما السهو فقد يقع منهم لكن بشرط أن يتذكروه فى الحال وينبهوا غيرهم على أن ذلك كان سهواً، وقد سيقت هذه المسألة فى علم الكلام، ومن أراد الإستقصاء فعليه بكتابتنا فى عصمة الأنبياء، والله أعلم). انتهى.

وقال فى عصمة الأنبياء ص ٨:

[الرابع] ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم، وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

الأول: الحشوية وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

الثانى: أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا تكون منفراً، وأما أن كانت منفراً فذلك لا يجوز عليهم، مثل التطيف بما دون الحبة، وهو قول أكثر المعتزلة.

الثالث: أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ فى التأويل، وهو قول أبى على الجبائى.

الرابع: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ. أما السهو والنسيان فجائز، ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أن علومهم أكمل، فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ، وهو قول أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام.

الخامس: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل، ولا بالسهو والنسيان. وهذا مذهب الشيعة.

واختلفوا أيضاً في وقت وجوب هذه العصمة، فقال بعضهم: أنها من أول الولادة إلى آخر العمر، وقال الأكثرون هذه العصمة إنما تجب في زمان النبوة فأما قبلها فهي غير واجبة. وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله تعالى

والذي نقول: أن الأنبياء عليهم السلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز.

ويدل على وجوب العصمة وجوه خمسة عشرة:

الحجة الأولى، لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً أشد من حال عصاة الأمة، وهذا باطل....

الحجة الثانية، لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيبٍ فَتَبَيَّنُوا....

الحجة الثالثة، لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير جائز، لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فكان صدور الذنب عنهم ممتنعاً...

الحجة الرابعة، لو صدر الفسق عن محمد عليه الصلاة والسلام لكننا إما أن نكون مأمورين بالإقتداء به وهذا لا يجوز، أو لآكون مأمورين بالإقتداء به وهذا أيضاً باطل لقوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ....

الحجة الخامسة، لو صدرت المعصية عن الأنبياء عليهم السلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله بعذاب جهنم، لقوله تعالى: وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ، ولكانوا ملعونين لقوله تعالى: إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ...

الحجة السادسة، إنهم كانوا يأمرن بالطاعات وترك المعاصي، ولو تركوا الطاعة وفعّلوا المعصية لدخلوا تحت قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبِيرٌ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. وتحت قوله تعالى: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ... الحجة السابعة، قال الله تعالى في صفة إبراهيم وإسحاق ويعقوب: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، والألف واللام في صيغة الجمع تفيد العموم فدخل تحت لفظ الخيرات فعل كل ما ينبغي وترك كل ما لا ينبغي، وذلك يدل على أنهم كانوا فاعلين لكل الطاعات وتاركين لكل المعاصي.

الحجة الثامنة، قوله تعالى: إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْإِخْيَارِ.... فدلّت هذه الآية على أنهم كانوا من المصطفين الإخيار في كل الأمور...

الحجة التاسعة، قوله تعالى حكاية عن إبليس: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، لإعبادك منهم المخلصين. استثنى المخلصين من إغوائه وإضلاله. ثم إنه تعالى شهد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أنهم من المخلصين، حيث قال: أَنَا أَخْلَصْنَاَهُمْ بِخَالِصِيهِ ذِكْرِي الدَّارِ. وقال في حق يوسف عليه السلام: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ فلما أقر إبليس أنه لا يغوي المخلصين، وشهد الله بأن هؤلاء من المخلصين، ثبت أن إغواء إبليس ووسوسته ما وصلت إليهم...

الحجة العاشرة، قال الله تعالى: وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فهؤلاء الذين لم يتبعوا إبليس إما أن يقال إنهم الأنبياء أو غيرهم فإن كانوا غيرهم لزم أن يكونوا أفضل منهم....

الحجة الحادية عشرة، أنه تعالى قسم المكلفين إلى قسمين: حزب الشيطان كما قال تعالى: أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِنْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ. وحزب الله كما قال تعالى: أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ إِنْ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. ولا شك أن حزب الشيطان هو الذي يفعل ما يريد الشيطان ويأمره به، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لصدق عليهم أنهم من حزب الشيطان، ولصدق عليهم قوله تعالى: إِنْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ، ولصدق على الزهاد من آحاد الأمة قوله تعالى: إِنْ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وحينئذ يلزم أن يكون

واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء، ولا شك في بطلانه..

الحجة الثانية عشرة، إن أصحابنا بينوا أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وثابت بالدلالة أن الملائكة ما أقدموا على شئ من الذنوب، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لامتنع أن يكونوا زائدين في الفضل على الملائكة...

الحجة الثالثة عشرة، قال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**، والإمام هو الذي يقتدى به، فلو صدر الذنب عن إبراهيم لكان اقتداء الخلق به في ذلك الذنب واجباً. وإنه باطل.

الحجة الرابعة عشرة، قوله تعالى: **لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**، فكل من أقدم على الذنب كان ظالماً لنفسه لقوله تعالى: **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**. إذا عرفت هذا فنقول: ذلك العهد الذي حكم الله تعالى بأنه لا يصل إلى الظالمين إما أن يكون هو عهد النبوة أو عهد الإمامة، فإن كان الأول فهو المقصود، وإن كان الثاني فالمقصود أظهر، لأن عهد الإمامة أقل درجة من عهد النبوة، فإذا لم يصل عهد الإمامة إلى المذنب العاصي، فبأن لا يصل عهد النبوة إليه أولى.

الحجة الخامسة عشرة، روى أن خزيمة بن ثابت الأنصاري (رض) شهد على وفق دعوى النبي (ص) مع أنه ما كان عالماً بتلك الواقعة فقال خزيمة: **إني أصدقك فيما تخبر عنه من أحوال السماء، أفلا أصدقك في هذا القدر؟! فلما ذكر ذلك صدقه النبي (ص) فيه ولقبه بذي الشهادتين، ولو كان الذنب جائزاً على الأنبياء لكانت شهادة خزيمة غير جائزة....**

ثم قال الرازي: (واعلم أن شبهات المخالفين في هذه المسألة كثيرة، ونحن نذكرها على سبيل الإختصار...). انتهى.

ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي

الملاحظة ١

أنه تأثر كثيراً بمنهج السيد المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء عليهم السلام الذي ألفه قبله بأكثر من قرن ونصف، بل يمكن القول إن كتاب عصمة الأنبياء عليهم السلام للرازي هو نفس كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام للسيد المرتضى، مصوغاً بقلم سني!

الملاحظة ٢

أن الرازي كغيره من علماء الأشعرية، يجيدون الدفاع عن الأنبياء عليهم السلام عندما يعتمدون العقل والفترة الإنسانية، فيجئ دفاعهم قوياً متماسكاً، لكنهم عندما يصطدمون بعشرات الأحاديث الصحيحة عندهم في البخاري ومسلم وغيرهما، ينخث كلامهم ويضطرب! فترى بعضهم يغمض بصره عن تلك الأحاديث، أو يشير إليها إشارة ويردها، وأحياناً أخرى يدافع عنها، فيقع في التناقض!

فالمشكلة الأساسية التي تواجه الباحث منهم ليست الآيات المتشابهة التي يفهم من ظاهرها معصية الأنبياء عليهم السلام وتحتاج إلى تفسير أو تأويل، بل الإسرائيليات التي تثقل كاهل الصحاح في ذم الأنبياء عليهم السلام، ولا يمكن تأويلها!

نعم إن العقبة الكأداء هي القرشيات التي روتها مصادرهم في ذم نبينا صلى الله عليه وآله وربطتها بالآيات المتشابهة وفسرتها بها، أو جعلتها سبباً لنزولها كذباً وزوراً!

وقلما تجد من علمائهم صاحب شجاعه، يتقرب إلى الله تعالى ويتخطى هذه الموانع دفاعاً عن نبينا صلى الله عليه وآله وأنبياء الله عليهم السلام!

لاحظ ما قاله الرازي في ص ٧٢، في قصة نبي الله داود عليه السلام: (فاعلم أن الذي أقطع به عدم دلالة هذه الآية على صدور الكبيرة من داود عليه السلام. وبيانه من وجوه:

الأول، أن الذي حكاه المفسرون عن داود وهو أنه عشق امرأة أوريا فاحتال حتى قتل زوجها فتروجها، لا يليق بالأنبياء، بل لو وصف به

أفسق الملووك لكان منكرًا.

الثاني، أن الدخول في دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته، فكيف ترك الله الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الإخف؟!

الثالث، أن السورة من أولها إلى آخرها في محاجة منكرى النبوة، فكيف يلائمها القدح في بعض أكابر الأنبياء بهذا الفسق القبيح؟!

الرابع، أن الله تعالى وصف داود عليه السلام في ابتداء القصة بأوصاف حميدة، وذلك ينافي ما ذكره في الحكاية.....!

فإن قلت: إن كثيراً من المحدثين روى هذه الحكاية!

قلت: هذه الدلائل الباهرة لما أبطلت قولهم وجب القطع بفسادها، فالعجب اتفاق الناس على أن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن، والظن إنما ينتفع به في العمليات وهذه المسألة ليست من العمليات، فصارت روايتهم ساقطة العبرة من كل الوجوه.... وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علياً (رض) قال: من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلده مأتين وستين وهو حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام. وروى أن واحداً ذكر ذلك الخبر عند عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله تعالى فما ينبغي أن نلتمس خلافها، وإن كان على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فيما ينبغي إظهار ما عليه. فقال عمر: سماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت الشمس عليه). انتهى.

فأنت ترى أن الرازي أجاد، لأنه جرى في كلامه على مقتضى العقل والفطرة، ورداً لإسرائيليات رواة السلطة، لأنها تنافي عصمة نبي الله داود عليه السلام.

لكنه لا يملك هذه الشجاعة إذا وصل إلى القرشيات التي يستوجب ردها أن يضرب برواية البخاري عرض الجدار، مع أن البخاري دخل في الرواة الذين هاجمهم! حيث تبنى اتهام رواة الإسرائيليات لداود عليه السلام! قال في: ٤/١٣٤: (وَهَيْلَ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ..... إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً..... يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ نَعْجَةٌ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضاً شَاءٌ... الخ). انتهى.

ومعنى هذا أن البخاري تبنى كل إسرائيليات السلطة، لأنها كلها مبنية على أن المقصود بتسع وتسعين نعجة: تسع وتسعون امرأة!! ومن تأثير قداسة البخاري على الرازي أنه قال بتزيه الأنبياء عليهم السلام وساق حججه التي رأيت بعضها، لكنه غض بصره عن أحاديث البخاري وغيره التي تنسبهم إلى المعاصي، ولم يؤولها ولم يردّها!

لقد أطال في ص ٢٨ وما بعدها في الدفاع عن نبي الله إبراهيم عليه السلام، فقال عن الآيات التي تمسكوا بها في اتهامه بالكفر والكذب: (تمسكوا بها من وجوه تسعة: الأولى: قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: قَالَ هَذَا رَبِّي، فلا يخلو إما أن يقال إنه قال هذا الكلام في النظر والاستدلال أو قبل البلوغ أو بعده....

والأصح من هذه الأقوال أن ذلك على وجه الإعتبار والاستدلال لا على وجه الأخبار، ولذلك فإن الله تعالى لم يذم إبراهيم عليه السلام على ذلك، بل ذكره بالمدح والتعظيم، وأنه أراه ذلك كى يكون من الموقنين، هذا هو البحث المشهور في الآيه، وفيها أبحاث آخر من حيث أن بعض الملاحدة قال إن إبراهيم استدلل على الشئ بما لا يدل عليه وذكر أشياء لا تصح، فكان الطعن متوجهاً، ونحن نذكر كل واحد من تلك الأسئلة الأربعة عشرة مع جوابه....). انتهى.

وقد تقدم قول الرازي: (الحجة الثالثة عشرة: قال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، والإمام هو الذى يقتدى به، فلو صدر الذنب عن إبراهيم لكان اقتداء الخلق به في ذلك الذنب واجباً. وإنه باطل). انتهى.

فهل فاته أنه بذلك يطعن فيما رواه البخاري عن الأنبياء عليهم السلام؟!

رأى ابن تيمية و مشبهة الحنابلة في عصمة الأنبياء

ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء

قال في منهاج سنته: ١/٤٧٣: (وأما الرافضة فأشبهوا النصارى، فإن الله تعالى أمر الناس بطاعة الرسل فيما أمروا به، وتصديقهم فيما أخبروا به، ونهى الخلق عن الغلو والإشراك بالله تعالى، فبدلت النصارى دين الله تعالى فغلووا في المسيح فأشركوا به وبدلوا دينه..... وكذلك الرافضة غلّوا في الرسل بل في الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله، فتركوا عبادة الله وحده لاشريك له التي أمرهم بها الرسل، وكذبوا الرسل فيما أخبروا به من توبة الأنبياء واستغفارهم!) انتهى.

يقصد بذلك أن الشيعة كذبوا الرسل في أن الأنبياء عليهم السلام قد ارتكبوا المعاصي وتابوا، وذلك لأن الشيعة يكذبون الإسرائيليات في مصادر الخلافة القرشية التي تنسب إلى الأنبياء عليهم السلام المعاصي، فتكذيبها عنده يعتبر تكذيباً للرسل وكفراً!!

السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة

كشف ابن تيمية عن سبب حملته على الشيعة لتزويهم الأنبياء عليهم السلام! فقد تخيل أن غرضهم من ذلك الطعن بأبي بكر وعمر، لأن عقيدة العصمة التامة تجعل المعاصي فضيلة وارتكابها منقصة، وأبو بكر وعمر كانا كافرين قبل الإسلام يرتكبان المعاصي، فيكون ذلك منقصة فيهما، فلا يستحقان مقام الخلافة عن النبي المعصوم عصمة تامة!.

لذا رأى ابن تيمية أنه يجب الدفاع عن أبي بكر وعمر، وذلك برفض عقيدة العصمة التامة للأنبياء عليهم السلام، والقول بأنهم كانوا قبل النبوة مثل أبي بكر وعمر كفاراً يرتكبون المعاصي ثم تابوا، ثم يجعل الكافر ومرتكب المعصية التائب أفضل من غير مرتكبها!! قال في منهاج سنته: ٢/٤٢٩: (وأما ما تقوله الرافضة من أن النبي قبل النبوة وبعدها لا يقع منه خطأ، ولا ذنب صغير وكذلك الأئمة، فهذا مما انفردوا به عن فرق الأمة كلها، وهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف، ومن مقصودهم بذلك القدح في إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لكونهما أسلما بعد الكفر، ويدعون أن علياً (رض) لم يزل مؤمناً، وأنه لم يخطئ قط ولم يذنب قط، وكذلك تمام الإثنى عشر. وهذا مما يظهر كذبهم وضلالهم فيه لكل ذي عقل يعرف أحوالهم! ولهذا كانوا هم أغلى الطوائف في ذلك وأبعدهم عن العقل والسمع....

ونكتة أمرهم أنهم ظنوا وقوع ذلك من الأنبياء والأئمة نقصاً، وإن ذلك يجب تزويهم عنه، وهم مخطئون إما في هذه المقدمة وإما في هذه المقدمة.

أما المقدمة الأولى فليس من تاب إلى الله تعالى وأتاب إليه بحيث صار بعد التوبة أعلى درجة مما كان قبلها، منقوصاً ولا مغضوباً منه، بل هذا مفضلٌ عظيمٌ مكرمٌ، وبهذا ينحل جميع ما يوردونه من الشبه). انتهى!!

ثم أفاض ابن تيمية بذكر فضائل من يعصى ويتوب، فقال في منهاجه ٢/٤٣٠:

(وفي الصحيحين عن النبي (ص) من غير وجه أنه قال: الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دويئة مهلكة، عليها طعامه وشرابه، فقال (من القيلولة) تحت شجرة ينتظر الموت، فلما استيقظ إذا بدابته عليها طعامه وشرابه! فكيف تجدون فرحه بها؟ قالوا: عظيماً يا رسول الله. قال: الله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته..... فمن يجعل التائب الذي اجتباه الله وهداه منقوصاً بما كان من الذنب الذي تاب منه، وقد صار بعد التوبة خيراً مما كان قبل التوبة، فهو جاهل بدين الله تعالى وما بعث الله به رسوله)!!

ثم تنازل ابن تيمية قليلاً، فقال: (ولسنا نقول إن كل من أذنب وتاب فهو أفضل ممن لم يذنب ذلك الذنب، بل هذا يختلف باختلاف أحوال الناس! فمن الناس من يكون بعد التوبة أفضل، ومنهم من يعود إلى ما كان ومنهم من لا يعود إلى مثل حاله. والأصناف الثلاثة فيهم من هو أفضل ممن لم يذنب ويتب، وفيهم من هو مثله، وفيهم من هو دونه). انتهى.

ومعنى كلامه أن الكافر مرتكب المعصية إذا تاب، قد يكون أحياناً خيراً ممن لم يكفر ولم يرتكب المعصية!

ثم قال: (بل أقوال هؤلاء الذين غلّوا بجهل من الأقوال المبتدعة في الإسلام (بقولهم بالعصمة التامة) وهم قصدوا تعظيم الأنبياء بجهل،

كما قصدت النصارى تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل، فأشركوا بهم واتخذوهم أرباباً من دون الله! ثم ارتكب ابن تيمية مصادرة واضحة فاستدل على معاصي الأنبياء عليهم السلام بما رووه من الإسرائيليات، وبظواهر بعض الآيات المتقدمة! قال في منهاجه ٢/٤٣٥:

(بل كتب التفسير والحديث والآثار والزهد وأخبار السلف مشحونة عن الصحابة والتابعين بمثل ما دل عليه القرآن (أى ارتكاب الأنبياء للمعاصي!) وليس فيهم من حرّف الآيات كتحرّيف هؤلاء، ولا من كذب بما فى الأحاديث كتكذيب هؤلاء، ولا من قال هذا يمنع الوثوق أو يوجب التنفير ونحو ذلك، كما قال هؤلاء)!

وقال: (وأما المسائل المتقدمة فقد شرك غير الإمامية فيها بعض الطوائف إلا غلوهم فى عصمة الأنبياء فلم يوافقهم عليه أحد أيضاً، حيث ادعوا أن النبى (ص) لا يسهو، فإن هذا لا يوافقهم عليه أحد فيما علمت، اللهم إلا أن يكون من غلاة جهال النساك، فإن بينهم وبين الرفضة قدراً مشتركاً فى الغلو وفى الجهل والإنقياد لما لا يعلم صحته، والطائفتان تشبهان النصارى فى ذلك)!

وقال فى ٢/٣٩٣: (فصل: وأما قوله وإن الأنبياء معصومون من الخطأ والسهو والمعصية صغیرها وكبيرها من أول العمر إلى آخره، وإلا لم يبق وثوق بما يبلغونه فانتفت فائدة البعثة ولزم التنفير عنهم.

فيقال: أولاً، إن الإمامية متنازعون فى عصمة الأنبياء.... ثم يقال ثانياً قد اتفق المسلمون علياً أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يجوز أن يقَرَّهم على الخطأ فى شىء مما يبلغونه عنه، وبهذا يحصل المقصود من البعثة، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبياً لا يخطئ أو لا يذنب، فليس فى النبوة ما يستلزم هذا).

لاحظ قوله: (لا يجوز أن يقَرَّهم على الخطأ فى شىء مما يبلغونه عنه) فهو صريح فى أن الأنبياء قد يخطئون حتى بعد البعثة فى التبليغ عن الله تعالى! غاية الأمر أن الله لا يقَرَّهم على الخطأ بل يوبخهم ويصحح لهم، وذلك لتبرير زعم قريش أن النبى صلى الله عليه وآله زاد فى القرآن وكفر، ومدح الأصنام فى سورة النجم بأنهن الغرائق العلى، وشفاعتهن ترتجى، فنزل جبرئيل ووبخه وصحح له! ثم قال فى ٢/٣٩٧: (والله تعالى قد أخبر أنه يبذل السيئات بالحسنات للتائب، كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح، ومعلوم أن الصحابة رضى الله عنهم من عهد الرسول (ص) وقيل أن يصدر منهم ما يدعونه من الأحداث، كانوا من خيار الخلق، وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام). انتهى.

وبذلك كشف ابن تيمية عن هدفه وغرضه، وهو أن يثبت أن كفر أبى بكر وعمر ومعاصيها قبل الإسلام، وكذا معاصي بعض الصحابة بعد الإسلام، لا تنقص من درجتهم، ولا تجعل درجة على عليه السلام والنبى صلى الله عليه وآله لعصمتها التى يدعيها الشيعة، وعدم عبادتهما للأصنام، أرفع من درجة الصحابة!

ثم تمادى ابن تيمية فاعتبر أن القول بعصمة الأنبياء التامة هو حرمان للأنبياء عليهم السلام من الوقوع فى المعاصي والفوز بالتوبة وثوابها العظيم!! قال فى نفس الموضوع:

(وأيضاً: فوجوب كون النبى لا يتوب إلى الله فينال محبة الله وفرحه بتوبته وترتفع درجته بذلك، ويكون بعد التوبة التى يحبه الله منه خيراً مما كان قبلها، فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة، غض من مناصب الأنبياء وسلبهم هذه الدرجة، ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة.

ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه، فهو مخالف ما علم بالإضطرار من دين الإسلام! فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله (ص) بعد كفرهم وهداهم الله به بعد ضلالهم، وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام!

وهل يُشَبَّه بنى الأنصار بالأنصار، أو بنى المهاجرين بالمهاجرين إلا من لا علم له!!..... وقد قال عمر بن الخطاب (رض) إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية!! انتهى.

فالنبي عند ابن تيمية إذا ذاق طعم الكفر والجرائم والمعاصي مثل أبي بكر وعمر، يكون أقرب إلى الله تعالى! والذين يقولون بعصمة النبي عليه السلام وعدم صدور المعاصي منه فقد نقضوه حقه وحرموه من النعمة العظيمة التي لا تتحقق إلا بالكفر أو بالمعاصي وهي فرحة الله بتوبته، والتي فاز بها أبو بكر وعمر!

وهكذا يظهر لك أن مكانة أبي بكر وعمر عنده هي حجر الزاوية في هندسة عقائده (الإسلامية)! وأنه لا يخجل في سلب العصمة عن جميع الأنبياء عليهم السلام ورميهم بالكفر والمعاصي حتى بعد النبوة، من أجل مساواتهم بأبي بكر وعمر! والتفضل عليهم بدرجة التوبة العظيمة التي نالها أبو بكر وعمر بتوبتهما من كفرهما ومعاصيها!

وقد واصل ابن تيمية خطبة الجمعة في مقام التائبين من جرائمهم، وكيف أن الله تعالى يمحوها بل يبدها حسنات، ثم قال في: ٢/٤٠٠: (وكذلك من اتفق أن شرب السم فسقى ترياقاً فاروقاً يمنع نفوذ سائر السموم فيه، كان بدنه أصح من بدن من لم يشرب ذلك الترياق. والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها. فهذا وأمثاله من خيار تأويلات المانعين لما دل عليه القرآن من توبة الأنبياء من ذنوبهم واستغفارهم، وزعمهم أنه لم يكن هناك ما يوجب توبة ولا استغفار ولا تفضل الله عليه بمحبته وفرحه بتوبتهم ومغفرته ورحمته لهم. فكيف بسائر تأويلاتهم التي فيها من تحريف القرآن وقول الباطل على الله، ما ليس هذا موضع بسطه!

وقال: (والمقصود هنا أن الذين ادعوا العصمة مما يتاب منه، عمدتهم أنه لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمم، لأن درجتهم أعلى فالذنب منهم أقبح، وأنه يجب أن يكون فاسقاً فلا تقبل شهادته، وأنه حينئذ يستحق العقوبة فلا يكون إيذاؤه محرماً وأذى الرسول محرم بالنص، وأنه يجب الإقتداء بهم ولا يجوز الإقتداء بأحد في ذنب. ومعلوم أن العقوبة ونقص الدرجة إنما يكون مع عدم التوبة، وهم معصومون من الإصرار).

ثم ذكر عدداً من أدعية النبي صلى الله عليه وآله مستدللاً بها على أنها دليل على صدور الذنوب الصغيرة والكبيرة منه صلى الله عليه وآله والعياذ باله، وإن ذلك لم يكن ينفر المسلمين منه!

ثم ختم كلامه بقوله: ٢/٤٠٨: (وهذا عمر بن الخطاب (رض) قد علم تعظيم رعيته له وطاعتهم، مع كونه دائماً كان يعترف بما يرجع عنه من خطأ، وكان إذا اعترف بذلك وعاد إلى الصواب زاد في أعينهم وازدادوا له محبة وتعظيماً... فعلم أن التوبة والإستغفار (من المعاصي) لا توجب تنفيراً أو لا تزِيل وثوقاً!!

دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرائق

قال في منهاج سنته: ٢/٤٠٩: (وما أعلم أن بنى إسرائيل قدحوا في نبي من الأنبياء بتوبته في أمر من الأمور! وإنما كانوا يقدرحون فيهم بالإفتراء عليهم كما كانوا يؤذن موسى عليه السلام، وإلا فموسى قد قتل القبطى قبل النبوة، وتاب من سؤال الرؤية، وغير ذلك بعد النبوة، وما أعلم أحداً من بنى إسرائيل قدح فيه بمثل هذا. وما جرى في سورة النجم من قوله: (تللك الغرائق العلى وإن شفاعتها لترتجى) على المشهور عند السلف والخلف من أن ذلك جرى على لسانه ثم نسخه الله وأبطله، هو من أعظم (الردود) على قول هؤلاء...

والعصمة المتفق عليها أنه لا يُقَرُّ على خطأ في التبليغ بالإجماع، ومن هذا فلم يعلم أحد من المشركين نفر برجوعه عن هذا، وقوله إن هذا مما ألقاه الشيطان. ولكن روى أنهم نفروا لما رجع إلى ذم آلهتهم بعد ظنهم أنه مدحها، فكان رجوعهم لدوامه على ذمها، لأنه قال شيئاً ثم قال إن الشيطان ألقاه. وإذا كان هذا لم ينفر، فغيره أولى أن لا ينفر!!

ابن تيمية يجوز أن يكون النبي كافراً فاسقاً شريراً

وأخيراً صرح ابن تيمية بمذهبه وإن لفه بلفافة! فقال بعدم عصمة الأنبياء مطلقاً وأن الله تعالى يمكن أن يبعث نبياً كافراً أو فاسقاً قبل

النبوة، أو يصير كافراً فاسقاً بعدها. وهو بذلك يجرى مع رواسب أشعريته في إنكار الحسن والقبح العقليين، وإنكار لزوم الحكمة في أفعال الله تعالى! قال في منهاجه: ٢/٤١٣:

(ومما يبين الكلام في مسألة العصمة أن تعرف النبوة ولوازمها وشروطها، فإن الناس تكلموا في ذلك بحسب أصولهم في أفعال الله تعالى، إذ كان جعل الشخص نبياً رسولاً من أفعال الله تعالى، فمن نفى الحكم والأسباب في أفعاله وجعلها معلقةً بمحض المشيئة، وجوز عليه فعل كل ممكن، ولم ينزهه عن فعل من الأفعال، كما هو قول الجهم بن صفوان وكثير من الناس كالأشعري ومن وافقه من أهل الكلام من أتباع مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من مثبتة القدر، فهؤلاء يجوزون بعثه كل مكلف! والنبوة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إليه! والرسالة مجرد أمره بتبليغ ما أوحاه إليه! والنبوة عندهم صفة ثبوتية ولا مستلزمة لصفة يختص بها، بل هي من الصفات الإضافية كما يقولون، مثل ذلك في الأحكام الشرعية. وهذا قول طوائف من أهل الكلام كالجهم بن صفوان والأشعري وأتباعهما، ولهذا من يقول بها كالقاضي أبي بكر وأبي المعالي وغيرهما يقول إن العقل لا يوجب عصمة النبي إلا في التبليغ خاصة، فإن هذا هو مدلول المعجزة! وما سوى ذلك إن دل السمع عليه، وإلا لم تجب عصمته منه.

وقال محققوا هؤلاء كأبي المعالي وغيره إنه ليس في السمع قاطع يوجب العصمة، والظواهر تدل على وقوع الذنوب منهم! وكذلك كالقاضي أبي بكر إنما يثبت ما يثبت من العصمة في غير التبليغ إذا كان من موارد الإجماع، لأن الإجماع حجة، وما سوى ذلك فيقول لم يدل عليه عقل ولا سمع.

وإذا احتج المعتزلة وموافقوهم من الشيعة عليهم بأن هذا يوجب التنفير ونحو ذلك فيجب من حكمه الله منعهم منه، قالوا هذا مبني على مسألة التحسين والتقيح العقليين ونحن نقول لا يجب على الله شيء ويحسن منه كل شيء! وإنما ننفي ما ننفيه بالخبر السمعي، ونوجب وقوع ما يقع بالخبر السمعي أيضاً، كما أوجبنا ثواب المطيعين وعقوبة الكافرين لإخباره أنه يفعل ذلك، ونفينا أن يغفر لمشرك لإخباره أنه لا يفعل ذلك، ونحو ذلك. وكثير من القدرية المعتزلة والشيعة وغيرهم ممن يقول بأصله في التعديل والتجويز، وأن الله لا يفضل شخصاً على شخص إلا بعمله، يقول إن النبوة أو الرسالة جزاء على عمل متقدم فالنبي فَعَلَ من الأعمال الصالحة ما استحق به أن يجزيه الله بالنبوة، وهؤلاء القدرية في شق، وأولئك الجهمية الجبرية في شق). انتهى.

إن اعتراف ابن تيمية هذا، لا يقف عند تجويزه أن يكون النبي كافراً فاسقاً شريكاً بل يصل إلى نفي الحكمة عن الله تعالى في أفعاله وأقواله!

وهذا هو نفس معبود التوراة الذي قال التلمود في وصفه: (سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويكي وهو يقول: الويل الويل لمن أخرج بيته... ويؤلى على ما أخرجت من بيتي! ويؤلى على ما فرقت من بنتي وبناتي!) (الفصل لابن حزم: ١/٢٢٢)

البخارى ينقض عصمة الأنبياء ويفترى عليهم

صحيح البخارى مشحون بالإسرائيليات التي تطعن في الأنبياء و أسوأ منها القرشيات التي تطعن في نبينا

نبي الله إبراهيم يكذب

مضافاً إلى ما تقدم، نورد هنا عدداً من افتراءات البخارى على الأنبياء عليهم السلام! فقد نسب إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام في: ١١٢/٤ و١١٣، وكرر ذلك في: ٦/١٢١، أنه كذب ثلاث كذبات، اثنتان لله، وواحدة لغير الله! قال: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: إِنِّي سَيِّئٌ، وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا! وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال: أختي!)

وروى فى: ٥/٢٢٦: أن ابراهيم عليه السلام يستحى من ربه يوم القيامة أن يشفع للناس بسبب كذباته الثلاث! وكرر ذلك فى: ٥/٢٢٥: ٧/٢٠٣: ١٧٢/١٨٣، ١٩٢، ٢٠١!!

نبى الله موسى غضوب بطاش

وفى: ٢/٩٢، روى ما يقوله اليهود حرفياً فى نبى الله موسى عليه السلام ووضع على لسان نبينا صلى الله عليه وآله، مثل أن موسى كان قوى الشخصية والبدن وقد غضب على ملك الموت ولطمه ففقأ عينه وأرسله إلى السماء أعور باكياً شاكياً! فعالجه الله تعالى وأعاد له ليقبض روح موسى عليه السلام! واحتاج عزرائيل إلى استعمال الحيلة مع موسى فأعطاه تفاحة مسمومة، فشمها موسى فمات!! قال البخارى: (باب من أحب الدفن فى الأرض المقدسة... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه! فرجع إلى ربه فقال: أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت! فرد الله عز وجل عليه عينه وقال: إرجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنه، قال: أى رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال قال رسول الله (ص) فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر!) وكرر البخارى هذا الحديث المزعوم فى: ٤/١٣٠، فقال: (باب وفاة موسى وذكره بعد... (كذا!) وحذف منه جملة (فقأ عينه)، التى أثبتتها مسلم: ٧/٩٩!! قال ابن حجر فى فتح البارى: ٦/٣١٥: (صكه: أى ضربه على عينه، وفى رواية همام عن أبى هريرة عند أحمد ومسلم: جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فقأها! وفى رواية عمار بن أبى عمار عن أبى هريرة عند أحمد والطبرى: كان ملك الموت يأتى الناس عياناً فأتى موسى فلطمه فقأ عينه.... وفى رواية عمار: فقال يا رب عبدك موسى فقأ عينى، ولولا كرامته عليك لشققت عليه!!)

نبى الله موسى يركض عارياً وراء ثيابه

روى البخارى قصة (ثوبى حجر) التى يزعم فيها اليهود أن نبى الله موسى عليه السلام كان يغتسل ووضع ثيابه على حجر، فركض الحجر هارباً بثيابه، وركض موسى وراءه عارياً، ورآه بنو إسرائيل! فغضب موسى على الحجر وأخذ ثيابه منه وضربه بعصاه! وزعموا أن ذلك كان بتدبير الله تعالى لكى يبرى موسى عليه السلام من اتهام بنى إسرائيل له بأن له أدرة! وكأن تبرئة الله تعالى لنبىه عليه السلام لاتتم إلا بإهاتته! قال البخارى: ٤/١٢٩: (فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبى حجر! ثوبى حجر! حتى انتهى إلى ملاء من بنى إسرائيل فأراه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبراه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطلق بالحجر ضرباً بعصاه! فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً). انتهى. وكرره البخارى هذا الحديث على عادته بمثله أو بنحوه فى: ٦/٢٨: ١١/٧٣!

نبى الله سليمان مفرط فى الجنس، معرض عن ذكر الله

وروى البخارى فى: ٣/٢٠٩ عن سليمان عليه السلام: (قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله! فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل! والذى نفس محمد بيده لوقال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون!) وكرره البخارى بنحوه: ٤/١٣٦: ١٦/١٦٠!

البخارى يروى تفضيل نبينا على الرسل والبشر

قال فى: ٥/٢٢٥: (قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الناس الأولين والإخريين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله! ولن يغضب بعده مثله! وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى نفسى، إذهبوا إلى غيرى إذهبوا إلى نوح!!

فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟

فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى. نفسى نفسى نفسى! إذهبوا إلى غيرى، إذهبوا إلى إبراهيم!!

فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله! وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات، فذكرهن أبو حيان فى الحديث، نفسى نفسى نفسى! إذهبوا إلى غيرى إذهبوا إلى موسى!! فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى نفسى! إذهبوا إلى غيرى، إذهبوا إلى عيسى! فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد صبياً، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله!! ولم يذكر ذنباً، نفسى نفسى نفسى! إذهبوا إلى غيرى إذهبوا إلى محمد!!

فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع لربي عز وجل، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى، ثم يقال يا محمد إرفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأقول أمتى يا رب أمتى يا رب، فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك، من الأبواب ثم قال: والذى نفسى بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى). انتهى.

ونحن نعتقد بتفضيل نبينا وآله صلى الله عليه وآله على الخلق كلهم، لكننا لانقبل حديث أبى هريرة المذكور، لأنه مصوغ من جو الإسرائيليات والمسيحيات عن غضب الله تعالى، وعن اعترافات أنبيائه بمعاصيهم إلا عيسى عليهم السلام! ونظمتُ بأن البخارى أوردته لا لكى يمدح النبى صلى الله عليه وآله فهو لا يتردد فى تفضيل بقية الأنبياء عليه صلى الله عليه وآله حتى يونس عليه السلام! بل ليثبت فضيلة لأمته التى فى طليعتها طلقاء قريش! وحيثما وجدنا مدحاً لأمة النبى صلى الله عليه وآله فينبغى لنا أن نفحصه حتى لا يكون موضوعاً، أو يكون كلمة حق أريد بها باطل!

ثم يتراجع البخارى ويفضل نبى الله موسى على نبينا لكنه يفضل قريشا على اليهود

روى صحيحه: ٨/٤٨: روى أن نبى الله موسى رغم عيوبه يبقى أفضل من نبينا صلى الله عليه وآله، لأنه يفيق قبله من نفخة الصور يوم

القيامة، أو يستثنى منها أصلاً، لأنه أصيب بالصعقة في طور سيناء فكفته عن صعقة الصور!

قال البخارى: (قال (ص): لا تخيرونى من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا- أدرى أفاق قبلى، أم جرى بصعقة الطور)!! انتهى. وكرر ذلك فى: ٣/٨٨، و: ٤/١٢٦ و١٣١ و١٣٣، و: ٥/١٩٦، و: ٦/٣٤، و: ٧/١٩٣، و: ٨/١٧٧!

كما روى سبباً آخر لتفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله هو أن موسى عليه السلام كان أوسع صدراً، فقد تحمل من بنى إسرائيل أكثر مما تحمل نبينا صلى الله عليه وآله من قريش! قال فى: ٤/١٣٠: (قسم النبى (ص) قسماً فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبى (ص) فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب فى وجهه، ثم قال: يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا، فصبر!) وكرره فى: ٥/١٠٦ و٧/٨٧ و٩٦ و١٤٣ و١٥٣!

وبهذا تكون قريش أفضل من اليهود لأنها لم تؤذ نبينا صلى الله عليه وآله كما آذت اليهود موسى عليه السلام! ولهذا يبكى موسى عليه السلام يوم القيامة لتفضيل أمه محمد على أمته!

قال البخارى: ٤/٢٤٩ عن لسان النبى صلى الله عليه وآله يصف معراجه: (فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلمت عليه فسلمت عليه فردت ثم قال: مرحباً بالإخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى! قيل له: ما يبكيك؟ قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي)!

وينبغى أن تعرف أن تعبير (غلاماً) عن النبى صلى الله عليه وآله تعبير يهودى فهم يزعمون أن الله تعالى جعل إسماعيل وذريته عبيداً لأبناء إسحاق!!

وهكذا يحرض البخارى على إرضاء ولى نعمته المتوكل العباسى فى تبرئه القرشيين وتفضيلهم، حتى لو استوجب ذلك تنقيص مقام النبى صلى الله عليه وآله!

و يفضل عيسى على نبينا

رواه البخارى مرة واحدة لأن روايته مسيحية وليست إسرائيلية! قال فى: ٤/٩٤: (قال النبى (ص): كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه بإصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب)!! انتهى.

ومعنى هذا الحديث المزعوم غريب قد يعرفه البخارى والقساوسة، فما معنى أن الشيطان يطعن فى جنب المولود، وهل يتسلط عليه بهذه الطعنة بإصبعه؟ وما معنى أنه أراد أن يطعن فى جنبى عيسى عليه السلام فذهبت طعنة إصبعه فى الحجاب، ولم تصل إلى أحد جنبه؟ وما هو ذلك الحجاب، ولماذا خص الله به عيسى من دون الرسل والبشر، حتى نبينا صلى الله عليه وآله؟!

و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم

قال الله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ). (البقرة: ٢٥٣)

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتكم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين). (آل عمران: ٨١) فقد نصت الآيات الكريمة على تفاضل الرسل عليهم السلام، وأجمع المسلمون على تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله على الجميع، ورواه البخارى كما رأيت.

لكن البخارى نقض ما رواه من تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله من جهة!

ثم خالف القرآن فروى قاعدة تحريم تفضيل الأنبياء عليهم السلام على بعضهم!

ثم نقض هذه القاعدة فروى تفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله كما رأيت!!

قال البخارى: ٤/١٣٢: (عن أبى هريرة قال: بينما يهودى يعرض سلعته، أعطى بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر، والنبي بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال أبا القاسم إن لى ذمّة وعهداً فما بال فلان لطم وجهى؟! فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره، فغضب النبي (ص) حتى رأى فى وجهه! ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلى! ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!). انتهى.

فهذا الحديث المزعوم صريح فى أن النبي صلى الله عليه وآله وقف إلى جانب اليهودى الذى زعم أن الله تعالى اصطفى موسى على البشر، وأنه صلى الله عليه وآله خطأ المسلم الذى زعم أن الله اصطفى النبي صلى الله عليه وآله على البشر!! بل زاد فى آخره النهى عن تفضيله صلى الله عليه وآله على نبي الله يونس! وروى بعده مباشرة: (عن النبي (ص) قال: لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى!).

وكرر حديث النهى عن تفضيل أحد على يونس بصيغ مختلفة فى أكثر من عشرة مواضع فى: ٤/١٢٥ و ١٣٢ بروايتين، و: ٥/١٩٣ و: ٦/٣٠ و: ٨/٢١٣ و: ٥/١٨٥ و: ٦/٣١ وفى الإخيرتين: من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب! والمقصود به أن لا يفضل أحد نبينا صلى الله عليه وآله على يونس بن متى!

أما السبب فهو تعريض القرشيين بنبينا صلى الله عليه وآله وأنه كيونس لم يصبر على قومه بل ذهب مغاضباً منهم، وهاجر إلى المدينة واستعان عليهم بالأنصار!

وإلا فلا معنى لروايته أصلاً، أو روايته فى سياق تفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله!!

الانبياء عند البخارى عصبون كما فى التوراة

روى البخارى أن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الغضب المفرط انتقاماً لأنفسهم! فى حديثين فى نبي قرصته نملة، فغضب وأحرق قرية النمل بالنار، قال فى: ٤/٢٢: (قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه إن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله!!) وكرره فى: ٤/١٠٠!!

قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته

عندما يصل البخارى إلى نبينا صلى الله عليه وآله تنضم قرشياته إلى إسرائيلياته، وتتعاونان فى طعن قريش المبطن فى عصمة نبينا صلى الله عليه وآله وشخصيته!!

تزعم هذه القرشية أن النبي صلى الله عليه وآله من الأساس لم يكن على يقين من بعثته، بل كان فى شك وحيرة! ثم لما أطمأن بنبوته وتأخر عليه الوحي، قرر أن ينتحر!!

وهو ثانياً، غير معصوم حتى فى تبليغ رسالة ربه، فقد غلبه الشيطان فخان الرسالة وغير القرآن واستبدل ذم أصنام قريش اللات والعزى ومناة بمدحها، وسجد لها هو والمشركون، فبعد الأصنام وكفر برب العالمين!

وهو ثالثاً، ليس أفضل من أنبياء بنى إسرائيل، فموسى على عيوبه ومعاصيه أفضل منه، ويونس على تركه لقومه ومغاضبته خير منه، وعيسى خير منه!!

وهو رابعاً، عصبى المزاج سئ الإخلاق مع المسلمين، غير مسدد فى منطقته، ولذا ينطق عن الهوى ويسب ويشتم ويلعن بغير حق، وهو غير مسدد فى عمله فقد يؤذى ويجلد الناس ظلماً وعدواناً!

وهو خامساً، ساذج ضعيف الشخصية والتدبير، يقع فى أخطاء فظيعة، فيصححها له عمر وينزل الوحي موبخاً له مؤيداً لعمر! وهو سادساً، ظلم قريشاً فى بدر وأخذ منهم أسرى بغير حق، وأخذ من الأسرى فدية حتى أطلقهم، فعاقبه الله بهزيمته وكسر رباعيته فى أحد!

وهو سابعاً، غير مسدد فى حكمه وقضائه بين المسلمين، فقد يقضى لشخص بالباطل لأنه حاذق فى كلامه! وهو ثامناً، ينهى عن الأمر ويرتكبه، فقد نهى المسلمين عن التمنى وقول (لو) لكنه تمنى وقالها مرات! وهو تاسعاً، صاحب ذهن عادى، ينسى كثيراً، فقد نسى أنه جُنِبَ لم يغتسل وبدأ فى صلاته! وقد نسى عدد ركعات الصلاة ونقص منها! وقد أخطأ فى قراءة القرآن فى صلاته فصححها له بدوى!

وهو عاشراً، غلب عليه المرض فى آخر حياته فأخذ يهدى وطلب من المسلمين أن يأتوه بدواء وقرطاس ليكتب لهم كتاباً يؤمنهم من الاختلاف والضلال إلى يوم القيامة، فرفض ذلك عمر وقال نبيكم غلب عليه الوجع، وأيده أكثر الحاضرين، ومنعوه من كتابته ذلك العهد!

كما كان يغمى عليه فى مرضه ويفيق، فأحس بأنهم يريدون أن يسقوه دواء إذا أغمى عليه (يَلِدُّوه)، فنهاهم عن ذلك فلم تسمع كلامه عائشة وحفصة كلامه ولدته، فلما أفاق غضب عليهم وأمرهم أن يشربوا من ذلك الدواء كلهم، إلا بنى هاشم! وأخيراً تقول عائشة إنه سُحِرَ ففقد ذاكرته، وبقي لسته أشهر مسحوراً يَحْتَلُّ إليه أنه فعل الشئ وهو لم يفعله، وأنه أتى زوجته ولم يأتها!

روايات البخارى المشينة فى سلوك نبينا

أما إذا وصلَ الحديث إلى سلوك النبى الشخصى صلى الله عليه وآله، فترى فى البخارى الأعاجيب! فهو مفرط فى الجنس، يأتى نساءه التسعة فى ليلة واحدة، ويباشر زوجته وهى حائض، ويتبدل تبديلاً لا يناسب وجيهاً اجتماعياً عادياً، فيبول وهو واقف، ويستقبل ضيوفه وهو مضطجع، ويستمتع الغناء، ويشرب النبيذ!

أما عمر بن الخطاب فكان محافظاً أكثر منه، حيث قال له أحجب نساءك فلم يفعل، فأنزل الله آية الحجاب، وأمره بما أمره به عمر! وتجد فى البخارى أنه صلى الله عليه وآله كان مغرماً بزوجه له اسمها عائشة، يفضلها على كل زوجاته، فكان يستمتع معها الغناء من جارتين تغنيان لهما، ويحملها على كتفه ويضع خده على خدها لتشاهد من شباك الغرفة رقص الأباش، ويأخذها معه فى غزواته، وربما ترك جيشه وسابقها، وقد سبقها مرة وسبقته مرة، فتعادلا!

وقد روت عنه عائشة مئات الأحاديث، فيها قصص حياتهما الشخصية، مما لا يناسب زوجين مسلمين محافظين!! إلى غير ذلك من مطاعن البخارى فى نبينا صلى الله عليه وآله التى لو أفضنا فيها لخرجنا عن قصد هذا الكتاب، فنكتفى بالتعداد، وتفصيل بعضها!

البخارى يفتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا

صدر البخارى صحيحه بحديث بدء الوحي وكرره فى أجزاء كتابه مرات، فروى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وآله لم يبعث نبياً فى جو واضح، ولا رأى جبرئيل بالأفق المبين كما قال تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيَّنَ تَدْهَبُونَ. إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. (التكوير: ١٧-٢٩)

يقول البخارى كلا! فقد كان الأفق غائماً وكانت النبوة مشكوكة! والذي جاء للنبي صلى الله عليه وآله أشبه بكابوس منه بملك، وكان تعامله معه وحشياً! فقد أمره أن يقرأ، ولم يقبل عذره بأنه لا يعرف القراءة، فغطه غطاً عنيماً ثلاث مرات!! أى أمسكه، وخبزه بالأرض، وعجنه!!

والأهم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لم يعرف جبرئيل، ولا فهم كلامه ولا ما يريد منه! وعاد إلى منزله في مكة مرعوباً فشكى إلى زوجته خديجة عليها السلام فطمأنته، لكنها بقيت هي في شك! فأخذت زوجها إلى ورقة بن نوفل، وهو قسيس عجوز من قبيلتها بنى زهرة، وعرضت عليه مشكلة زوجها، فسأله ورقة وأجابه، فطمأنه بأن الذي جاءه هو جبرئيل، وأنه فعلاً قد بعث نبياً!! لكن النبي صلى الله عليه وآله لم يطمئن، خاصة بعد أن انقطع عنه الوحي! فقرر أن يلقي بنفسه من رأس جبل شاهق ويتحدر! وذهب مراراً إلى رؤوس الجبال، لكنه كلما ذهب إلى رأس جبل ليتحدر، كان جبرئيل يأتيه ويمنعه من ذلك!!

قال بخارى في صحيحه: ٨/٦٧: (باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي.. عن عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبي (ص): ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ الثالثة حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك! ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، حتى بلغ ما لم يعلم.

فرجع بها ترجف بواديه حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع! فقال يا خديجة مالي؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي! فقالت له: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: أى ابن عم إسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره النبي (ص) ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك؟ فقال رسول الله: أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي!

وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي (ص) فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كى يتردى من رؤس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك! فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك!!

نعم لقد افتتح البخارى بهذه الخرافة: ١/٢ وكررها في: ٤/١٢٤، و٦/٨٨!!

غرائق قريش و محاولات التغطية على البخارى

الغرائق جمع غرنوق، وهو طائر أبيض من طيور الماء يشبه الكركى، يعلو في طيرانه. وقد شبهت به قريش أصنامها الخاصة بها: اللات والعزى ومناة، ووصفتها بالغرائق العلى، لأن مقامها عند الله بزعمهم مقام عال كطائر الغرنوق! (النهاية: ٣/٣٦٤، والعين: ٤/٤٥٨، ولسان العرب: ١٠/٢٨٧).

قال الرازى في تفسيره: ٢٤/١٢: (والغرائق تصعد في الجو جداً عند الطيران، فإن حجب بعضها عن بعض ضباب أو سحب، أحدثت عن أجنحتها حفيفاً مسموعاً يلزم به بعضها بعضاً، فإذا نامت على جبل فإنها تضع رؤوسها تحت أجنحتها، إلا القائد فإنه ينام مكشوف

الرأس، فيسرع انتباهه وإذا سمع جرساً صاح). انتهى.

وقد كان موقف النبي صلى الله عليه وآله من الأصنام من أول بعثته موقفاً صريحاً حاسماً لا مساومة فيه، رافضاً لها كلها، داعياً إلى عبادة رب العالمين وحده لا شريك له، وكانت سور القرآن تتوالى مهاجمة الأصنام وعبادها، مسفهاً أحلامهم، حتى قال القرشيون: إن محمداً قد سب آلهتنا وسفه أحلامنا!

في ذلك الجو نزلت سورة النجم بعد أكثر من عشرين سورة من القرآن، كلها صريحة في رفض الأصنام، ومنها سورة الكافرون، وقل هو الله أحد! لكن سورة النجم تميزت بأنها ذمّت أصنام قريش الثلاثة بأسمائها، فقال الله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاٰخْرَىٰ. أَلَكُمُ الدَّكْرُ وَلَهُ الْاٰنْثَىٰ. تِلْكَ اِذَا قَسَمْتَ اِذَا قَسَمْتَ ضَيْزَىٰ. اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ مَا اَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوٰى الْاَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدٰى. (١٩-٢٣) فكان ذلك إعلاناً بتسفيه أصنام قريش (اللات والعزى ومناة) وإسقاطها إلى الأبد!

ومن الطبيعي أن يكون تأثير ذلك على قريش كبيراً، وأن يثير كبرياءها وردة فعلها العنيف، وهذا ما حدث بالفعل حتى وصلت إلى قرار قتل النبي صلى الله عليه وآله، فأنجاه الله بالهجرة.

في هذا السياق القطعي من السيرة لا يمكننا أن نفسر قصة الغراني إلا بأنها ردة فعل قريش، وأن أصلها أن أحد المشركين القرشيين أجاب على ذم أصنام قريش في سورة النجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاٰخْرَىٰ، أَلَكُمُ الدَّكْرُ وَلَهُ الْاٰنْثَىٰ، تِلْكَ اِذَا قَسَمْتَ ضَيْزَىٰ، اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ مَا اَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوٰى الْاَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدٰى. فقام بتحريفها إلى مدح للأصنام وقال: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعَلِي، وإن شفاعتهن لترجى! فأعجب ذلك القرشيين وتمنوا لو أن القرآن قال هذا المديح في آلهتهم، بدل ذمها وذمهم!

ومن المؤكد أن قصة الغرانيق وضعها رواة قريش بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يكن لها عين ولا أثر في سيرته صلى الله عليه وآله في مكة، وإلا لرفعها المشركون علماً، وطبل بها اليهود وزمروا!

لكن السؤال ما هو غرض طلقاء قريش من ترويح هذه القصة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ونسبتها إليه مع أن أصنامهم انتهت وهدمت، وتبرؤوا منها ودخلوا في الإسلام تحت السيف ثم رضوا به؟!

الجواب: أن الغرض منها إثبات أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن معصوماً عصمة مطلقه حتى تكون كل تصرفاته وأقواله حجة، بل كان يخطئ حتى في تبليغ الوحي! وبذلك يمكن تبرير مخالفة الخلفاء والسلطة لأوامره صلى الله عليه وآله!

فالمهم عندهم تبرير مخالفة النبي صلى الله عليه وآله وليكن ثمن ذلك قصة الغرانيق التي تزعم أنه صلى الله عليه وآله ارتكب خيانة في نص القرآن والعياذ بالله، وكفر ومدح أصنام قريش لكي ترضى عنه، وسجد لها وسجد معه مشايخ قريش وكل من كان في المسجد، وزاد البخاري أن كل الإنس والجن سجدوا يومها!!

وزادت الرواية المزعومة أن زعماء قريش طاروا فرحاً بخيانة النبي صلى الله عليه وآله في نص القرآن، وطبيعي أن يطير المستشرقون فرحاً بهذه القصة!!

وأخيراً المرتد سلمان رشدي والحكومات الغربية!!

البخارى يروي فرية الغرانيق في ست مواضع

روى البخارى: ٢/٣٢: (عن عبد الله (رض) قال قرأ النبي (ص) النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه، غير شيخ أخذ كفاً من حصي أو تراب ورفع إلى جبهته وقال يكفيني هذا، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً...

وعن عبد الله (رض) أن النبي (ص) قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقى أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصي أو

تراب فرفعه إلى وجهه وقال يكفيني هذا، فلقد رأيت بعد قتل كافراً...

وعن ابن عباس (رض) أن النبي (ص) سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس! ورواه ابن طهمان عن أيوب.
وفى: ٤/٢٣٩: (عن عبد الله (رض) قال: قرأ النبي (ص) النجم فسجد، فما بقي أحد إلا سجد إلا رجل رأيت أخذ كفاً من حصي فرفعه فسجد عليه وقال: هذا يكفيني، فلقد رأيت بعد قتل كافراً بالله). وفى: ٥/٧: بنحوه.

وفى: ٦/٥٢: (قال فسجد رسول الله (ص) وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيت أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيت بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف). انتهى. فهذه ست روايات رواها البخاري على الأقل.

ورواه مسلم بنحوه فى: ٢/٨٨، ورواه فى: ٦/٥٢، وسمى الذى سجد بأنه أمية بن خلف).

وقال الحاكم فى المستدرک: ١/٢٢١: (عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس الحج، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس، إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيت قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً، ولم يخرجاه إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ والنجم، فذكره بنحوه، وليس يعلل أحد الحديثين الأخيرين، فإني لأعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم، غير قيس بن الربيع. والذى يؤدي إليه الاجتهاد صحة الحديثين، والله أعلم).

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخاري ومسلم أن يرويا السجود فى سورة الحج لأنها أصح، ولكنهما تركاها ورويا السجود فى سورة النجم!!

وقال البيهقي فى سننه: ٢/٣١٤: (عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي (ص) سجد فيها يعنى والنجم، وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس. رواه البخاري فى الصحيح عن أبي معمر وغيره عن عبد الوارث.

وصححه فى مجمع الزوائد: ٧/١١٥، قال: (أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ... عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبيرة، أن النبي (ص) كان بمكة، فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى: أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، فجرى على لسانه: تلك الغرائق العلى الشفاعة منهم ترتجى. قال: فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسروا بذلك فاشتد على رسول الله (ص) فأنزل الله تبارك وتعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا- إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسِيخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ. رواه البزار والطبراني... ورجالهما رجال الصحيح، إلا أن الطبراني قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبي (ص) وقد تقدم حديث مرسل فى سورة الحج أطول من هذا، ولكنه ضعيف الإسناد).

ويقصد بالحديث المرسل الحديث الذى يضعفه بآبى لهيعة وقد وثقه عدد من علمائهم، وله شواهد صحيحة تجعله حسناً، وهو فى مجمع الزوائد: ٧/٧٠، وفيه:

(حين أنزل الله السورة التى يذكر فيها والنجم إذا هوى، فقال المشركون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكر به آلهتنا من الشتم والشر. فلما أنزل الله السورة التى يذكر فيها والنجم وقرأ: أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت، فقال: وإني من الغرائق العلى وإن شفاعتهم لترتجى، وذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك، وذلفت بها ألسنتهم واستبشروا بها، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله (ص) آخر السورة التى فيها النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود لسجود رسول الله (ص)، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطان على ألسنة المشركين. وأما المشركون فاطمأنت أنفسهم إلى النبي (ص) وحدثهم الشيطان أن النبي (ص) قد قرأها فى السجدة فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن

مظعون وعبدالله بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله(ص)، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، أقبلوا سراعاً! فكبر ذلك على رسول الله(ص) فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فشكا إليه، فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبريل! وقال: معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك! فلما رأى ذلك رسول الله(ص) شق عليه وقال: أطعتُ الشيطان وتكلمتُ بكلامه وشركتني في أمر الله! فنسخ الله ما يلقي الشيطان وأنزل عليه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ). الحج: ٥٢-٥٣ فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم. فذكر الحديث وقد تقدم في الهجرة إلى الحبشة. رواه الطبراني مرسلًا وفيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة).

وقد أورد السيوطي قصة الغرائق بعده طرق بعضها صحيح في الدر المنثور: ٤/١٩٤ وقال في ص ٣٦٦: (وأخرج البزار، والطبراني، وابن مردويه، والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: إن رسول الله(ص) قرأ: أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر آلهتنا. فجاء جبريل فقال: إقرأ على ما جئتك به، فقرأ: أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فقال: ما أتيتك بهذا! هذا من الشيطان فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى..إلى آخر الآية. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، بسند صحيح عن سعيد بن جبير...!!). انتهى.

بهذا يتبين لك أن حديث الغرائق أو الآيات الشيطانية رواها البخاري ومسلم وغيرهما بأسانيد صحيحة، فكل هؤلاء يتحملون وزرها! ويتبين لك بطلان دعوى من قال إن الواقدي تفرد بها وأن الصحاح لم تروها!! ويتبين لك مصيبة أن بعض الحفاظ يكذبون ليغطوا على البخاري!!

قال ابن كثير في تفسيره: قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرائق وما كان من رجوع كثير من مهاجرة الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسله، ولم أرها من وجه صحيح.

وقال القسطلاني في شرح البخاري: وقد طعن في هذه القصة وسندها غير واحد من الأئمة حتى قال ابن إسحاق وقد سئل عنها: هي من وضع الزنادقة. وقال القاضي عياض: إن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون عن الصحف كل صحيح وسقيم!

ونقل عن أبي بكر بن العربي الإمام المالكي: إن جميع ما ورد في هذه القصة لا أصل له!! (هامش عصمة الأنبياء للرازي ص ٩٤). وذكر عبد الله النعيم في كتابه الإستشراق في السيرة النبوية- نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧، أن المصادر التي روت حديث الغرائق هي: طبقات ابن سعد: ١/٢٠٥، وتاريخ الطبري: ٢/٢٢٦، وتاريخ ابن الأثير: ٢/٧٧، وسيرة ابن سيد الناس: ١/١٥٧. وقال في ص ٩٧: (يعتبر الواقدي أول من روج لهذه الفرية، ثم أخذها عنه ابن سعد والطبري وغيرهم).

ونقل في ص ٩٣ نقد القضاوى عياض في كتابه كيف نتعامل مع السنة النبوية، وجاء فيه: (ومعنى هذا أن تفهم السنة في ضوء القرآن، ولهذا كان حديث الغرائق مردوداً بلا ريب، لأنه منافٍ للقرآن). انتهى.

وقال في ص ٩٨: (ولم يرو ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً. ومهما يكن من أمر فالواقدي هو أصلها. إن ما يدعى للتساؤل هو: كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل؟!). انتهى.

ثم نقل نقد القضاوى عياض في كتابه الشفا لحديث الغرائق سنداً ومنتأاً.

وكلامهم يشبه بعضه في تبرئة البخاري من الغرائق!! ولكن عدداً منهم يعرفون أن البخاري روى فريه الغرائق بأكثر من رواية، وروتها صحاحهم بطرق متعددة، يكثر فيها الإسناد الصحيح!

غاية الأمر أن البخارى ومن شاكلة حذفوا منها إسم الغرائق وأبقوا سجود النبي صلى الله عليه وآله المزعزم بعد مدحه لأصنام قريش وسجود المشركين معه، وقد سموا من زعماء المشركين الذين سجدوا أمية بن خلف، وأبا أحيحة وهو سعيد بن العاص! وهم يعرفون أن سجود المشركين بعد سماع القرآن لم ينقله مصدر على الإطلاق، فى أى قصة على الإطلاق، إلا قصة الغرائق!

لذلك من حقنا أن نشك فى أمانة الناقلين لرواية البخارى والصحاح لها، كالذين تقدم كلامهم، وكالفخر الرازى عندما قال فى تفسيره: ٢٣/٤٩:

(وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبي (ص) قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرائق! وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائق!!)

تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرائق

وقد بحث الفخر الرازى هذه الفرية فى كتابه عصمة الأنبياء عليهم السلام وفى تفسيره: ٢٣/٤٩، فدافع عن النبي صلى الله عليه وآله ونفاها عنه، ودافع عن البخارى وغيره من صحاحهم! ثم عاد فى أواخر تفسيره واتهم بها النبي صلى الله عليه وآله!!

قال فى عصمة الأنبياء عليهم السلام ص ٩٣:

(الشبهة الثانية: تمسكوا بقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. قالوا إن ظاهر الآية يدل على أن الشيطان ملق فى قراءة الأنبياء عليه السلام ما يؤدى إلى الشبهة، فإذا جاوزنا ذلك ارتفع الوثوق!

روى أنه (ص) شق عليه ما رأى من مباحثهم عما جاءهم به، فتمنى فى نفسه أن يأتية من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم، فجلس ذات يوم فى ناد من أنديه قريش كثير أهله، وأحب يومئذ أن لا يأتية شئ من الله فينفروا عنه، وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، فقرأ رسول الله (ص): أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله (ص) فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها، فسجد المسلمون وسجد جميع من فى المسجد من المشركين، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة، وأبو أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعها إلى جبهتهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود!

وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر! فلما أمسى رسول الله (ص) أتاه جبريل عليه السلام وقال: ما ذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم أقل لك؟! فحزن رسول الله (ص) حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كثيراً، فأنزل الله هذه الآية!!

الجواب الذى يدل على أنه عليه السلام ما غير وما بدل وجوه خمسة:

الأول: قوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. الثانى: وَإِذَا تُلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَِيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ. الثالث: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرَى عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ حَلِيلًا. ولولا أن تبنتناك لقد كنت تزكناً إليهم شيئاً قليلاً.

الرابع: كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا. الخامس: قوله: سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى.

وإذا ثبت ما ذكرناه فلنشرع فى الجواب عن الشبهة فنقول:

التمنى، جاء فى اللغة لأمرين: أحدهما تمنى القلب، والثانى التلاوة، قال الله تعالى: وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ، أى إلا قراءة...

إذا عرف ذلك فنقول: من المفسرين من حمل الآية على تمنى القلب، والمعنى أن النبي متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله، ويأتيه بما يرشده إلى ترك الالتفات إلى وسوسته.

وهذا ضعيف، لأنه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر بباله فتنة للكفار، وذلك يبطله قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ.. الآية: فثبت أن المراد بالتمنى القراءة، ثم اختلف الذاهبون إلى هذا التأويل على وجوه....

فإن قلت: لعله قد ذكر ذلك استفهاماً على سبيل الإنكار؟

قلت: هب أنه كذلك لكن قراءته في أثناء قراءة القرآن مع كونه على ذلك الوزن توهم كونه منه، فيعود المحذور المذكور. أما السهو فغير جائر أيضاً، لأنه لو جاز وقوع السهو هاهنا لجاز في غيره وحينئذ ترتفع الثقة بالشرع! ولأن الساهي لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ مطابقة لوزن هذه السورة وطريقتها ومعناها، فإننا نعلم بالضرورة أن واحداً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق فيه بيت شعر في وزنها ومعناها وطريقتها.

الثالث، أن يكون الشيطان أجبر النبي (ص) على التكلم، وهذا أيضاً فاسدٌ لوجوه ثلاثة.....

الخامس، أن المتكلم بذلك بعض الكفرة، فإنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى من قراءة هذه السورة إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عاداته أنه يعيها، فقال بعض من حضر من الكفار: تلك الغرائق العلاء، فاشبهه على القوم، لأنهم كانوا يغطون عند قراءته ويكثر من الكلام طلباً لتغليظه وإخفاء قراءته. وممكن أن يكون أيضاً في الصلاة لأنهم كانوا يقربون منه في حال الصلاة ويسمعون قراءته ويلغون فيها، وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات، فألقى بعض الحاضرين ذلك الكلام في تلك الوقعات فتوهم القوم أنه من قراءته عليه الصلاة والسلام، ثم أضاف الله ذلك إلى الشيطان لأنه بوسوسته حصل، أو لأنه جعل ذلك المتكلم شيطاناً.....

ولقائل أن يقول: إذا جوزتم أن يتكلم الشيطان في أثناء كلام الرسول عليه الصلاة والسلام بما يشبهه على كل السامعين حتى يظنوه كلاماً لرسول الله (ص) بقى هذا الاحتمال في كل ما يتكلم به الرسول (ص) فتفضى إلى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع! الجواب: أن ذلك الاحتمال قائم، ولكنه لو وقع لوجب في حكمه الله تعالى أن يشرح الحال فيه كما في هذه الواقعة إزالةً للتلبس..... السادس، أن المراد بالغرائق الملائكة، وقد كان ذلك قرآناً منزلاً في وصف الملائكة، فلما توهم المشركون أنه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته!! انتهى.

والتهافت في دفاع الرازي واضح، فقد نفى أولاً أن يكون النبي صلى الله عليه وآله غير أو بدل في قراءته فقال: (الجواب الذي يدل على أنه عليه السلام ما غير وما بدل...)، لكنه عاد وفسر آية: أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّتَيْهِ، بذلك! وضعف الاحتمالات التي تنزه النبي صلى الله عليه وآله أو سكت عنها، كالوجه الخامس الذي استفاده من الشريف المرتضى!

أما في تفسيره الكبير، فقد بدأ قوياً في استدلاله، لكنه ضعف في ختام كلامه، وعاد إلى تبني اتهام قومه القرشيين للنبي صلى الله عليه وآله، وينبغي أن تعرف أن الفخر الرازي قرشي تيمى، من عشيرة أبي بكر وقيل من ذريته!

قال في الجزء ٢٣/٤٩: (المسألة الثانية: ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن الرسول (ص) لما رأى إعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به تمنى... إلى آخر ما ذكره في كتاب العصمة، ثم قال:

هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعه واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول. أما القرآن فوجوه... وأورد الآيات المتقدمة وغيرها، ثم قال:

وأما السنة فهي ما روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة، وصنف فيه كتاباً.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم.

وأيضاً فقد روى البخارى في صحيحه أن النبي (ص) قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرائق. وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائق. وأما المعقول فمن وجوه:

أحدها: أن من جوز على الرسول (ص) تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفى الأوثان. وثانيها: أنه عليه السلام ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم وثالثها: أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعها: قوله: **فَيَسِّخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**، وذلك لأن إحكام الآيات بإزالته ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقى الشبهة معها، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً، أولى.

وخامسها: وهو أقوى الوجوه أننا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**، فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه. فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. أكثر ما في الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها، لكنهم ما بلغوا حد التواتر، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة... انتهى.

أقول: إلى هنا يبدو الرازي منسجماً، فقد وافق محمد بن إسحاق صاحب السيرة على أن القصة فريئة من وضع الزنادقة القرشيين على النبي صلى الله عليه وآله بأنه مدح أصنامهم وسجد لها، وسجد معه القرشيون، وكل من في المسجد! لكن الرازي دخل مدخلاً صعباً في الدفاع عن البخارى وبقية مصادرهم التي روتها بطرق متعددة وصحتها! وادعى أن البخارى لم يرو حديث الغرائق، مع أنه رواه وحذف منها إسم الغرائق، كما رأيت!

ثم دخل الرازي مدخلاً أصعب في تفسير قوله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**، لأنه اقتفى أثر مفسرى السلطة القرشية وحبس نفسه بتفسير أُمْنِيَّتِهِ بذهن النبي صلى الله عليه وآله وقراءته للقرآن!

بينما التمنى أمر ذهني، لكن الأُمْنِيَّةُ قد تكون ذهنية، وقد تكون خارجية، وهي في الآية خارجية، وإلقاء الشيطان إنما هو في الأُمْنِيَّةِ الخارجية، وليس في ذهن النبي صلى الله عليه وآله:

ونلاحظ أن كلام الرازي الطويل بلا طائل، فقد قال:

(ولنشرع الآن في التفصيل فنقول التمنى جاء في اللغة لأمرين: أحدهما: تمنى القلب والثاني: القراءة)...

ثم أخذ في تعداد الاحتمالات على تفسير الأُمْنِيَّةِ بالقراءة، وردّها جميعاً فقال: (فهذه الوجوه المذكورة في قوله تلك الغرائق العلا قد ظهر على القطع كذبها، فهذا كله إذا فسرنا التمنى بالتلاوة. وأما إذا فسرناها بالخاطر وتمنى القلب فالمعنى أن النبي (ص) تمنى بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته، ثم اختلفوا في كيفية تلك الوسوسة على وجوه.... واختار منها الرابع، وختم بقوله:

(ورابعها: معنى الآية إذا تمنى إذا أراد فعلاً مقرباً إلى الله تعالى ألقى الشيطان في فكره ما يخالفه فيرجع إلى الله تعالى في ذلك وهو كقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**. وكقوله: **وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ**

بِاللَّهِ.

ومن الناس من قال لا يجوز حمل الأمانة على تمنى القلب لأنه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر ببال رسول الله (ص) فتنه للكفار وذلك يبطله قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبَهُمْ. والجواب: لا يبعد أنه إذا قوى التمنى اشتغل خاطر به فحصل السهو في الأفعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنه للكفار. فهذا آخر القول في هذه المسألة). انتهى.

وبذلك ختم الرازي بتبني الفرية على النبي صلى الله عليه وآله بأنه يتمنى فيلقى الشيطان في ذهنه فيشتغل به خاطره، فيحصل له السهو في أفعاله، فيكون ذلك فتنه!!

فأين صار استنكاره لفرية الغرائق، وأنها من وضع الزندقه؟!

بل صرح في تفسيره: ٣٢/١٤١، بنسبة الكفر إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يعدد الفوائد لكلمة "قل" في (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) قال: (الحادي والثلاثون: كأنه تعالى يقول: يا محمد ألسنت أنت الذي قلت: من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يوقفن مواقف التهم، وحتى أن بعض المشايخ قال لمريده الذي يريد أن يفارقه: لا تخاف السلطان قال: ولم؟ قال: لأنه يوقع الناس في أحد الخطأين، وأما أن يعتقدوا أن السلطان متدين، لأنه يخالطه العالم الزاهد، أو يعتقدوا أنك فاسق مثله، وكلاهما خطأ، فإذا ثبت أنه يجب البراءة عن موقف التهم فسكوتك يا محمد عن هذا الكلام يجر إليك تهمة الرضا بذلك، لاسيما وقد سبق أن الشيطان ألقى فيما بين قراءتك: تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى، فأزل عن نفسك هذه التهمة و: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ! انتهى.

فأين حملة الفخر الرازي على الزنادقة واضعي فرية الغرائق، ونصه على أن النبي صلى الله عليه وآله لم يغير في سورة النجم ولم يبدل!!؟

نعوذ بالله من هذه الفرية على سيد الموحدين صلى الله عليه وآله، التي بلغ من تأكيد مصادرهم عليها أنها أوقعت الفخر الرازي وهو العالم المتبحر والفيلسوف المتضلع في هذا التهافت المشين، فنقض ما كتبه يمينه في الجزء الثالث والعشرين، وعمى عن أن سورة الكافرون نزلت بالإتفاق قبل سورة النجم!

قال الزركشي في البرهان: ١/١٩٣: (أول ما نزل من القرآن بمكة إقرأ باسم ربك، ثم والقلم، ثم يأيتها المزملة، ثم المدثر، ثم تبت يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك الكوثر، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيت الذي، ثم قل يأيتها الكافرون، ثم سورة الفيل، ثم الفلق، ثم الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم إذا هوى، ثم عبس وتولى...). انتهى. (راجع فهرست ابن النديم/ ٢٨، وتفسير الميزان للطباطبائي: ١٣/٢٣٣)

هذا، وسوف نلقى مزيداً من الضوء على تفسير آية: أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّتِيهِ، في فصل العصمة في القرآن، إن شاء الله تعالى.

القاضي عياض أكثر علماء السنة اعتدالا في عصمة نبينا

قال في الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/١٢٣:

(فصل: وأما أقواله (ص) فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيها من الأخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به. لا قصداً ولا عمداً، ولا سهواً ولا غلطاً.

أما تعمد الخلف في ذلك فمتنف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال، اتفاقاً، وبإتفاق أهل الملة إجماعاً.

وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك، فهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني ومن قال بقوله.

ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه، لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة، لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب.

فلنعمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول بإبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه، لا على وجه العمد ولا على غير عمد، ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض، وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت: يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: في الرضى والغضب؟ قال: نعم فإنى لا أقول في ذلك كله إلا حقاً.

ولتزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بياناً: فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقاً ولا يبلغ عن الله إلا صدقاً وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عنى، وهو يقول إنى رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم، وأبين لكم ما نزل عليكم: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا - وَحْيٌ يُوحَىٰ. وَقَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ. وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أى وجه كان، فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل!

فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص، فتبرئه النبي (ص) عن ذلك كله واجب، برهاناً وإجماعاً، كما قاله أبو اسحاق.

فصل: وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات:

منها ما روى من أن النبي (ص) لما قرأ سورة والنجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّامِتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، قال: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتها لترتجى. ويروى ترتضى، وفي رواية إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرائق العلى. وفي أخرى والغرائق العلى تلك الشفاعة ترتجى، فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم!

وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي (ص) كان يتمنى أن لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه. وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه، وذكر هذه القصة، وأن جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له: ماجئتك بهاتين! فحزن لذلك النبي (ص) فأنزل الله تعالى تسلياً له: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ.. الآية وقوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ.. الآية.

فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما في توهين أصله، والثاني على تسليمه. أما المأخذ الأول، فيكفيك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل! وإنما أوقع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلففون من الصحف كل صحيح وسقيم، وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته، فقائل يقول إنه في الصلاة، وآخر يقول قالها في نادى قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول بل حدث نفسه فيها، وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي (ص) لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتكم، وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي (ص) قرأها، فلما بلغ النبي (ص) ذلك قال: والله ما هكذا نزلت.. إلى غير ذلك من اختلاف الرواة.

ومن حُكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب! وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث شعبة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي (ص) كان بمكة وذكر القصة.

قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لانعلمه يروى عن النبي (ص) باسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي، عن أبى صالح، عن ابن عباس. فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه، مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه، الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه.

وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله.

والذى منه فى الصحيح أن النبى (ص) قرأ والنجم وهو بمكة، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس). انتهى.

وينبغى أن نحسن الظن بالقاضى عياض بأنه لم يطلع على الطرق والأسانيد الكثيرة لحديث الغرائيق، لكن العجب أنه أورد ما رواه البخارى فى الصحيح، وهرب منه ولم يعلق عليه بشئ! فهل غاب عليه أن ما رواه البخارى هو حديث الغرائيق بعينه وذاته، وأنه لم يُرَوَّ سجود المشركين مع المسلمين فى غيره أبداً؟!

ثم تابع القاضى عياض توهين حديث الغرائيق من جهة دلالة فقال:

(هذا توهينه من طريق النقل، فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته (ص) ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آله غير الله، وهو كفر! أو أن يتصور عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبى (ص) أن من القرآن ما ليس منه حتى ينهبه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع فى حقه (ص)! أو يقول ذلك النبى (ص) من قبل نفسه عمداً وذلك كفر! أو سهواً وهو معصوم من هذا كله! وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته (ص) من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لاعمداً ولا- سهواً، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لاعمداً ولاسهواً ما لم ينزل عليه، وقد قال الله تعالى: **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، الْآيَةُ.** وقال تعالى: **إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ. الْآيَةُ.**

ووجه ثان، وهو استحالة هذه القصة نظراً و عرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الإلتهام متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالضم، متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبى (ص) ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك! وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجع حلمه، واتسع فى باب البيان فصيح الكلام علمه.

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين وضعة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبى (ص) لأقل فتنة، وتعيرهم المسلمين والشماتة بهم الفتية بعد الفينة، وارتداد من فى قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة، ولم يحك أحد فى هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لو جدت قريش بها على المسلمين الصولة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة فى قصة الإسراء، حتى كانت فى ذلك لبعض الضعفاء ردة، وكذلك ما روى فى قصة القضية (صلح الحديبية)، ولافتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت، ولا تشغيب للمعادى حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت.

فما روى عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفه، فدل على بطلها واجتثاث أصلها، ولا شك فى إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين!

ووجه رابع، ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت: **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ..** الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذى رووه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا- أن ثبته لكاد يركن إليهم، فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً، فكيف كثيراً! وهم يروون فى أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والإفتراء بمدح آلهتهم وأنه قال (ص): (افتريت على الله وقلت ما لم يقل) وهذا ضد مفهوم الآية، وهى تضعف الحديث لو صح، فكيف ولا صحة له؟! انتهى.

ثم ذكر عياض الوجوه التى ذكرها علماءهم لتوجيه حديث الغرائيق، وضعف أكثرها، وبذلك تنزل وفتح الباب لاحتمال صحته، وهو أضعف الإيمان!

غرائيق قريش يتصيدا بروكلمان و مونتغمري

انتقد الباحث السودانى عبد الله النعيم فى كتابه: الإستشراق فى السيرة النبوية- (نشر المعهد العالمى للفكر الإسلامى ١٤١٧) استغلال المستشرقين لرواية الغرائيق، ونقل فى ص ٥١ افتراء المستشرق بروكلمان وقوله عن النبى صلى الله عليه وآله: (ولكنه على ما يظهر

اعترف في السنوات الأولى من بعثته بألهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله، وقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى... ثم ما لبث أن أنكر ذلك وتبرأ منه في اليوم التالي!! ونقل في ص ٩٦ عن المستشرق مونتغمري وات قوله: (تلا محمد الآيات الشيطانية باعتبارها جزءاً من القرآن، إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين، وإن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزءاً من القرآن، يدل على أنه تلاها، وأن عبادة محمد بمكة لا تختلف عن عبادة العرب في نخلة والطائف (محلثان لأصنام قريش) ولقد كان توحيد محمد غامضاً، ولاشك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله). انتهى.

ومع أن المستشرقين لا يحتاجون إلى الروايات الموضوعية ليمسكوا بها، فهم يكذبون على نبينا صلى الله عليه وآله وعلى مصادرنا جهاراً نهاراً، لكن المؤسف أن تحفل مصادر السنين وفي طليعتها البخارى بالإفراءات على النبي صلى الله عليه وآله كقصة الغرائق، وقصة ورقة بن نوفل، وغيرهما من القرشيات المخالفة للعقل، فتقدم للمستشرقين مادةً ومستمسكاً للطعن في النبي صلى الله عليه وآله والقرآن والإسلام!

ملاحظات على قصة الغرائق

١- لعل فريه الغرائق أعظم فريه تضمنتها مصادر الحديث السنية على رسول الله صلى الله عليه وآله من بين أكثر من ثلاثين فريه عليه بأنه شك في نبوته، وأنه خالف أوامر ربه، وتحيز لأقربائه، وأنه كان يهتم بالأغنياء ويعبس في وجه الفقراء، أو اتهمته بسلوك مشين! وقد تعرضنا لأكثرها في المجلد الرابع من كتاب الانتصار.

٢- من المفارقات الواضحة في رواياتهم أن سورة النجم التي اتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه تعمد في قراءتها الكفر ومدح الأصنام وسجد لها، أو أن الشيطان قالها على لسانه، أو أنه نسي وأثر عليه الشيطان ففعل ذلك! هي السورة التي نص الله تعالى في مطلعها على عصمه نبيه صلى الله عليه وآله وعصمه مطلقه بمستوى لم يبلغه نبي ولا رسول آخر عليهم السلام! قال تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ.

فكأنهم تعمدوا وضع فريه الغرائق في سورة نصت على العصمة الشاملة للنبي صلى الله عليه وآله تكديماً صريحاً للقرآن ليقولوا: بل نطق عن الهوى وكفر، وسجد للأصنام تقرباً لقريش! فوبخه الله وتسامح معه وتاب عليه!!

٣- لا بد على زعمهم أن يكون جبرئيل قد تأخر في توبيخ النبي صلى الله عليه وآله أياماً عديدة حتى انتشر خبر كفر النبي صلى الله عليه وآله وسجوده للأصنام في مكة، ووصل الخبر إلى الحبشة ففرح المسلمون المهاجرون بالحل السلمي مع قريش! وعاد قسم منهم إلى مكة، فوجدوا نبيهم صلى الله عليه وآله عاد إلى التوحيد وكفر بالأصنام بعد أن وبخه جبرئيل عليه السلام، وأن قريشاً عادت إلى عدائها له، فرجعوا أدراجهم إلى الحبشة!

وقد تندر الأخ الباحث السيد جعفر مرتضى على ذلك فقال في الصحيح من السيرة: ٣/١٤٦: (وقولهم إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجرة إلى الحبشة نقول فيه: إنهم يقولون إن عودة مهاجري الحبشة قد كانت بعد شهرين أيضاً، فهل وصل إليهم الخبر بالتلكس، أو بالتلفون، وهل جاؤوا بالطائرة، أم بالصواريخ؟! إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكة بعد شهرين من هجرتهم، وإن كان هذا بعيداً عن ظاهر اللفظ.

وكذا قولهم إنه لما عرض صلى الله عليه وآله السورة على جبرئيل وقرأ الفقرتين أنكرهما جبرئيل فقال صلى الله عليه وآله: قلت على الله ما لم يقل! فأنزل الله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ، نقول فيه إن الخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وآله أن الناس كادوا يفتنونه مع أن الرواية تنص على أن الشيطان هو الذي كاد أن يفتنه.. إلى غير ذلك من موارد الضعف والوهن والتناقض التي يمكن تلمسها في هذا المجال). انتهى.

صبر حتى أكمل السورة فسجد لله تعالى وحده، أو لله وللأصنام معاً!!

٦- بناءً على قصتهم المزعومة، لا بد أن يكون النبي صلى الله عليه وآله ترك آيات ذم اللات والعزى ومناة في سورة النجم ولم يقرأها يومئذ، وهي قبل آيات الغرائق المزعومة وبعدها، فكانت جريمته حذف آيات كثيرة واستبدالها بآيات الغرائق الشيطانية! فلا يعقل أن يكون زعماء قريش فرحوا وسجدوا عند مدح أصنامهم، ثم سمعوه يقرأ بقية السورة، وكلها هجوم كاسح عليهم؟!!

٧- ينبغى الإلفات هنا إلى أن اللات والعزى ومناة أسماء مؤنثة، زعمت قريش أنها ملائكة وأن الملائكة إناث! وقد ردهم الله تعالى في نفس الآيات:

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاٰخَرَىٰ. اَلَكُمُ الدَّكْرُ وَلَهُ الْاٰنثَىٰ. تِلْكَ اِذَا قَسِمَةُ ضَرِي. اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ مِمَّا اَنْزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا- الظَّنَّ وَمَا تَهْوٰى الْاَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدٰى. اَمْ لِلْاِنْسَانِ مِآ تَمَنٰى. فَلِلّٰهِ الْاٰخِرَةُ وَالْاُولٰى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوٰتِ لَا تُعْنٰى سَمَاعَتُهُمْ شَيْئًا اِلَّا مِنْ بَعْدِ اَنْ يٰذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَرِضٰى. اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ لَيَسِيْمُونَ الْمَلٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةً الْاٰنثَىٰ. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَاِنَّ الظَّنَّ لَآيَعْنٰى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. فَاَعْرَضْ عَمَّنْ تَوَلٰى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ اِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا. ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدٰى) (النجم: ١٩-٢٩)

أما مكان هذه الأصنام الثلاثة، فقد جاء في لسان العرب: ٢/١١٢: (تقول العرب: اللات والعزى وأشباهاها من الآلهة المؤنثة)، وفي: ٥/٣٧٨: (اللات صنم كان لثقيف، والعزى صنم كان لقريش وبنى كنانة).

وفي مجمع البحرين: ٤/١٥١: (اللات والعزى ومناة، إسم أصنام من حجاره، كانت في جوف الكعبة يعبدونها، فاللات لثقيف وقيل لقريش، والعزى لغطفان ومناة لهذيل وخزاعة).

وفي التبيان: ٩/٤٢٧: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاٰخَرَىٰ، أسماء أصنام كانت العرب تعبدها، والعزى كانت تعبدها غطفان، وهي شجرة سمره عظيمه، واللات صنم كانت ثقيف تعبدها، ومناة كانت صخرة عظيمه لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها). انتهى.

ويظهر أن هذه الثلاثة كانت مفضلة عند قريش ومعها غيرها من قبائل العرب، وأن بعض هذه الأصنام كان خارج مكة، لكن لها ثلاثة تماثيل عند الكعبة أو داخلها، وروى أن الأصنام حول الكعبة وعلى سطحها كانت أكثر من ثلاث مئة، وكانت قريش أكثر تمسكاً بالعزى من بينها! ففي أمالي الطوسي: ١/٣١٦، عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شراً! لقد كذبتموني صادقاً، وخونتموني أميناً. ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَحَدَّ اللهُ، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى!! (ومثله في مجمع الزوائد: ٦/٩١).

وفي مجمع الزوائد: ٦/٢١: (وعن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: يا أيها الناس قولوا لا- إله إلا- الله تفلحوا، قال وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: لا- يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله! قلت: إنعت لنا رسول الله (ص)، قال: بين بردين أحمرين، مربوع، كثير اللحم، حسن الوجه شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح). انتهى.

٨- نزلت سورة الإسراء في مكة، ودلت على أن النبي صلى الله عليه وآله كان يتعرض لضغط المشركين، وأن الله تعالى ثبته وعصمه من الوقوع تحت تأثيرهم، ولم تشر إلى أنه كان يتعرض لضغط الشيطان وتأثيره، قال تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلاً. وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً. إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيٰةِ وَضِعْفَ الْمَمٰتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيْرًا). (الإسراء: ٧٣-٧٥)

كما أنها تضمنت تهديداً للنبي صلى الله عليه وآله إن هو غيّر في القرآن وتقول على ربه.

وفي المقابل، تقول قصة الغرائق إن الله لم يثبت نبيه صلى الله عليه وآله وإنه خضع لضغوط قريش ولتأثير الشيطان، فكفر بعد إيمانه، ومدح الأصنام، وافترى على ربه! فالسؤال: لماذا لم يعاقبه ربه، ولا أذاقه ضعف الحياة وضعف الممات؟! وهل هذا إلا نقض لمصادقية

القرآن واتهام الله تعالى بأنه تراجع عن تهديده؟!

٩- نزلت سورة الحاقه في المدينة المنورة، وفيها قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ. وَلَا يَقُولُ كَآهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ). (الحاقه: ٤٠-٤٧)

فمن حق المسلم في المدينة أن يسأل أين مصداقيه هذا الكلام وقد كفر النبي صلى الله عليه وآله وتقول على ربه وافترى عليه أعظم فريه، وغير في القرآن ومدح الأصنام، فلم يأخذ منه باليمين ولا قطع منه الوتين، بل اكتفى بتوبيخه وسامحه وتاب عليه! بل أعطاه الأجر العظيم الذي يستحقه الأنبياء عليهم السلام لتوبتهم من كفرهم ومعاصيهم كما يزعم ابن تيمية!! وهكذا تستوجب قصة الغرائق مضافاً إلى طعنها بالنبي صلى الله عليه وآله الطعن بالله تعالى وتكذيب العديد من الآيات، وليس ما ذكرناه إلا نموذجين منها.

١٠- في السيرة والتاريخ عدة مفردات حول اللات والعزى تضى لنا خلفيه الفريه القرشيه على النبي صلى الله عليه وآله، وتكشف أن قبائل قريش تبنت عباده اللات والعزى في مقابل خط الأحناف من بنى إسماعيل، وحتى في مقابل الكعبه! وأن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله كان متشدداً في رفض أصنامهم والتمسك بحنيفيه إبراهيم عليه السلام. ففي معجم البلدان: ٣/٢٢٦: (وقال أبو المنذر: وكانت قريش قد حمت للعزى شعباً من وادي حراض يقال له سُقام يضاھون به حرم الكعبه)!! وفي: ٤/١٨٥: (وقيل: العُعبب: هو الموضع الذي كان يُنحر فيه للات والعزى بالطائف، وخزانة ما يهدى إليهما بها.... قال أبو المنذر: وكان للعزى منحرون فيه هداياهم، يقال له العُعبب).

وفي تاريخ دمشق: ١٦/٢٣٢: من حديث خالد بن سعيد بن العاص، عن أبيه الذي هو من كبار زعماء قريش، قالت رواية الغرائق إنه أخذ كفاً من حصي وسجد عليه، قال خالد للنبي صلى الله عليه وآله: (أى رسول الله، الحمد لله الذي أكرمنا بك وأنقذنا من الهلكه، ولقد كنت أرى أبى يأتي إلى العزى بحتره مائه من الإبل والغنم فيذبحها للعزى، ويقيم عندها ثلاثاً ثم ينصرف إلينا مسروراً! فنظرت إلى ما مات عليه أبى، وذلك الرأى الذي كان يعاش في فضله كيف خدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع! فقال رسول الله (ص): إن هذا الأمر إلى الله، فمن يسره للهدى تيسر، ومن يسره للضلاله كان فيها).

وذكر الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربى ص ٤١ (دارالمعارف المصريه) أن المنذر بن ماء السماء ملك المناذره المعاصر لعبد المطلب، وهو أعظم ملك وثنى في العرب، أسير ابن الحارث بن شمر ملك الغساسنه النصراني في حرب ضروس بين المناذره والغساسنه، فذبحه قرباناً للعزى!!

وهو يعطينا ضوءاً على نذر عبد المطلب (رض) إن رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً للكعبه، أى لرب الكعبه عز وجل، تعزيراً لدين جده إبراهيم صلى الله عليه وآله، ورداً على قريش وعلى عمل المنذر في تعزيرهم مكانه صنم العزى!

ومما يدل على مكانه اللات والعزى عند القرشيين غير بنى هاشم، أن شعارهم في الحرب، وتعاقدهم، وقسمهم الرسمي، كان باسمها: ففي طبقات ابن سعد: ٢/٤٢: (ونادى المشركون بشعارهم يا للعزى يا لهبل! وأوجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً، وولى من ولى منهم يومئذ وثبت رسول الله (ص) ما يزول، يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا). انتهى.

كما تعاقدت قريش على قتل النبي صلى الله عليه وآله باسم اللات والعزى، ففي مستدرک الحاكم: ١: ١٦٣، وصححه: (عن ابن عباس قال دخلت فاطمه على رسول الله صلى الله عليه وآله وهى تبكى فقال: يا بنينه ما يبكيك قالت: يا أبت مالي لا أبكى وهؤلاء الملاء من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناه الثالثه الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك... الخ). (ورواه أحمد وصححه الهيثمى في الزوائد: ٨/ ٢٢٨)

وقد بقيت عادة القسم باللات والعزى على ألسنة القرشيين حتى بعد إسلامهم! فقد روى ابن ماجه: ١/٦٧٨، أن سعد بن أبى وقاص قال

للنبي صلى الله عليه وآله: حلفت باللائت والعزى فقال رسول الله (ص) قل: لا-إله إلا-الله وحده لا شريك له، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً، وتعوذ ولا تعيد). انتهى. (ورواه أبو داود في: ٢/٩٠، والترمذى: ٣/٤٦ وص ٥١، والنسائي: ٧/٧، وأحمد: ١/١٨٣ و ١٨٦ و ٢/٣٠٩، والبيهقي: ١/١٤٩ و ١٠/٣٠، ومالك في الدونه: ٢/١٠٨ ونحوه البخارى: ٦/٥١ و ٧/٩٧ وص ١٤٤ وص ٢٢٢ و ٢٢٣ ومسلم: ٥/٨١ وص ٨٢). وبهذا نفهم كُزّة النبي صلى الله عليه وآله للائت والعزى بأنه مضافاً إلى كونه عصمة إلهية، فهو موروث من أسرته الحنيفية، وقد انفردت مصادرنا برواية بغض النبي صلى الله عليه وآله لأصنام قريش، دون مصادرهم! ففي كمال الدين وتمام النعمة: ١/١٨٤، في خبر بحيرى الراهب: (قال بحيرى: يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنيها. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذكر اللات والعزى وقال: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارة لقومي! فقال بحيرى: هذه واحدة، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتني، فقال: سل عما بدا لك فإنك قد سألتني بإلهي وإلهك الذي ليس كمثلته شيء، فقال: أسألك عن نومك ويقظتك، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التي عنده، فانكب عليه بحيرى فقبل رجله وقال: يا بنى ما أطيبك وأطيب ريحك، يا أكثر النبيين أتباعاً...). انتهى.

عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء

النبي معصوم نظرياً، و أبوبكر و عمر معصومان عملياً

يقول أتباع المذاهب السنية إن النبي صلى الله عليه وآله معصوم في تبليغ الرسالة فقط، دون بقية سلوكه العام، وسلوكه الشخصي! لكن هذا الكلام نظري فقط! لأن مصادرهم الصحيحة تزعم أن النبي صلى الله عليه وآله ارتكب أخطاء عديدة في سلوكه الشخصي والعام، وحتى في تبليغ الرسالة! وأن بعض أخطائه كان يصححها له جبرئيل عليه السلام، وبعضها كان يصححها له عمر بن الخطاب فيؤيده الوحي!

أما أهل بيت النبي وعترته صلى الله عليه وآله، عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهم لا يروون عصمتهم، ويقولون إن لهم فضائل كما لهم أخطاء، ولا يعترفون بأنهم معيّنون من الله تعالى أوصياء للنبي صلى الله عليه وآله وأئمة للأمة، بل يؤولون الآيات والأحاديث التي تدل على عصمتهم وإمامتهم عليهم السلام، ويجعلون درجة على عليه السلام رابع الصحابة، لأنه كان الخليفة الرابع! وأكثرهم يفضل عليه أبا بكر وعمر وعثمان، وقد يفضلون عائشة على فاطمة الزهراء عليها السلام... الخ.

فالصحابة عندهم هم الأصل بعد النبي صلى الله عليه وآله والأفضل من جميع أجيال الأمة، وعنهم يتلقون دينهم، ولا يهتمون بالرأى المخالف لهم، بل يعتبرونه خطأً أو انحرافاً عن الإسلام، حتى لو كان صادراً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله! وقد وصل بهم الأمر إلى أنهم يقرون الصحابة بالنبي في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، وقد يحذفون منها الصلاة على آل النبي صلى الله عليه وآله، مع أنهم رووا في أصح صحاحهم أن النبي صلى الله عليه وآله علمهم الصلاة عليه، وأمرهم أن يقروا به آله عليهم السلام فقط!

مقولة عدالة الصحابة سياج لعصمة أبي بكر وعمر

وعندما تراهم أو تسمعهم يقولون (الصحابة)، فلا تتصور أنهم يقصدون المئة ألف شخص وأكثر، الذين رأوا النبي صلى الله عليه وآله وأطلقوا عليهم إسم (الصحابة)!

بل عليك أن تعرف باطن كلامهم وأنهم لا يقصدون إلا أربعة رجال منهم فقط: أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومن وافقهم، ومعهم امرأتان: عائشة وحفصة، ومن وافقهما! ولا يدخلون معهم حتى أهل بيت النبوة علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، مع أنهم

أهل بيت وصحابة!

فباقي الصحابة إنما يقبلونهم بشرط أن يوافقوا هؤلاء الستة، ولا- عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا الستة، بل لا عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا عمر وحده!

ولا يقول السنيون نظرياً بعصمة هؤلاء الصحابة الستة. لكن ما قيمة الكلام النظري وهم عملياً يقولون بعصمتهم كمجموع، بل بعصمة عمر وأبي بكر خاصة، والدليل البسيط على ذلك أنهم لا يقبلون أن يوجه اليهما أي نقداً! ويصححون أفعالهما وأقوالهما بكل وسيلة حتى في مقابل النبي صلى الله عليه وآله!

بل يغالون فيحكمون بضلال من ينتقدهما، أو بكفره!

يشعر أتباع الخلافة القرشية بأنهم مجبورون على القول بعصمة الشيخين! لأن عدالة الصحابة لا تكفيهم لإثبات قداستهما، لأنها سيف ذو حدين!

كما أن حديث (أصحابي كالنجوم) الذي يحتج به علماءهم في علومهم المختلفة، رغم تضعيفهم له، سيف ذو حدين! إذ يكفي بموجه أن يقتدى المسلم بأبي صحابي ويأخذ منه دينه وخطه السياسي، لأنه نجم رباني جعله الله دليلاً لعباده! فيحق للمسلم أن يرفض خلافة قريش وخلفائها، ويقتدى بالذين رفضوا سقيفتها واتهموا أبا بكر وعمر بالخيانة، ولم يبايعوهما إلا مجبرين، كسعد بن عباد، فهو صحابي وزعيم أنصار الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فهم صحابة وعتره! لكن هذا نقض لغرضهم في تربية الناس على تقديس الشيخين أبي بكر وعمر!

إنهم لا يريدون عدالة الصحابة من أجل ذاتها، ولا من أجل الصحابة، بل من أجل عصمة أبي بكر وعمر بالخصوص، ولا كرامة لمن خالفهما!

فكل ما تراه من تأكيدهم على عدالة الصحابة، إنما هو تمهيد وسياج لعقيدة عصمة عمر وأبي بكر ليس إلا!

اضطراهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر وبيعة الرضوان

بعد أن أعطوا كل الصحابة صفة العدالة، وهم أكثر من مئة ألف، وهو أمر غير معقول، قاموا بخطوة في تحديد السياج الذي أرادوه لأبي بكر وعمر، فضيقوا الدائرة وقالوا إن مقصودنا بالصحابة العدول المشهود لهم بالجنة، وهم أهل بدر وأهل بيعة الشجرة، وعددهم ألف وأربع مئة كما في البخاري!

قال البخاري في: ٥/٦٢: (عن البراء.... كنا مع النبي (ص) أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي (ص) فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا). انتهى.

وروى في: ٥/٦٣، عن ابن أبي أوفى أنهم ألف وثلاث مئة. وروى في: ٤/١٩، أن النبي صلى الله عليه وآله قال في قصة حاطب بن بلتعنة، الذي خان المسلمين وكتب إلى المشركين بأنهم ينون غزو مكة: (إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)! وكرره في: ٤/٣٨، و٣٩، وفي: ٥/٨٩، وفي: ٦/٦٠، و٧/١٣٤، و٨/٥٥.

وروى في: ٥/١٠: (فقال أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم)، ونحوه في: ٧/٩٧.

وصحوا حديث مسلم: ٧/١٦٩، في قصة حاطب أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها). وروى مسلم أن حفصة اعترضت فنهرا النبي صلى الله عليه وآله، و(أن عبداً لحاطب جاء رسول الله (ص) يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار! فقال رسول الله (ص): كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية). انتهى.

وبهذا ضيقوا دائرة الصحابة إلى نحو ألف وخمس مئة، لأن أهل بدر ضمن أهل الحديبية، ورفعوا علماً لذلك آية: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: ١٨) وجعلوها شعاراً ودثاراً في الدفاع عنهم، لكنه دفاع بالمحال، لأن هذه الآية كغيرها من الآيات متحفظة جداً، ولا إطلاق فيها، لا في الأشخاص، ولا في الزمان! فلو كان مقصوده عز وجل الإطلاق لما قيدها بقيدتين فاستعمل كلمة (المؤمنين) وكلمة (إذ) ولقال: لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة!

فلما لم يقل ذلك وقال: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ.. فمعناه وجود غير مؤمنين فيهم، وأن رضاه عن المؤمنين منهم محدود بظرف (إذ) وهو زمن البيعة!

لكنهم اتخذوا قراراً بالدفاع عن هذا السياج، لأن النيل من أهل بدر والحديبية يعنى انهيار آخر خطوط الدفاع عن أبى بكر وعمر وعثمان!

كما تراهم عندما يحتاج الأمر يوسعون السياج، كما فعلوا في مواجهة حملة المسلمين على يزيد بن معاوية: قال التفتازانى فى شرح المقاصد: ٥/٣١٠:

(فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى فى أدعيتهم، ويجرى فى أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية، طريفاً إلى الإقتصاد فى الاعتقاد). انتهى.

فهذا التوسيع قانون من السلطة وعلمائها له قوة الدين! (فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية)!

عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء

قال البخارى فى صحيحه: ٤/٩٦: (استأذن عمر على رسول الله (ص) وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يتدردن الحجاب، فأذن له رسول الله (ص) ورسول الله يضحك، فقال عمر: أضحكك الله سنك يا رسول الله؟ قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب! قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن، ثم قال: أى عدوات أنفسهن، أتهبنى ولا تهبن رسول الله؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله (ص)! قال رسول الله (ص): والذي نفسى بيده ما ليك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك). (وكرره البخارى فى: ٧/٩٣ و١٩٩).

وما دام النبى صلى الله عليه وآله أخبر عن ربه بفرار الشيطان من عمر وعدم تأثيره عليه، فهو معصومٌ من كل أنواع الذنوب! بل هو أفضل من النبى صلى الله عليه وآله! لأنهم رووا أن شيطان النبى صلى الله عليه وآله معه لا يهرب منه، وأنه خاض معه صراعاً فأعانه الله عليه!!

قال النووى فى شرح مسلم: ١٥/١٦٥: (الفتح الطريق الواسع، ويطلق أيضاً على المكان المنخرق بين الجبلين. وهذا الحديث محمولٌ على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمر سالكاً فجاً هرب هيبه من عمر، وفارق ذلك الفج وذهب فى فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئاً! قال القاضى: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعث الشيطان وإغوائه منه، وأن عمر فى جميع أموره سالك طريق السداد، خلاف ما يأمر به الشيطان. والصحيح الأول). (والديباج: ٥/٣٨٠).

وقال ابن حجر فى فتح البارى: ٧/٣٨: (قوله: إلا سلك فجاً غير فجك. فيه فضيلة عظيمة لعمر، تقتضى أن الشيطان لا سبيل له عليه، لا أن ذلك يقتضى وجود العصمة، إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه فى طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته.

فإن قيل: عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة، لأنه إذا منع من السلوك فى طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن

من وسوسته له، فيمكن أن يكون حَفِظَ من الشيطان، ولا- يلزم من ذلك ثبوت العصمة له، لأنها في حق النبي واجبة، وفي حق غيره ممكنة.

ووقع في حديث حفصة عند الطبراني في الأوسط بلفظ أن الشيطان لا يلقي عمر منذ أسلم إلا خَرَّ لوجهه، وهذا دل على صلابته في الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض). ثم نقل كلام النووي، وفي آخره: (والأول أولى، بدل: والصحيح الأول)! انتهى. وهو تحريف من أجل التخفيف!

لقد رأى ابن حجر أن حديث البخاري يجعل عمر معصوماً بدرجة فوق درجة عصمة النبي صلى الله عليه وآله! فأراد أن يخفف من وقعه فزعم أن ذلك لا يستلزم العصمة، وأن فرار الشيطان منه لا يمنع أنه يحاول الوسوسة له من بعيد بعيد وهو هارب منه! ثم اعترف بأن فراره منه ينفي إمكانية وسوسته أصلاً، وقد روى هو وقبله أن الشيطان يخَرُّ لوجهه إذا لقي عمر! ومع ذلك تحايل في التأويل وقال هي عصمة جائزة وعصمة النبي صلى الله عليه وآله واجبة!

وليس ذلك إلا- تلاعباً بالألفاظ من أجل عمر، فالعصمة الجائزة أو المستحبة التي اخترعها عصمة أكمل وأفضل من عصمة النبي صلى الله عليه وآله لأن الشيطان يفر من صاحبها ويخر لوجهه من رؤيته، بينما لا يفر من النبي صلى الله عليه وآله ولا يخر على وجهه!! فهل رأيت كيف عَصِرَ علماء الخلافة القرشية أدمغتهم من أجل عمر، فجعلوا النبوة قسمين: نبوة واجبة على الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله، ونبوة ممكنة قررها الله تعالى لعمر فوصل اليه مضمونها، وكادت تصل رسمياً: (لو كان بعدى نبي لكان عمر)!

وجعلوا العصمة قسمين: عصمة واجبة على الله للنبي صلى الله عليه وآله، وعصمة ممكنة أو مستحبة لله لعمر، وقالوا إن الله تعالى أتقن عمله المستحب أكثر من عمله الواجب فتدخل لمصلحة عمر وخصه بأن الشيطان يهرب منه ويخرُّ لوجهه إذا لقيه، ولم يتدخل لمصلحة خاتم انبيائه وسيد رسله صلى الله عليه وآله بل تركه يغالب شيطان وسلطه عليه حتى في صلاته!

قال ابن القيم في زاد المعاد: ١/٢٤٨: (والصحيح عن النبي (ص) أنه كان يشير في صلاته، رواه أنس وجابر وغيرهما. وكان (ص) يصلي وعائشه معترضة بينه وبين القبلة فإذا سجد غمزها بيده فقبضت رجلها وإذا قام بسطتهما. وكان (ص) يصلي فجاءه الشيطان ليقطع عليه صلاته، فأخذه فخنقه حتى سال لعابه على يده). انتهى.

وأفتى به سيد سابق في فقه السنة وهو كتاب موجه لأهل المذاهب الأربعة: ١/٢٤٥: وصححه محمد ناصر الألباني في تمام المئة ص ٣٠٤، فقال: (وقد صح أن الشيطان أراد أن يفسد على النبي (ص) صلاته، فمكته الله منه وخنقه، حتى وجد برد لعابه بين إصبعيه، وقال: والله لولا دعوة أختنا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به أهل المدينة. والقصة في مسلم: ٢/٧٣، وعبد الرزاق: ٢/٢٣٨، وأحمد: ١/٤١٣ و ٣/٨٢ و ٥/١٠٤ و ١٠٥، والطبراني في الكبير: ٢/٢٢٤ و ٢٢٧ و ٢٥١، عن غير واحد من الصحابة بألفاظ متقاربة. أنظر صفة الصلاة (٧٤). انتهى.

وفي هذه الأحاديث المزعومة فضيلة لسليمان عليه السلام وأن الله تعالى جعل الشيطان طليقاً بدعوته، فمنع نبيه صلى الله عليه وآله من القبض عليه وتحويله إلى لعبة لصبيان المدينة! ولعل هذه الكرامة لسليمان عليه السلام لأنه نبي اليهود!

ومن محاولاتهم في تهدئة خواطر المسلمين لتفضيل عمر على النبي صلى الله عليه وآله، ما نقله الصالحى وارتضاه، قال في سبل الهدى: ١١/٢٧٥: (قال الكرمانى: إن قلت: يلزم أن يكون أفضل من أيوب ونحوه، إذ قال: مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَيْذَابٍ؟ قلت: لا، إذ التركيب لا يدل إلا على الزمن الماضى، وذلك أيضاً مخصوص بحال الإسلام فليس على ظاهره، وأيضاً هو مقيد بحال سلوك الطريق، فجاز أن يلقاه على غير تلك الحالة. وقال القاضى عياض: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعده الشيطان وأعوانه من عمر، وأنه لا سبيل له عليه، أى إنك إذا سلكت فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر تنفذ فيه ولا- تتركه، فليس للشيطان أن يوسوس فيه فيتركه، ويسلك غيره، وليس المراد بالطريق على الحقيقة، لأنه تعالى قال: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ فلا- يخافه إذا لقيه فى فج، لأنه لا يراه). انتهى.

يقصد الكرمانى وعياض أن حديث فرار الشيطان من عمر لا- يجعله أفضل من نبي الله أيوب عليه السلام الذى مسه الشيطان! لأن

الحديث لا يشمل مرحلة عبادة عمر للأصنام وهي أكثر من أربعين سنة! ولا يشمل عمر إذا لم يسلك طريقاً، ففرار الشيطان منه محدود في الزمان وفي الحالة! ففيه فتحة لأن يكون أيوب أفضل منه! وهو جواب هزيل كما ترى، لأن عصمة عمر قبل الإسلام ليست محل بحث، وحديثهم المدعى ليس فيه حيز فرار الشيطان منه في حالة سلوكه فجاً، بل فيه إطلاق لكل حالات عمر، بل هو يختر على وجهه بزعمهم بمجرد رؤيته!

وهذا كله لعب بالألفاظ، فلو قلنا لمن يريد حصر فرار الشيطان منهم بسلوك عمر فجاً: هل تقبل بأن الشيطان يمس عمر إذا لم يسلك فجاً؟ لقامت قيامته!

من ناحية أخرى فإن عياضاً أو غيره عندما يقولون إن فرار الشيطان من عمر محصور بما إذا سلك فجاً بأمر بمعروف أو نهى عن منكر، فماذا يقولون من سلوكه لم تشمله العصمة؟! بل ماذا يقولون للأنبياء عليهم السلام من سلوكك يتميزون به على عمر، وجل سلوكهم أو كل عبارة عن أمر بمعروف ونهى عن منكر، وفي كله لا يهرب منهم الشيطان كما يهرب من عمر!

إنها محاولات تهدئة وتغطية، عن عمد، وأحياناً عن سذاجة وبلاهة، حتى لا يصرخ المسلم: ماذا فعلتم بهذا الحديث؟! لقد طعتم في أنبياء الله جميعاً عليهم السلام وصادرتهم نبوتهم، ورفعتهم درجة عمر فوق درجاتهم عليهم السلام!!

المشكلة أنهم اخترعوا حديثاً يفضل عمر على نبينا صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء عليهم السلام ورأوا أنهم تورطوا فيه! فأخذوا يتكلمون لغرض تحديده وتقليصه بقدر يريدونه باللعب بالألفاظ، ليجعلوا عمر بعد الأنبياء عليهم السلام مباشرة!

وكيف يمكنهم ذلك وقد فسروا قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ). (الحج: ٥٢) فسروه بالأمنية في القلب لا في تحققها في الخارج كما نفسره نحن؟! قالوا إن الشيطان يمس جميع الأنبياء عليهم السلام ويتسلط عليهم جزئياً حتى في تبليغهم لرسالة ربهم! ولا شك أن الذي يهرب منه الشيطان ويختر على وجهه إذا شاهده، أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام الذين يمسهم ويلقى في قلوبهم الكفر والمعصية!

أما نحن فنقول حاشا لله أن يسلم الشيطان على قلوب أنبيائه وأذهانهم عليهم السلام، وليس معنى (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) أنه يلقي في قلب النبي وتفكيره، بل يلقي في أذهان الناس في الأمر الذي تتحقق به أمانة النبي عليه السلام! فالأمنية هنا بمعناها الخارجي العملي وليس الذهني!

النبي عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه

روى القرشيون عن النبي المصطفى المظلوم صلى الله عليه وآله أن شيطانه قوي لا يهرب منه إذا رآه، بل يرافقه دائماً ولا يخاف منه، بل يأتيه بصورة جبرئيل ويؤثر عليه!

وقد رأيت اختراعهم فريه الغرائيق عليه صلى الله عليه وآله وأن الشيطان تسلط عليه حتى كفر معاذ الله، وغير نص القرآن المنزل عليه، ومدح أصنام قريش بأنها الغرائيق العلى أي الطيور المحلقة في السماء، وسجد لها!

قال العلامة مرتضى في الصحيح من السيرة: ٢/٣٠٥: (ومن الطعن في النبوة أيضاً.... قولهم: إنه قد كان للنبي (ص) عدو من شياطين الجن يسمى الأبيض، كان يأتيه في صورة جبرئيل، ولعله هو الشيطان الذي أعانه الله عليه فأسلم كما يقولون. (السيرة الحلبية: ١/٢٥٣، راجع: إحياء علوم الدين: ٣/١٧١ وفي هامشه عن مسلم، والغدير: ١١/٩١ عنه، والمواهب اللدنية: ١/٢٠٢، ومشكل الآثار: ١/٣٠، وحياء الصحابة: ٢/٧١٢ عن مسلم وعن المشكاة ص ٢٨٠ والمحجة البيضاء: ٥/٣٠٣/٣٠٢).

وشيطانه هذا الذي أسلم، كان يجري منه مجرى الدم. (مشكل الآثار: ١/٣٠).

وكان يدعو الله بأن يُخسئ شيطانه، فلما أسلم ذلك الشيطان ترك ذلك!

وروا أنه عرض للنبي صلى الله عليه وآله في صلاته قال: فأخذت بحلقه فخنقته، فإني لأجد بزد لسانه على ظهر كفي! (مسند أبي

يعلى: ١/٥٠٦ و ٣٦٠ ومسند أبي عوانة: ٢/١٤٣ والسنن الكبرى: ٢/٢٦٤ ومسند أحمد: ٢/٢٩٨ وأخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه، وثمّة مصادر كثيرة أخرى وراجع الغدير: (٨/٩٥).

ويروون أيضاً أنه صلى الله عليه وآله قد صلى بهم الفجر فجعل يهوى بيديه قدامه، وهو فى الصلاة، وذلك لأن الشيطان كان يلقي عليه النار ليفتنه عن الصلاة! (المصنف: ٢/٢٤، وراجع: البخارى ط. سنة ١٣٧٠: ١/١٣٧، و: ٢/١٤٣).

ونقول: ونحن لانشك فى أن هذا كله من وضع أعداء الدين، بهدف فسح المجال أمام التشكيك فى النبوة وفى الدين الحق.... وقد أخذ به بعض المسلمين لربما بسلامته نية وحسن طويته، وبلا تدبير أو تأمل، سامحهم الله وعفا عنهم. والغريب فى الأمر أننا نجدهم فى مقابل ذلك يروون عنه صلى الله عليه وآله قوله لعمر: والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجعك!...). انتهى. وقد تقدم تصحيح ابن القيم والألبانى لذلك!

ومن تخبط علمائهم فى ترقيع تفضيلهم عمر على النبى صلى الله عليه وآله! ما قاله الصالحى فى سبل الهدى والرشاد: ١/٥٠٧: (المحفوظ: إسم مفعول من الحفظ، وسمى به لأنه محفوظ من الشيطان. روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى صلاة فقال: إن الشيطان عرض لى فشد على ليقطع الصلاة على فأمكننى الله منه. وفيه دليل على حفظه منه.

فإن قيل: لم سُلِّطَ عليه الشيطان أولاً، وهلاً كان إذا سلك طريقاً هرب الشيطان منه كما وقع لعمر بن الخطاب، فقد روى الشيخان عن سعد بن أبى وقاص أن النبى قال لعمر: مالقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غيره.

الجواب: أنه لما كان رسول الله (ص) معصوماً من الشيطان ومكره، ومحفوظاً من كيد و غدره، آمناً من وسواسه وشربه، كان اجتماعه به وهربه منه سيان فى حقه (ص). ولما لم يبلغ عمر هذه الرتبة العلية والمنزلة السنية، كان هرب الشيطان منه أولى فى حقه، وأيقن لزيادة حفظه، وأمكن لدفع شره!

على أنه يجوز أن يحمل الشيطان الذى كان يهرب من عمر غير قرينه، أما قرينه فكان لا يهرب منه، بل لا يفارقه لأنه وكل به). انتهى. وقد وصفناه بالتخبط، لأن النبى صلى الله عليه وآله عندهم غير محفوظ من الشيطان، ويكفى أن تقرأ تفسيرهم لقوله تعالى: (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمَّمَّتَيْهِ) وإصرارهم على أن الأمانة هى قلب النبى صلى الله عليه وآله، وليست ما تحقق فى الخارج كما نفسرها نحن! ثانياً، إنهم بهذا اللعب بالألفاظ لم يفعلوا شيئاً، فما داموا يقبلون أن الشيطان يهرب من عمر دون النبى صلى الله عليه وآله فلن يستطيعوا أن يرتقوا ما فتقوه! بل هم بذلك ينفون الحكمة والعصمة عن الله تعالى، حيث عصم عمر التابع، بأفضل وأقوى مما عصم به النبى المتبوع صلى الله عليه وآله!

ثالثاً، لعل الصالحى رأى أنه لا يستطيع أن يجعل مقام النبى صلى الله عليه وآله أعلى قليلاً من مقام عمر أو مساوياً له، فطرح احتمال أن يكون الشيطان الذى يهرب من عمر غير الشيطان العام الذى هو القرين! وهو احتمال هوائى كثيراً ما يلجأ اليه علماء الحكومة القرشية فى وراتهم، فإن لفظ الشيطان المستعمل فى حديثهم المزعوم، والذى يهرب من عمر، هو نفس لفظه المستعمل فى أنه تسلط على النبى صلى الله عليه وآله، فالمتبادر منهما واحد! ولا قرينه ولا دليل على أن الشيطان الذى يهرب منه شيطان فرعى! وأن الأصل لا يهرب منه بل يمسه!

والنتيجة: أنه لا- طريق لهم إلا- أن يعترفوا بكذب (حديثهم) المزعوم ويفروا ويفروا منه كفرار الشيطان المزعوم من عمر! ولكنهم لا يفعلون لأنه منقبة لعمر، رواها الشيخان، ومن أوجب الواجبات على الأمة أن تعتقد بمناقب عمر العظيمة حتى لو كانت تفضله على أنبياء الله تعالى جميعاً عليهم السلام!

ولك الله يارسول الله! فقد بخلوا عليك حتى بأن يساووك بعمر!

و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر

ولم يكتفوا بمقوله إن الشيطان يهرب من عمر ويخر لوجهه خوفاً منه!

بل وضعوا حديث إن (الحق) ينطق على لسان عمر، أى إن الله تعالى ينطق على لسانه! وذلك فى مقابل قوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ!

(قال فى فتح البارى: ٩/٣٩٧: ولقد كان الحق ينطق على لسان عمر)!

ولما رأو ذلك غلواً واضحاً خففوه فقالوا: إن الله جعل الحق على لسانه! ولكنه بنفس المعنى، لأن قصدهم منه ومن الذى قبله: الإستمرار والشمول!

ومن سوء توفيقهم أنهم عندما يتحدثون عن النبى صلى الله عليه وآله يميّعون الآية الصريحة فى عصمته صلى الله عليه وآله وهى قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) فيكافرون أمام صراحتها فى عصمته منطقته الشاملة، واستلزامها عصمة فعله الشاملة صلى الله عليه وآله، ويردونها بادعاء عشرات الأخطاء للنبى صلى الله عليه وآله فى سلوكه الشخصى العام، وحتى فى التبليغ! فإذا وصل الحديث إلى عمر وضعوا له مقابل آية عصمة النبى صلى الله عليه وآله حديثاً فزعموا أن الحق ينطق على لسانه! وتفاخروا به ولم يثبتوا له أخطاء ومعاصى، بل تراهم يهاجمون من يذكر له أخطاء ومعاصى، وقد يكفرونه!

واعجب إن شئت من حجّتهم فى ذلك بأن عمر والصحابه أئمة النبى صلى الله عليه وآله على تبليغ الدين للأجيال، فالتعن فيهم طعن فى الدين! فيجعلون حصانة الوكيل أعظم من حصانة الأصيل صلى الله عليه وآله؟ هذا لو صحت وكالة الصحابة التى زعموها! ويجعلون القول بخطأ المبلغ الوكيل حراماً وطعناً فى الدين، بينما القول بخطأ الأصيل صلى الله عليه وآله حلالاً وليس طعناً فى الدين!؟

و زعموا أن الملائكة تحدث عمر

كما وضعوا فى مقابل تحديث الملائكة للنبى وآله صلى الله عليه وآله الأظهار، أن الملائكة تحدث عمر! وقد تقدم ذلك فى كلام الغزالي، ورواه البخارى وغيره!

قال السيوطى فى الخصائص: ٢/٢١٩: (باب إخباره بأن عمر من المحدثين. أخرج الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله: كان فى الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فعمر. وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله: إنه لم يبعث الله نبياً إلا كان فى أمة محدثون، وإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر قالوا: يا رسول الله كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه). وقال ابن حجر فى شرحه للبخارى: ٧/٤٠: (قوله: محدثون، بفتح الدال جمع محدث، واختلف فى تأويله فقيل: ملهم، قاله الأكثر، قالوا: المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقى فى روعه شئ من قبل الملائكة الأعلى، فىكون كالذى حدثه غيره به، وبهذا جزم أبو أحمد العسكرى).

وقيل: من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد. وقيل مكلم أى تكلمه الملائكة بغير نبوة. وهذا ورد من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً ولفظه: قيل يا رسول الله وكيف يحدث قال تتكلم الملائكة على لسانه. رويناه فى فوائد الجوهري، وحكاة القابسى وآخرون. ويؤيده ما ثبت فى الرواية المعلقة ويحتمل رده إلى المعنى الأول أى تكلمه فى نفسه وإن لم ير مكلماً فى الحقيقة فيرجع إلى الإلهام). وقال ابن تيمية فى الرد على المنطقيين ص ٥١٣: (فأما درجة السابقين الأولين كأبى بكر وعمر فتلك لا يبلغها أحد! وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى (ص) أنه قال: قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى فعمر، وفى حديث آخر: إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه. وقال عليّ: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر. وفى الترمذى وغيره: لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر، ولو كان بعدى نبى ينتظر لكان عمر).

وقال فى منهاجه: ٦/٧٥ (وكلام عمر رضى الله عنه من أجمع الكلام وأكمله، فإنه ملهم محدث! كل كلمة من كلامه تجمع علماً كثيراً!) انتهى.

فقد وصلوا في كلام عمر إلى درجة كلام النبي صلى الله عليه وآله، وصار عمر لا ينطق عن الهوى إن هو إلا حديث الملائكة! والفرق بينهما أن النبي صلى الله عليه وآله مع ذلك قد يخطئ فيصح له عمر، أما عمر فلا يخطئ!

و الفوا مؤلفات في الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية

افتروا على النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يخطئ وكان عمر يصحح له أخطائه ويسدده وأنه كان يختلف مع النبي صلى الله عليه وآله في الأمر فيوافقه الله تعالى وينزل الوحي طبق رأى عمر! وسموا ذلك موافقات عمر، وقد بحثناها في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال: ٢/مسألة ١٤٤)، وقلنا هناك ما مضمونه: إن الوضع الطبيعي للعلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وعمر أن تكون علاقة مسلم تابع بنبي متبوع مطاع، لكن الثابت أن عمر كان كثير الإعتراض على النبي صلى الله عليه وآله! والتفسير الصحيح لذلك أنه خطأ من عمر، وأن الإعتراض على رسول الله صلى الله عليه وآله معصية أو رد عليه وكلاهما أمر كبير لأنه صلى الله عليه وآله كما قال الله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

لكن عمر ومجبيه خرجوا عن المألوف، وفسروا اعتراضات عمر بأنه كان دائماً مصيباً، بينما كان النبي صلى الله عليه وآله يقع في الخطأ! وأن الوحي كان ينزل مؤيداً لرأى عمر منتقداً لرأى النبي صلى الله عليه وآله، بل كان أحياناً يوبخ النبي صلى الله عليه وآله، معاذ الله!! فكأن النبي صلى الله عليه وآله عندهم رجلٌ ساذج، يقع في أخطاء فيصححها له عمر! وكأن المطلوب أن يثبتوا لعمر فضائل، ولو بالطعن في شخصية النبي صلى الله عليه وآله! وقد ألقوا في هذا الطعن المغطى به صلى الله عليه وآله كتباً ونظموا أراجيز وسموه (موافقات عمر) ومعناها: موافقات الله تعالى لرأى عمر، ولو بتخطئه رأى النبي صلى الله عليه وآله!!

ففي الأعلام: ٢/٤٣: (أبو بكر بن زيد بن أبي بكر الحسنى الجراعى الدمشقى... (٨٢٥-٨٨٣) له.... نفائس الدرر فى موافقات عمر).

وفى: ٣/٣٠١: (الجلال السيوطى (٨٤٩-٩١١)، وعدّ من مؤلفاته: قطف الثمر فى موافقات عمر). وكذا فى كشف الظنون: ٢/١٣٥٣.

وفى: ٥/٣٠٢: (٩٣٧هـ) محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل البليسى... صنف: شرح نظم الدرر فى موافقات عمر للبدر الغزى).

وفى: ٧/٤٤: (محمد بن جمال الدين عبد الله بن أبى حفص سراج الدين عمر، من علماء حلب، ولى قضاءها مرات، واستقضى بدمشق والقاهرة. له كتب منها... الموافقات العمرية للقرآن الشريف).

وفى معجم المؤلفين: ٢/٢٢: (أحمد بن النقيب (٧٧١-٨١٦هـ) أحمد بن على بن محمد المقدسى... له الموافقات التى وقعت فى القرآن لعمر بن الخطاب).

وفى إيضاح المكنون: ١/٤٤٧: (الدر المستطاب، لحامد بن على بن إبراهيم بن عبد الرحيم العمادى، المفتى الدمشقى الحنفى المتوفى سنة (١١٧١).

وفى: ٢/٤٥٨: (نظم الدرر فى موافقات عمر، أعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبدر الدين محمد بن محمد الغزى).

وفى هدية العارفين: ١/٤٩٧: (ابن البدر الخطيب عبد الباقي بن عبدا لباقي بن عبدا القادر بن عبدا لباقي بن إبراهيم بن عمر البعلبى الدمشقى.... ولد سنة ١٠٠٥ وتوفى فى ذى الحجة من سنة ١٠٧١. من تصانيفه شرح الجامع الصحيح للبخارى لم يكمل. اقتطاف الثمر فى موافقات عمر).

وفى: ٢/٢٣٣: (محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان الغزى... توفى سنة ٩٣٥.... من تصانيفه... شرح نظم الدرر فى موافقات عمر... نظم الدرر فى موافقات عمر). انتهى.

قال ابن حجر فى فتح البارى: ١/٢٠٠: (وروى البزار باسناد حسن، من حديث أبى سعيد الخدرى فى هذه القصة أن النبي (ص) أذن

لمعاذ في التبشير، فلقبه عمر فقال: لاتعجل، ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأياً، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها! قال: فَرْدَةٌ! وهذا معدودٌ من موافقات عمر، وفيه جواز الإجتهد بحضرته (ص)!!

وقال في فتح الباري: ٧/٤٢: (عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ، ولا محدث. والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي (ص) من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها)!!

وفي تحفة الأحوذى: ١٠/١٢٥: (فإن يك في أمتي أحد) أي من المحدثين (فعمر بن الخطاب) وفي بعض النسخ: يكون عمر بن الخطاب، والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي (ص) من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبي (ص) عدة إصابات). انتهى.

وقال الصالحى فى سبل الهدى والرشاد: ٣/١٩٧: (عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله (ص) ببيعة النساء وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب، على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى بهتان نفترية من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف...)

وقوله: على بيعة النساء، يعنى على وفق ما نزلت عليه ببيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة، وليس هذا بعجيب، فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب). انتهى.

وفى تاريخ المدينة لابن شبة: ٣/٨٥٩: (موافقاته رضى الله عنه... قال ابن عمر: ما أنزل الله أمراً قط فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر!) (ورواه أحمد: ٢/٩٥، والترمذى: ٥/٢٨٠، وروى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)!

ثم ذكر ابن شبة عدداً من موافقات الله تعالى لعمر، بعضها واضح الكذب، وبعضها محرّف، وفى بعضها تخطئه صريحه للنبي صلى الله عليه وآله!

الى آخر إفراطهم وغلوهم فى عمر، الذى هو طعن فى النبي صلى الله عليه وآله لامحالة! فى مأساة حقيقية للإسلام، صنعتها قريش من أجل عمر، وربت عليها الأجيال!

و اخترع الذهبى قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبى بكر

شمس الدين الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسى) من كبار أئمتهم، معروف بكثرة مؤلفاته، وبتشدده فى النقد الرجالى والحديثى، لكنه لم يملك نفسه فى حب عمر وأبى بكر، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق، لأنه حاكم عادل!

شمس الدين الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسى) من كبار أئمتهم، معروف بكثرة مؤلفاته، وبتشدده فى النقد الرجالى والحديثى، لكنه لم يملك نفسه فى حب عمر وأبى بكر، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق، لأنه حاكم عادل!

قال فى كتابه (الموقظة فى علم مصطلح الحديث) ص ٨٤، بعد أن قسم طبقات أئمة الجرح والتعديل إلى: الحاد، والمعتدل، والمتساهل، قال ما نصه: (والعصمة للأنبياء عليهم السلام، والصديقين، وحكام القسط)!! انتهى.

وبذلك أضاف الذهبى من جيبه إلى الأنبياء عليهم السلام نوعين: الأول، الصديقين ليثبت العصمة لأبى بكر. والثانى، حكام القسط ليثبتها لعمر لأنه حاكم عادل!

وإنما قلنا إنه وضع القاعدة من أجلهما خاصة، لأنهم لا يقولون بعصمة كل صديق، ولا كل حاكم عادل، وإلا لزم أن يقولوا بعصمة كسرى الذى رووا أن النبي صلى الله عليه وآله قال فيه (ولدت فى زمن الملك العادل)! والذهبى نفسه أعطى وصف الملك العادل

لمجموعة سلاطين تراكمه وشراكسه مع أنه لا يثبت لهم العصمة، وفيهم رافضى قوى الرفض على حد قوله، هو رزيك بن طلائع بن رزيك سلطان مصر! قال فى أعلام النبلاء: ١٥/٢٠٨: (وولى مكانه (طلائع) ولده الملك العادل رزيك وكان مليح النظم، قوى الرفض، جواداً شجاعاً، يناظر على الإمامة والقدر)!

كما وصف: تُقاق بن سلجوق التركمانى بأنه الملك العادل (أعلام النبلاء: ١٨/٢٤٣) وكذلك وصف ألب أرسلان (١٨/٤١٤)، ونور الدين حاكم الموصل (٢٠/١٩٠)، وعلى بن السلار الكردى (٢٠/٢٨١)، وأبا بكر بن أيوب الأيوبى (٢٣/١٨٤)، وطومباى الأول (تذكرة الحفاظ ص ٧)، وغيرهم ممن لا يراهم معصومين! فهو إذن يقصد بحكام القسط والعدل عمر وحده!

و غيروا اسم العصمة لإثباتها لعمر و أبى بكر

اخترعوا للعصمة اسم (الحفظ من الذنوب) ليخففوا على المسلمين تنقيصهم لمقام نبيهم صلى الله عليه وآله ويستعملوها لأبى بكر وعمر، كما رأيت أنهم اخترعوا تقسيمها إلى عصمة واجبة للأنبياء عليهم السلام وجائزة مستحبة لأبى بكر وعمر! قال ابن نجيم المصرى فى البحر الرائق: ١/٨٠: (ثبت عن رسول الله (ص) مرسلًا ومسنداً: بينما رسول الله (ص) يصلى بالناس إذ دخل رجل فتردى فى حفرة وكان فى بصره ضرر، فضحك كثير من القوم وهو فى الصلاة، فأمر رسول الله (ص) من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة. وتماهه فى فتح القدير. وما قيل بأنه لا يظن الضحك بالصحابة خلفه قهقهة، أوجب عنه بأنه كان يصلى خلفه الصحابيون والمنافقون والأعراب الجهال، فالضحك لعله كان بعض الأحداث أو المنافقين، أو بعض الأعراب لغبلة الجهل عليهم، كما بال أعرابى فى مسجد النبى (ص). وهو نظير قوله تعالى: (وتركوك قائماً) فإنه لم يتركه كبار الصحابة باللهو. قال فى العناية: وهذا من باب حسن الظن بهم رضى الله عنهم، وإلا فليس الضحك كبيرة، وهم ليسوا من الصغائر بمعصومين ولا عن الكبائر، على تقدير كونه كبيرة. اهـ والمنقول فى الأصول أن الصحابة عدول فهم محفوظون من المعاصى)!! انتهى.

وقال ابن حجر فى فتح البارى: ١/٢٤٤: (قال ابن بن المنذر... وتمسكوا بحديث لا يصح، وحاشا أصحاب رسول الله (ص) الذين هم خير القرون أن يضحكوا بين يدي الله تعالى خلف رسول الله (ص)). انتهى.

فاعجب لهم كيف تجاهلوا قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، وتجاهلوا الأحاديث المستفيضة التى تقول إن الصحابة قطعوا صلاتهم وتركوا الصلاة وأبا الصلاة، ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وآله فى المسجد إلا بضع عشرة، أو بضعه نفر!

ومع ذلك تراهم يقولون: حاشا أصحاب رسول الله (ص) خير القرون أن يضحكوا بين يدي الله تعالى، فهم محفوظون من المعاصى!!

و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبى

قولهم فى تحفة الأحوذى فى شرح الترمذى: ٢/٤٨١، فى شرح دعاء النبى صلى الله عليه وآله بالسلامة من كل إثم: (قال العراقى: فيه جواز سؤال العصمة من كل الذنوب، وقد أنكر بعضهم جواز ذلك، إذ العصمة إنما هى للأنبياء والملائكة عليهم السلام. قال والجواب: أنها فى حق الأنبياء والملائكة واجبة، وفى حق غيرهم جائزة، وسؤال الجائر جائز، إلا أن الأدب سؤال الحفظ فى حقنا لا العصمة، وقد يكون هذا هو المراد هنا). انتهى.

يقصد بذلك أنه ينبغى للمسلم لزوم الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ مقام العصمة الخاص به صلى الله عليه وآله، فلا يدعو لنفسه بالعصمة من الذنوب بل بالحفظ منها.

وظاهره حسن أدب مع النبى صلى الله عليه وآله، لكنهم يتنازلون عنه إذا جاء الحديث عن عمر ويطلقون لهواهم العنان فى عصمته فيجعلونه معصوماً بدرجة أعلى من عصمة النبى صلى الله عليه وآله! فإذا ناقشتهم قالوا لا بأس بذلك فنحن نراعى الأدب مع النبى

صلى الله عليه وآله ونحفظ حرمة ومقامه، ونقول إن عمر محفوظ من الذنوب والمعاصي، وإن الشيطان كلما رآه صرخ وهرب!!

و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء

قال الشعراني في العهود المحمدية ص ٨: (ولذلك لم يقع الإحتلام إلا من المريدين والعوام دون الأكابر! فإن الأكابر إما معصومون كالأنبياء، أو محفوظون كأولياء! ثم إن وقع أن أحداً من أكابر الأولياء احتلام، فإنما يكون ذلك في حليلته من زوجة أو جارية لا فيما لا يحل له، وسببه غفلته عن تدبير جسده، لما هو عليه من الإشتغال بالله عز وجل، أو أمر المسلمين، كما بلغنا أن عمر بن الخطاب (رض) احتلم في جاريته، وقال: قد ابتلينا بهذا الأمر منذ اشتغلنا بأمر المسلمين! انتهى.

يقصد الشعراني بذلك أن الأكابر مثل عمر وأبي بكر والأقطاب، يصح أن نستعمل فيهم لفظ العصمة، لأنهم معصومون كالأنبياء عليهم السلام، أما الأولياء فنقول عنهم إنهم محفوظون من الذنوب، ولا نقول إنهم معصومون.

ويقول الشعراني إن أكابر الأولياء لا يرون أحلاماً جنسية لأنهم مستغرقون في الله تعالى، أو في التفكير أمر المسلمين وقضاياهم! وإذا حدث ذلك فإنهم يحتلمون بزوجاتهم، كما حدث لعمر فقد كان كل عمره مستغرقاً في الله تعالى لا يحتلم، ثم استغرق بأمر المسلمين السياسية، فحدث أن احتلم ذات مرة، لكن بجاريته وليس بامرأة أجنبية!

وقال المقرئ في فضل آل البيت ص ٩٢: (وما تجد في القرآن عبادة مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد، فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم، القائمين بحقوق سيدهم، الواقفين عند مراسمه وحدوده، فشرهم أعلى، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام). انتهى.

وقال السيومي في كتابه السيدة فاطمة الزهراء ص ٨٢: (وقد ذهب البعض إلى أن آل البيت (يقصد كل ذرية علي وفاطمة عليهما السلام) محفوظون من الكبائر بعناية الله، فقد فطرهم على حبه وحب طاعته، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام. وذهب قوم إلى أن القطب في كل عصر، لابد وأن يكون من أهل البيت النبوي الشريف، وإن رأى أبو العباس كما نقل عنه تلميذه ابن عطاء، أن القطب قد يكون من غيرهم، ولكن قطب الأقطاب لا يكون إلا- منهم، لأنهم أركى الناس أصلاً وأوفرهم فضلاً، غير أن القطب من شأنه غالباً الخفاء وعدم الظهور، فإذا لم يوجد في الظاهر من أهل البيت من يصلح للإتصاف بالقطبية، حمل على أنه قام بذلك رجل منهم في الباطن، وأما القائم بتجديد الدين فلا بد أن يكون ظاهراً حتى يسير علمه في الأفاق، وينتشر في الأقطار). انتهى.

رأى التفتازاني: في عصمة أبي بكر و عمر و عدالة باقي الصحابة

سعد الدين التفتازاني من كبار العلماء المنظرين لمذهب الحكومات القرشية،

جاء في معجم المطبوعات العربية: ١/٦٣٥: (التفتازاني، سعد الدين (٧٢٢-٧٩٣هـ) مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني الهروي الشافعي الخراساني التفتازاني، نسبة إلى تفتازان بلدة بخراسان ولد فيها، كان من محاسن الزمان، لم تر العيون مثله في الأعلام والأعيان. وهو الأستاذ على الإطلاق، والمشار إليه بالإتفاق. اشتهرت تصانيفه في الأرض وأتت بالطول والعرض). انتهى.

وكتابه شرح المقاصد من أهم كتبهم الكلامية المعتمدة، وقد سجل فيه رأيه في الصحابة فقال في: ٥/٣١٠: (ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ، والمذكور على ألسنة الثقات، يدل بظاهرة على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق، وبلغ حد الظلم والفسق، وكان الباعث عليه الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسات والميل إلى اللذات والشهوات، إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا كل من لقي النبي (ص) بالخير موسوماً. إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوتاً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار، المبشرين بالثواب في دار القرار.

وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي (ص)، فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، ويكاد تشهد به الجماد والعجماء، ويبكى له من في الأرض والسماء، وتنهّد منه الجبال، وتنشق منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كر الشهور ومر الدهور، فلعنة الله على من باشر، أو رضى، أو سعى، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوزُ اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى في أدعيتهم، ويجرى في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد في الإعتقاد، بحيث لا تزلُّ الأقدام عن السواء، ولا تضلُّ الأفهام بالأهواء!! وإلا فَمَنْ خفى عليه الجواز والإستحقاق، وكيف لا يقع عليهما الإتفاق؟! وهذا هو السر فيما نقل عن السلف من المبالغة في مجانبه أهل الضلال، وسد طريق لا يؤمن أن يجر إلى الغواية في المآل، مع علمهم بحقيقة الحال وجليه المقال!! انتهى.

وفي هامش الإصابة: ١/٢٥: (وقال السعد التفتازاني: يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرين والأنصار، وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بدمراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وشهد بذلك الآيات الصراح، والأخبار الصراح. وللروافض سيما الغلاة منهم مبالغت في بغض البعض من الصحابة رضى الله عنهم والطعن فيهم، بناء على حكايات وافتراءات لم تكن في القرن الثاني والثالث! فإياك والإصغاء إليها فإنها تضل الأحداث، وتحير الأوساط وإن كانت لا تؤثر فيمن له استقامة على الصراط المستقيم، وكفاك شاهداً على ما ذكرنا أنها لم تكن في القرون السالفة ولا فيما بين العترة الطاهرة، بل ثناؤهم على عظماء الصحابة وعلماء السنة والجماعة، والمهدين من خلفاء الدين، مشهور في خطبهم ورسائلهم وأشعارهم). انتهى.

نقد منطق التفتازاني في العصمة في مسائل

المسألة ١٠

اعترف التفتازاني بأن بعض الصحابة قد انحرف بعد النبي صلى الله عليه وآله عالمياً عامداً وكان دافعه إلى ذلك على حد تعبيره: (الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسات، والميل إلى اللذات والشهوات)! وأن صحبة النبي صلى الله عليه وآله لا توجب العصمة ولا العدالة، فقد صدرت منهم المعاصي والظلم والفسق!

وما داموا لا يعرفون من هم المنحرفون من الصحابة، ولا مقياس عندهم مثلنا حيث نقول بأن العترة هم المقياس لجميع الصحابة، فوجب عليهم أن يجروا فيهم حكم الشبهة المحصورة، ويحرّموا على المسلمين أن يتلقّوا منهم دينهم بعد النبي صلى الله عليه وآله! فقد أفتى فقهاؤهم وفقهاؤنا بأنه إذا اشتبه إناء نجس بآنية طاهرة ولم يتميز، وجب اجتناب الجميع ولا يصح الوضوء بأى منها! قال العلامة الحلي في نهاية الأحكام: ١/٢٥٣: (فلو اشتبه إناء طاهر بماء الغالب في مثله النجاسة كان كما لو اشتبه بمتيقن النجاسة، فيحتاج إلى الإجتهد). انتهى.

فإن قلت: أفتى بعضهم في هذه الحالة بجواز العمل بما غلب الظن على أنه طاهر فيصح الوضوء به، قال النووي في المجموع: ١/١٨٠: (إذا اشتبه ماء ان طاهر ونجس، ففيه ثلاثة أوجه: الصحيح المنصوص الذي قطع به الجمهور وتظاهرت عليه نصوص الشافعي أنه لا تجوز الطهارة بواحد منهما إلا إذا اجتهد وغلب على ظنه طهارته بعلامة تظهر، فإن ظنه بغير علامة تظهر لم تجز الطهارة به... وسواء عندنا كان عدد الطاهر أكثر أو أقل حتى لو اشتبه إناء طاهر بماء نجس تحرى فيها، وكذلك الأطمعة والثياب، هذا مذهبنا، ومثله قال بعض أصحاب مالك. كذا قال بمثله أبو حنيفة في القبلة والطعمة والثياب، وأما الماء فقال لا يتحرى إلا بشرط أن يكون عدد الطاهر أكثر من عدد النجس. وقال أحمد وأبو ثور والمزني: لا يجوز التحرى في المياه بل يتيمم، وهذا هو الصحيح عند

أصحاب مالك). (راجع أيضاً إعانة الطالبين: ١/٤٥).

فالجواب: أولاً، أن الأصل في الظن عدم الحجية كما قال الله تعالى: وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شيئاً. (يونس: ٣٦) فلا حجية للظن إلا بدليل شرعي من كتاب أو سنة، ولو سلمنا أن الله تعالى أجاز الإعتدال على غلبة الظن في الأواني والأطعمة المشتبهة كعدد الركعات تسهياً على العباد، فلا يدل ذلك على جواز الإعتدال على الظن في تلقي الدين بعد النبي صلى الله عليه وآله من صحابته، ونحن نعلم كما اعترف التفتازاني بأن فيهم أهل دنيا كذابين!

إن مجرد وجود هؤلاء فيهم مع عدم إمكانية تمييزهم، يرفع الإطمئنان بأن ما رواه هذا الصحابي من الدين فيجب التوقف! ثم لو سلمنا أن وثاقة الصحابي وعدالته تابعة لغلبة ظن المسلم، فمعناه فتح باب الإجتهد فيهم، وهذا ما يقفون ضده بشدة. وثانياً، إن دليلهم على حجية الظن في الإناء المشتبه هو عمل الصحابة واتفاقهم عليه، فلو أردنا أن نثبت به حجية قول الصحابة، لزم الدور!

قال الغزالي في المستصفى ص ٢٥٣: (لو اشتبه إناء نجس بعشر أو ان طاهرة فلا ترجيح للأكثر، بل لا بد من الإجتهد والدليل، ولا يجوز أن يأخذ واحداً ويقدر حله أو طهارته، لأن جنسه أكثر.

لكننا نقول: الظن عبارة عن أغلب الاحتمالين، ولكن لا يجوز اتباعه إلا بدليل، فخير الواحد لا يورث إلا غلبة الظن من حيث أن صدق العدل أكثر وأغلب من كذبه، وصيغة العموم تتبع، لأن إرادة ما يدل عليه الظاهر أغلب وأكثر من وقوع غيره. والفرق بين الفرع والأصل ممكن غير مقطوع ببطلانه في الأقيسة الظنية، لكن الجمع أغلب على الظن، واتباع الظن في هذه الأصول لا يكون ظناً، لكن لعمل الصحابة به واتفاقهم عليه). انتهى.

فقد تشدد الغزالي حتى في الظن الحاصل من خبر الواحد الثقة، وحكم بأنه ليس حجة في ذاته، بل لعمل الصحابة به واتفاقهم عليه! فهو يرجع بالحقيقة إلى حجية إجماع الصحابة، وستعرف ما فيه.

وثالثاً، إن إجماع الصحابة بدون القول بعصمة بعضهم لا يفيد العلم. ولو سلمنا حججته نظرياً، فكيف نطبقه عملياً ونحن لا نكاد نجد مسألة عقيدية أو فقهية أو سياسية، إلا وقد روى فيها عنهم الرأي وخلافه!

فبيعه أبي بكر التي يضربونها مثلاً لإجماعهم، يعترفون بأن الإجماع فيها انتقض بمخالفة سعد بن عبادة وفاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام وعديدين من المهاجرين والأنصار!

المسألة ٢٠

لا يغرُّك أن التفتازاني بدأ كلامه بالإعتراف بأن ما وقع بين الصحابة كان صراعاً على السلطة، حسداً وطمعاً في الدنيا والرئاسة والشهوات، فقد عاد وبرَّر كل ذلك بقوله إنه: (يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق) فظاهر قولهم وفعلمهم عنده الظلم والفسق، أما باطنه فهو الحق والعدالة من بعضهم، والعدل والعصمة من كبارهم! وبذلك تعرف كيف أتقن هذا الإيراني أسلوب المحامين المعاصرين في صياغة كلامه، للدفاع عن نظرية الصحابة القرشية!

وتعرف أن أتباع الحكومات القرشية يقعون في التناقض الذي يعيونه على الإسماعيلية الباطنية، فقد قلنا لبعض أتباع الإسماعيلية إن إمامهم يشرب الخمر علناً، فأجاب إن عمله في الظاهر شرب خمر، أما في الباطن فإنه بمجرد أن يلمس زجاجة الويسكي بيده الشريفه تتحول إلى شراب طهور من الجنة!

فما الفرق بين مقولتهم ومقولة التفتازاني في ظاهر عمل الصحابة وباطنه؟!

وقد بلغت براعة التفتازاني ذروتها في قراءته التعزية على ظلم أهل البيت النبوي صلوات الله عليهم، لكنه برَّأ الصحابة من ذلك بمن

فيهم معاوية، وهاجم يزيد بن معاوية وأدانه بجريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام، ثم تراجع وأثبت له حق الحصانة، حتى لاتصعد الإدانة إلى من فوقه من الصحابة!
فهل رأيت محامياً محترفاً أبرع منه في الدفاع عن جرائم أئمتة؟!

المسألة ٣٠

يظهر أن التفتازاني يقول بعصمة أبي بكر وعمر من بين الصحابة! فقد قال: (إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا كل من لقي النبي (ص) بالخير موسوماً. إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة!)
فقوله: (إذ ليس كل صحابي معصوماً) يشعر بأن بعضهم قد يكون معصوماً! وكلامه بعده يدل على أنه ارتضى قول (العلماء) أي علماء مذاهب السلطة القرشية في تبرير جميع أقوالهما وأفعالهما وإنهما محفوظان من الضلال والمعصية! وهذه هي العصمة بعينها! فهو يقول بها لمن سماهم (كبار الصحابة) ويقصد بهم أبا بكر وعمر فقط، وربما قصد معهما عثمان وعلياً عليه السلام

المسألة ٤٠

إن دليل (العلماء) الذي ارتضاه التفتازاني على مقام العصمة لأبي بكر وعمر، ومقام العدالة لبقية الصحابة، مع الإعراف بجرائم بعضهم، أجمله في قوله: (إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار المبشرين بالثواب في دار القرار).

وترجمته بالعربية: أن عقيدة المسلمين فيهم يجب أن تحفظ، لأنهم مبشرون بالجنة!
وهو مصادره واضحة، لأن البحث فيما يجب أن تكون عقيدة المسلمين فيهم، هل هي العدالة أو العصمة، أو أن الأصل عدم أي منهما حتى تثبت قطعياً؟

وكان ينبغي للتفتازاني المنطقي أن يقول: يجب التوقف في الصحابة، لأن الله مدح بعضهم وبشرهم بالجنة، وذم بعضهم وأخبر أنهم سينقلون بعد النبي صلى الله عليه وآله فقال: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). (آل عمران: ١٤٤). ولأن النبي صلى الله عليه وآله مدح بعضهم ووعدهم الجنة، وذم أكثرهم وأخبر أنهم في النار كما في صحيح البخاري: ٧/٢٠٩، عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم! فقلت أين! قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم! قلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم!!

وهمل النعم كما في مقدمة فتح الباري: ص ١٩٧: الإبل بغير راع وكذا غيرها، أي الصحابة الخارجون على السلطة، وهم الشاكرون في الآية.

كان ينبغي للتفتازاني أن يقول مادامت النتيجة المنطقية تتبع أخس المقدمات، فليس بوسعنا إلا التوقف في أمر الصحابي حتى تثبت عدالته أو عصمته!

لكنه كرر دليله الواهي بقوله: (يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل ما يوجب بظاھر الطعن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بداراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع،

وشهد بذلك الآيات الصراح، والأخبار الصراح).

وكلامه هذا دعوة إلى تعطيل العقل والشرع، وإلغاء ما قرره عامة عقلاء المجتمعات البشرية، وعلماء البيان والفقه والأصول، من حجية ظواهر الكتاب والسنة، وظواهر أقوال الناس وأفعالهم! فإن فتواه بوجوب (حمل ما يوجب بظاهرة الطعن فيهم على محامل وتأويلات) دعوة صريحة إلى القول بعصمة الصحابة، وإلغاء الظاهر، واتباع المذهب الباطني بأسوأ أنواع الباطنية!

أما قوله إن الآيات الصريحة تدل على علو شأنهم فهو كلام تعمد إبهامه، فإن قصد أنها تدل على عصمتهم جميعاً، ووجوب تأويل ظاهري معاصيهم وانحرافهم فهو ممنوع. وإن قصد أنها تدل على أن بعضهم من أهل الجنة، فهو صحيح، لكن لما لم يدل دليل عندهم على تمييزهم، كان حكمهم حكم الشبهة المحصورة وهو وجوب اجتناب كل أطرافها حتى يتميز الظاهر فيها من النجس، والحلال من الحرام، والتمتع من البرئ، وأهل الجنة من أهل النار!

وأما دعواه إجماع المسلمين على علو شأنهم، ونسبته إلى أهل البيت عليهم السلام مديحهم، فهو ممنوع، بل الثابت بشهادة علمائهم نقض هذا الإجماع، وطعن أهل البيت عليهم السلام وغيرهم في أهل السقيفة، ومن ذلك اعتراف عمر بأن علياً والعباس شهدا عليه وعلى أبي بكر بأنهم غادران خائنان آثماني! (صحيح مسلم: ٥/١٥٢)

ولو لم يكن إلا خطية على عليه السلام الشقشقية لكفت، ولا يتسع المجال للإفاضة! فظهر أن التفتازاني يقول بعصمة الصحابة بعضاً أو كلاً، ويقول بعدالتهم كلاً، لكنه لم يقدم دليلاً واحداً على ذلك، إلا التقليد للسلطة وعلمائها!

ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالي، لكن لا يجب تقليدهما

عندما يبحث علماءهم حجية قول الصحابي، يصبرحون بعدم عصمة الصحابة، لكنهم عملياً يعصمون الشيخين! قال الغزالي في المستصفي: ص ١٧٠:

(إن قال قائل: إن لم يجب تقليدهم، فهل يجوز تقليدهم؟

قلنا: أما العامي فيقلدهم، وأما العالم فإنه إن جاز له تقليد العالم جاز له تقليدهم وإن حرمانا تقليد العالم للعالم فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في تقليد الصحابة، فقال في القديم: يجوز تقليد الصحابي إذا قال قولاً وانتشر قوله ولم يخالف. وقال في موضع آخر: يقلد وإن لم ينتشر، ورجع في الجديد إلى أنه لا يقلد العالم صحابياً، كما لا يقلد عالماً آخر.

ونقل المزي عن ذلك وأن العمل على الأدلة التي بها يجوز للصحابة الفتوى، وهو الصحيح المختار عندنا إذ كل ما دل على تحريم تقليد العالم للعالم كما سيأتي في كتاب الإجتهد لا يفرق فيه بين الصحابي وغيره.

فإن قيل: كيف لا يفرق بينهم مع ثناء الله تعالى وثناء رسول الله (ص) قال تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ... وقال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ... وقال رسول الله (ص): خير الناس قرني. وقال (ص): أصحابي كالنجوم إلى غير ذلك؟

قلنا: هذا كله ثناء يوجب حسن الاعتقاد في علمهم ودينهم ومحلهم عند الله تعالى، ولا يوجب تقليدهم لا جوازاً ولا - وجوباً، فإنه (ص) أثني أيضاً على آحاد الصحابة، ولا يميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه، كقوله (ص): لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح. وقال (ص): إن الله قد ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه، يقول الحق وإن كان مرأاً. وقال لعمر: والله ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك. وقال (ص) في قصة أسارى بدر حيث نزلت الآية على وفق رأى عمر: لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر. وقال صلوات الله عليه: إن منكم لمحدثين وإن عمر لمنهم. وكان على (رض) وغيره من الصحابة يقولون: ما كنا نظن إلا - أن ملكاً بين عينيه يسدده وأن ملكاً ينطق على لسانه! وقال (ص) في حق علي: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار، وقال (ص): أقضاكم علي، وأفرضكم زيد، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل). انتهى.

وقد ناقض الغزالي نفسه، فقد شهد بعصمة أبي بكر وعمر وعلي، ثم قال: (ولا يميزون عن بقيه الصحابه بجواز التقليد أو وجوبه)! وقال: (إذ كل ما دل على تحريم تقليد العالم للعالم... لا يفرق فيه بين الصحابي وغيره). انتهى.

فإن الدرجة التي أثبتتها لهم هي درجة العصمة، وهي توجب على الأمة اتباعهم، وهي فوق درجة التقليد ورجوع الجاهل إلى العالم، أو إلى أهل الخبرة.

بل ما دام الغزالي يعتقد بأن النبي صلى الله عليه وآله شهد بأن إيمان أبي بكر يزجج على إيمان العالمين بمن فيهم الأنبياء أو باستثناء الأنبياء عليهم السلام، فالواجب على العالمين أن يقتدوا به في قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!

وما دام عمر كالنبي صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى، بل ينطق على لسانه ملك معصوم، وتحدثه الملائكة، ويهرب منه الشيطان الذي لا يهرب من الأنبياء عليهم السلام! فالواجب على المسلمين أن يقتدوا به في قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!

وما دام النبي صلى الله عليه وآله دعا لعلى عليه السلام أن يجعل الله معه الحق أينما دار، ودعاؤه صلى الله عليه وآله مستجاب، فالواجب على المسلمين أن يقتدوا به في قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم أن يتركوا الحق ويتبعوا الباطل!

لكن لا يغرك قول الغزالي وغيره بعدم وجوب إطاعة أبي بكر وعمر وعدم عصمتهم، فإنما يقولونه بألسنتهم، وسترى أنهم عندما يصلون إلى عملهم وسيرتهم، يتبنون عصمتهم بالكامل، ويدافعون عن أفعالهم ليشبوا أنها كلها صحيحة، وأنهم لم يرتكبوا معصية أبداً، لاصغيرة ولا-كبيرة، حتى فيما خالفوا فيه النبي صلى الله عليه وآله! أما إذا وصلوا إلى حكم من يرفض شرعية خلافتهم، فيحكمون بكفره ويهدرون دمه، ويوجبون قتله! فيثبتون لهما درجة فوق العصمة، ويجعلون ولايتهما ركناً قام عليه الإسلام، إلى صف التوحيد والنبوة أو قبلهما!!

بل يصل بهم الأمر أنهم يجعلون ولايتهما أعظم من ولاية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله لأنهم لا يحكمون دائماً بالكفر والقتل على من عصى الله ورسوله صلى الله عليه وآله!!

ليس من المبالغة أن نقول إن غيرتهم على أبي بكر وعمر، وشدَّتْهم على من رفضهم، أعظم من غيرتهم على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله! وبعضهم يضيف اليهم عائشة وحفصة وعثمان ومعاوية.

وهذا التاريخ يشهد بأنه لم تضطهد أمة من الأمم من أجل شخصين، كما اضطهد ملايين المسلمين من أجل عمر وأبي بكر، ولم تُرق دماءً بذنب رفض ولاية أحد، كما أريقَت بذنب رفض ولاية أبي بكر وعمر!

لقد أقاموا كل عقيدتهم وفقههم ودولهم وتاريخهم وتربية أبنائهم وبناتهم، على تقديسهما واضطهاد من لا يقبلهما، حتى كان أجيال الشيعة في زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين، يتمنون أن تعاملهم دولة الخلافة القرشية معاملة المنكرين لله ورسوله صلى الله عليه وآله، ليخف جرمهم، واضطهادهم، وتقتيلهم!!

هل تشيع الغزالي في آخر عمره؟

للغزالي كتاب اسمه (سر العالمين وكشف مافي الدارين) نقل الدكتور الخليلي في كتابه (السقيفة أم الفتن) ص ١١٤، عن مخطوطته في دار الكتب المصرية رقم: ١٣١٦.

وقد طبع الكتاب في الهند ومصر والعراق وبيروت وإيران، وهو مرتب على مقالات، وقد أظهر فيه تشييعه بصراحة، ولذا شكك بعضهم في نسبه إليه!

قال المرحوم الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٢/١٦٨:

(١٢٠: سر العالمين) المنسوب إلى الغزالي. كتاب شيعي نسبه إليه في تذكرة خواص الأمة، وتاج العروس، والإتحاف في شرح الإحياء. (فراجعه).

وتابعه إيلان سر كيس في معجم المطبوعات العربية: ٢/١٤١٢، فقال: (سر العالمين وكشف ما في الدارين، وهو منسوب للغزالي والصواب أنه لأحد الباطنية- هند ١٣١٤ مصر ١٣٢٤). كما وافقه الباحث السيد جعفر مرتضى فشكك بنسبة الكتاب إلى الغزالي. (مجلة تراثنا: ٢/٩٧ و ٤/١٧٣)

بينما خالفهم عديدون ونسبوا الكتاب إلى الغزالي كالبغدادى فى إيضاح المكنون: ٢/١١، قال: (سر العالمين وكشف ما فى الدارين لأبى حامد الغزالي محمد بن محمد). ونحوه فى هدية العارفين: ٢/٨٠، وكذا القاضى نورالله التستري فى كتابه مجالس المؤمنين، والفيض الكاشانى فى الوافى، والطريحي فى مجمع البحرين، والأمينى فى الغدير: ١/٣٩١، والمرعشى فى شرح إحقاق الحق: ٣٣/٢٤٤، كما نقلوا ذلك عن المحقق الكركى.

وقال الماحوزى فى الأربعين ص ١٥١: (ذكر مولانا محسن الكاشى فى المحجة البيضاء أن ابن الجوزى الحنبلى ذكر فى بعض تصانيفه أن الغزالي ترفض فى آخر عمره، وأظهر رفضه فى كتاب سر العالمين).

ووافقهم السيد الميلانى فى نفحات الأزهار: ١/١٠٢ و ١/٩، ١٨٤، مؤيداً ما استدلووا به من نسبة ابن الجوزى الكتاب إلى الغزالي فى تذكرة الخواص ص ٦٢، والذهبي فى ميزان الإعتدال: ١/٥٠٠، وفى طبعتنا: ٢/٢١٥، حيث اعتمد عليه فقال: (قال أبو حامد الغزالي فى كتاب (سر العالمين): شاهدت قصة الحسن بن الصباح لما ترهّد تحت حصن الموت فكان أهل الحصن يتمنون صعوده إليهم، ويمتنع ويقول: أما ترون المنكر قد فشا وفسد الناس! فتبعه خلق، ثم خرج أمير الحصن يتصيد فنهض أصحابه وملكوا الحصن!) انتهى.

أقول: وهذا هو الصحيح، والعبارة موجودة فى سر العالمين، ولا توجد فى غيره. وقد نقل عنه الذهبى أيضاً فى: ١٩/٤٠٣، نفس عبارته فى ميزان الإعتدال وقال قبلها فى ترجمة الغزالي: ١٩/٣٢٧، (ومن معجم أبى على الصدفى، تأليف القاضى عياض له، قال: والشيخ أبو حامد، ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا فى طريقة التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم وصار داعية فى ذلك، وألف فيه تواليه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمه! والله أعلم بسرّه، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتثل ذلك. مولده سنة خمسين وأربع مئة).

قلتُ (الذهبي): ما زال العلماء يختلفون ويتكلم العالم فى العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور. ولأبى المظفر يوسف سبط ابن الجوزى فى كتاب رياض الأفهام فى مناقب أهل البيت قال: ذكر أبو حامد فى كتابه سر العالمين وكشف ما فى الدارين فقال فى حديث: من كنت مولاه فعلى مولاه، إن عمر قال لعلى: بخ بخ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. قال أبو حامد: وهذا تسليم ورضى، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى، حباً للرياسة وعقد البنود، وأمر الخلافة ونهيهما، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون! وسرد كثيراً من هذا الكلام الفصل الذى تزعمه الإمامية، وما أدرى ما عذره فى هذا! والظاهر أنه رجع عنه وتبع الحق فإن الرجل من بحور العلم، والله أعلم.

هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك بعيد، ففى هذا التأليف بلايا لا تتطبب! وقال فى أوله: إنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربى سراً بالنظامية، قال: وتوسمت فيه الملك). انتهى.

أقول: لم يعين الذهبى من اتهمه باحتمال وضع الكتاب، بقوله (هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك بعيد)! فهل يقصد الصدفى، أم القاضى عياضاً! مع أنه ترجم لهما ووصف كلاهما بالإمام ومدحهما كثيراً، قال فى سير أعلام النبلاء: ٢٠/٢١٢: (القاضى عياض: الإمام العلامة الحافظ الأوحى، شيخ الإسلام القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبى الأندلسى، ثم السبتي المالكى. ولد فى سنة ست وسبعين وأربع مئة... الخ).

وقال فى تذكرة الحفاظ: ٤/١٢٥٣: (الإمام الحافظ البارع أبو على الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفى السرقسطى الأندلسى... الخ). انتهى.

فتشكيك الذهبى فى الكتاب بدون حجة بعد ما اعتمد عليه كبار علمائهم!

أما البلية التي لا تتطب عند الذهبي فهي قول الغزالي في سر العالمين ص ٢١:

(المقالة الرابعة في ترتيب الخلافة والمملكة: اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها لمن آل أمرها إليه، منهم من زعم أنها بالنص ودليلهم قوله تعالى: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَيْدٌ دَعْوَنَ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ بِأَسِّ شَدِيدٍ تَقَاتَلُوهُمْ أَوْ يُشِلِّمُونِ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الفتح: ١٦) وقد دعاهم أبو بكر إلى الطاعة بعد رسول الله (ص) فأجابوا. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ. (التحریم: ٣)، قال في الحديث: إن أبا بكر هو الخليفة من بعدى يا حميراء، وقالت امرأة: إذا فقدناك فالى من نرجع؟ فأشار إلى أبى بكر، ولأنه أم بالمسلمين على بقاء رسول الله (ص) والإمامة عماد الخلافة. هذه جملة ما يتعلق به القائلون بالنصوص.

ثم تأولوا وقالوا: إذ لو كان على أول الخلفاء لانسحب عليهم ذيل الفناء، ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب، ولا يقدر في كونه رابعاً للخلفاء، كما لا يقدر في نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان آخراً.

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أن هذا تعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم، وقد وقع الميراث في الأحكام والخلافة، مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى، قالوا: كان لأزواجه ثمن الخلافة فهذا تعلقوا. وهذا باطل، إذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى.

لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدیر خم باتفاق الجميع وهو يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه، فقال عمر: بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت م ولاى ومولى كل مولى، فهذا تسليم ورضاً وتحكيم. ثم بعد هذا غلب الهوى بحب الرئاسة، وحميل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى، في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وآله قال وقت وفاته: إيتونى بدواة وبياض لا زيل عنكم إشكال لأمر، وأذكر لكم من المستحق لها بعدى! قال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر وقيل ليهذر. فإذا بطل تعلقكم بتأويل النصوص، فعدتم إلى الإجماع، وهذا منقوض أيضاً فإن العباس وأولاده وعلياً عليه السلام وزوجته لم يحضروا حلقة البيعة وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجى... الخ). انتهى.

والظاهر أن استبصار الغزالي كان في آخر أيامه في طوس، ولم يمهل العمر حتى ينشر ذلك، ويبرئ ذمته بإعلان رجوعه عن كتبه ومؤلفاته العديدة، وما غصت به من عدائه لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام وتأصيله لمذاهب مخالفيهم! وقد رأيت قبره قرب بيته أو مسجده في بلدة طوس، حيث أمضى آخر حياته، وهى فى ضاحية مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وقد اهتمت به الحكومة الإيرانية.

النقد الذاتى قليل نادر فى علمائهم

مضافاً إلى كتاب سر العالمين للغزالي، فقد أعجبنى هذا النقد الذاتى للحافظ محمد بن عقيل فى كتابه القيم: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية/١٧٤، قال:

(إننا أهل السنة قد أنكرنا على الشيعة دعواهم العصمة للأئمة الإثنى عشر، وجاهرناهم بصيحات النكير، وسفهننا بذلك أحلامهم، ورددنا أدلتهم بما رددنا، أبعد ذلك يجمل بنا أن ندعى أن مائة وعشرين ألفاً حاضرهم وباديهم وعللهم وجاهلهم وذكرهم وأنثاهم، كلهم معصومون أو كما نقول محفوظون من الكذب والفسق، ونجزم بعدلتهم أجمعين فناخذ رواية كل فرد منهم قضية مسلمة نضلل من نازع فى صحتها ونفسقه، ونتصامم عن كل ما ثبت وصح عندنا، بل وما تواتر من ارتكاب بعضهم ما يخرم العدالة وينافيها، من البغى، والكذب، والقتل بغير حق، وشرب الخمر، وغير ذلك مع الإصرار عليه!! لا أدري كيف تحل هذه المعضلة ولا أعرف تفسير هذه المشكلة.

إليك فإني لست ممن إذا أتقى عِضاضُ الأفاعى نامَ فوقَ العقاربِ

أما الأمر بحسن الظن فحسن، ولكنه ليس في مقام بيان الحق وإبطال الباطل، والكلام على جرح أو تعديل، ولو سوغنا هذا لتعطلت الأحكام، وبطلت الحدود والشهادات، وكُيِّبَ الشرع على أم رأسه، إذ لا وجه لتخصيص أشخاص دون آخرين بحسن الظن بهم في كل ما يفعلونه، إذا ترتب على فعله حكم شرعى إلا بمخصص شرعى، وأنى بذلك.

ولو عممنا القول بذلك لكان حسن الظن حسناً بكل فرد من أفراد المسلمين في كل ما يفعله كما يقول به بعض الصوفية، فيتأول حينئذ لكل منهم ما ارتكبه من القبائح والبدع المضلة والكبائر، ويحمل كل ذلك على محمل حسن وقصد صالح، ويدخل في ذلك الخوارج وغلاة الرافضة فيما يرتكبونه من البدع والتفكير والسب، وهلم جراً.

اللهم غفرانك، إنه بهذا يتعطل الشرع وتلتبس الأمور ويختلط الحابل بالنابل، بل الواجب إجراء كل شئ في مجراه عند إرادة إيضاح الحقائق وبيان المشروعات. وبهذا عمل الصحابة رضى الله عنهم فيما بينهم، وهكذا عمل جهابذة أصحاب الحديث في الجرح والتعديل، في رواية الحديث إلا- فيمن له صحبة على حسب اصطلاحهم في تعريف صاحب، وهى نقطة الإنتقاد عليهم ومحل الإشكال، إذ كيف يمكن طالب الحق أن يعتمد ما قالوه ويجرى على ما جروا عليه من التسوية، صحة واحتجاجاً، بين روايات الحكم والوليد ومعاوية

وعمرو وأشباههم؟! سبحان الله أفمن أتبع رضوان الله كمن ياء بسخط من الله؟! لا- والله، ثم لا والله إن الإذعان للحق شأن المنصفين، وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ).

السلطة القرشية تتبع اليهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل

تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى.. ترك الصلاة

شهدت عامة المصادر كالبخارى ومسلم أن النبي صلى الله عليه وآله حذر المسلمين من الإنحراف بعده، وفي نفس الوقت أخبرهم بأن ذلك سيكون، فقال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم! قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!

وفي مناسبة أخرى قال لهم: والذي نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً فباعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه! قالوا ومن هم يا رسول الله، أهل الكتاب؟ قال: فمه؟!

وفي مناسبة أخرى قال لهم: لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ الأمم والقرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قالوا: يا رسول الله كما فعلت فارس والروم؟ قال: وهل الناس إلا أولئك؟!

(روت ذلك عامة المصادر كالبخارى: ٩ / ١٢٦ و: ٨ / ١٥١، ومسلم: ٤ / ٢٠٥٤ ح ٢٦٦٩ عن أبى سعيد الخدرى، ونحوه / ٢٠٥٥، وأحمد: ٣٢٧ / ٢٣٢٥ و ٤٥٠، ونحوه ص ٣٣٦ و ٣٦٧ و ٥٢٧ و: ٣ / ٨٤ و ٨٩ و ٩٤ و: ٤ / ١٢٥، والرويانى: ح ١٠٨٥ عن سهل بن سعد، والبغوى فى المصاييح: ٣ / ٤٥٨، من صحاحه، عن أبى سعيد، كما فى رواية البخارى الثانية، وجامع الأصول: ١٠ / ٤٠٩ ح ٧٤٧٢، و٧٤٧٣، وجمع الجوامع: ١ / ٩٠٢، والجامع الصغير: ٢ / ٤٠١ ح ٧٢٢٤، ومجمع الزوائد: ٧ / ٢٦١، وفيض القدير: ٥ / ٢٦١، ومسنند ابن الجعد ص ٤٩١، والديباج على مسلم: ٦ / ٣٣ و ٣٤، ومصنف عبد الرزاق: ١١ / ٣٦٩، وكنز العمال: ١٤ / ٢٠٧، والكنى والأسماء: ٢ / ٣٠، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ولتركن سنن من كان قبلكم شبراً حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب دخلتم، وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم. والحاكم: ١ / ٣٧ و ٤ / ٤٥٥ وصححه وفيه: "حتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه. ومصنف ابن أبى شيبة: ٨ / ٦٣٤، وفيه:

(أنتم أشبه الناس سمناً وهدياً بينى إسرائيل لتسلكن طريقهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل)، قال عبد الله: إن من البيان سحراً. وقال فى هامشه: القذة ريش السهم، وللسهم ثلاث قذذ متقاربة الواحدة بجانب الأخرى، ويقال حذو القذة بالقذة للشيين يستويان ولا يتفاوتان).

وفى شرح مسلم للنووى: ١٦/٢١٩: (السَّن بفتح السين والنون هو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب كل التمثيل بشدة الموافقة لهم).

وفى فتح البارى: ١٣/٢٥٥: (فى رواية الكشميهنى شبراً بشبر وذراعاً بذراع، عكس الذى قبله. قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر، تمثيلٌ للإقتداء بهم فى كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه....

وقد أخرج الطبرانى من حديث المستورد بن شداد رفعه: لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتية.... وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمر الديانات أصولها وفروعها....

عن أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر فى بنى إسرائيل، إذا ظهر الإدهان فى خياركم، والفحش فى شراركم، والملك فى صغاركم، والفقه فى رذالكم). انتهى.

وفى مناسبة أخرى قال النبى صلى الله عليه وآله: (لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة).

(رواه من مصادرنا: الطوسى وغيره، قال فى الأمالى ص ١٨٦: أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرنى أبو محمد الحسن بن محمد العطشى قال: حدثنا أبو على محمد بن همام الإسكافى قال: حدثنا حمزة بن أبى جمه الجرجائى الكاتب قال: حدثنا أبو الحارث شريح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد العزيز بن سليمان، عن سليمان بن حبيب، عن أبى أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وآله.

ورواه من مصادرهم: أحمد: ٥/٢٥١، والبخارى فى تاريخه: ٨/٣٣٣ ح ٣٢١٤، وابن حبان: ٨/٢٥٣ ح ٦٦٨٠، عن أبى أمامة. والطبرانى الكبير: ٨/١١٦ ح ٧٤٨٦، والجامع الصغير: ٢/٤٠٣ ح ٧٢٣٢، وص ٤٧٣، والحاكم: ٤/٩٢، وقال: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه. ومجمع الزوائد: ٧/٢٨١، وقال: رواه أحمد، والطبرانى، ورجالهما رجال الصحيح). انتهى.

أمام هذه الأحاديث النبوية تواجهنا عدة أسئلة:

السؤال الأول، معنى هذه الأحاديث أن النبى صلى الله عليه وآله قد نعى الأمة إلى نفسها، وأنها من بعده ستتحرف، فهل هذا حقيقة قطعية؟!

والجواب: نعم إنها حقيقة قطعية وإن كانت مرّة، بدليل أن هذه الأحاديث صحيحة مجمع عليها عند كافة الأمة، والمجمع عليه من الأمة لاشك فيه.

والسؤال الثانى، هل المقصود بهذا الكلام النبوى انحراف غالبية الأمة، أو انحراف فئة صغيرة منها؟

والجواب: أن الخطاب فى هذه الأحاديث موجه إلى جميع الأمة، فلا بد أن يشمل الانحراف غالبيتها حتى يصح نسبة الانحراف إلى الأمة، فقد قال صلى الله عليه وآله: لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً... والذى نفسى بيده لتبعن سنن الذين من قبلكم... ولتركن سنن من كان قبلكم... ولو كان الانحراف محصوراً بفئة قليلة من الأمة لقال: لتبعن فئة من أمتى، أو مارقة من أمتى سنن من كان قبلكم.

والسؤال الثالث، هل أن الانحراف الموعود يشمل العقائد والشرائع والسياسة، كما حدث فى بنى إسرائيل؟!

والجواب: نعم لا بد من القول بشمول الانحراف لكل معالم الإسلام، بدليل الإطلاقات فى ألفاظ اتباع سنن اليهود والنصارى، وبدليل السعة فى انحراف اليهود بعد أنبيائهم عليهم السلام، حيث شمل انحرافهم أصول عقيدتهم بالله تعالى، وطعنهم بأنبيائهم ومخالفتهم لأوصيائهم عليهم السلام، واتباعهم غيرهم!

وقد نصت صيغ الأحاديث على الشمول كقوله صلى الله عليه وآله: لتنقض عرى الإسلام عروءه عروءه، كلما نقضت عروءه تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة. وسواء أراد بالحكم الخلافة، أو القضاء، فهو يدل على انحراف السلطة الحاكمة. والسؤال الرابع، ما علاقة هذه الأحاديث النبوية بآية الانقلاب على الأعقاب؟: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ١٤٤) والجواب: هذه الأحاديث النبوية المتفق عليها تفسر الانقلاب المقصود في الآيه، وتدل على أن الله تعالى لم يتحدث فيها وفي أمثالها عن فرضية لن تحدث وأن الشرطية والإستفهام فيها إخبار إلهي، قبل أن يكون إنذاراً واستنكاراً!

والسؤال الخامس، أين هذا الانحراف في الأمة، إن لم يكن ما تقوله الشيعة؟

والجواب: نعم هذه هي الحقيقة، ولذلك يدور أمر الذين ينكرون وقوع الانحراف في جمهور الأمة، بين أن يكذبوا إخبارات النبي صلى الله عليه وآله عن وقوعه، ويكذبوا آية الانقلاب.. وبين أن يعترفوا بعدم شرعية السلطة القرشية التي بدأت في السقيفة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله من غير مشورة المسلمين، ولا استناد على نص من النبي صلى الله عليه وآله، وأجبرت الناس على بيعتها، ثم تواصلت سياسة الإجبار في بنى أمية وبنى العباس بنفس طريقة الغلبة والجبر، التي أسستها السقيفة!

فلو سألت عالماً سنياً: هل تحقق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله فاتبعت الأمة سنن اليهود والنصارى أم لا؟! لحاول أن ينفي ذلك، ويثبت لك أن الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله مشت على طريق الهدى، واتبعت خير أصحابه أبا بكر وعمر، وأن الذين انصرفوا فئه قليلة هم أهل الأهواء والبدع، وهم الرافضة الذين رفضوا خلافة أبي بكر وعمر، وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى الأمة باتباع علي والعترة عليهم السلام!

ولو قلت له: لو كانت أغلبية الأمة مهتدية لما صح هذه الإطلاق والتعميم في كلام النبي صلى الله عليه وآله، ولكان اللازم أن يقول مثلاً: لتتبعن فئه من أمتي أو مارقه من أمتي سنن من كان قبلها.. لما استطاع أن يجيب!

والسؤال السادس، من أين يبدأ هذا الانحراف الخطير في الأمة؟

الجواب: صحت الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله حدد مصدر الانحراف في أمته وأساس فتنها، بالحكام والأئمة القرشيين المضلين!

ففي مجمع الزوائد: ٥/٢٣٩: (وعن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن سداد بن أوس قال قال رسول الله (ص): إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنهم إلى يوم القيامة. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن عمير بن سعد وكان عمر ولاءه حمص قال قال عمر لكعب: إني سائلك عن أمر فلا تكتمني. قال: والله ما أكتمك شيئاً أعلمه، قال: ما أخوف ما تخاف على أمة محمد (ص)؟ قال: أئمة مضلين، قال عمر: صدقت قد أسررت إلي وأعلمني رسول الله (ص). رواه أحمد ورجاله ثقات).

وروى أحمد: ٥/١٤٥، عن أبي ذر قال: كنت أمشي مع رسول الله (ص) فقال: لغير الدجال أخوفني على أمتي قالها ثلاثاً! قال قلت يا رسول الله، ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك قال: أئمة مضلون!! (ورواه أبو يعلى: ١/٣٥٩ ح ٤٦٦، والفرديوس: ٣/١٣١ ح ٤١٦٣ عن علي).

وفي سنن الترمذي: ٣/٣٤٢: ٢٣٣٠- عن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين.

قال وقال رسول الله (ص): لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله. هذا حديث صحيح). انتهى.

وفي تحفة الأحوذى: ٦/٤٠١: (باب ما جاء في الأئمة المضلين: قوله: إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين، أي داعين إلى البيع والفسق

والفجور....

قوله (هذا حديث صحيح)، وأخرجه مسلم وابن ماجه بدون ذكر إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين. وأخرجه أبو داود مطولاً. وروى ابن أبي شيبه في المصنف: ١٥/١٤٢ ح ١٩٣٣٢: (عن علي قال: كنا عند النبي (ص) جلوساً وهو نائم، فذكرنا الدجال، فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندي من الدجال: أئمة مضلون).

وفي الطبراني الكبير: ٨/١٧٦ عن أبي أمامه يحدث أنه سمع رسول الله (ص) يقول: لست أخاف على أمتي جوعاً يقتلهم ولا عدواً يجتاحهم، ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم).

أما من طرق أهل البيت عليهم السلام فقد روى الطوسي في أماليه: ٢/١٢٦: (عن عبد الله بن يحيى الحضرمي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم ورأسه في حجرى، فتذاكرنا الدجال، فاستيقظ النبي محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، الأئمة المضلون، وسفكك دماء عترتي من بعدى، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم). انتهى.

والسؤال السابع: ما دام الإنحراف وقع قطعاً بحكم أن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله أخبر به عن ربه، فلا بد أن يكون له ثقافة تحريفية واسعة في العقائد والتفسير والأحاديث والأحكام والسيرة والمذاهب والمشارب! فأين هذه الآثار الثقافية في مصادر المسلمين، إن لم تكن ما يقوله الشيعة؟!

والسؤال الثامن: كتبنا في كتاب تدوين القرآن: الفصل العاشر موقف إخواننا السنة من الثقافة اليهودية، تحت عنوان:

مذهب أهل البيت أبعد المذاهب عن الثقافة اليهودية

إذا كان عند الباحث معرفة بالثقافة اليهودية وحساسيتها منها، ومشى بهذا النور في مصادر الإسلام متتبعاً احتمالات التسرب والتأثير، فلن يجد معيناً صافياً لا شائبة فيه إلا الثروة المروية عن أهل البيت عليهم السلام.

ولا يهمننا أن يستكثر الآخرون هذه الدعوى، ولكن يهمننا أن يبحثوا في مفردات ما أنزل الله تعالى على رسوله برواية أهل بيته صلى الله عليه وآله ثم يقارنوا بينها وبين مثيلاتها من رواية غير أهل البيت، من زاوية القرب والبعد عن الثقافة اليهودية، ومن زاوية احتمال التسرب والتأثير، وزاوية التعبير عن استقلال الشخصية الفكرية للوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله.. ثم يحكموا!...

حدثني الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا، وهو من كبار فقهاء السنة في عصرنا، ومن أبرز عقولهم العلمية المحترمة، عن جلسة من جلسات مؤتمر البحوث الإسلامية في القاهرة في أواخر الستينات فقال: تحدث أحد المحاضرين عن مشكلة الإسرائيليات في مصادر المسلمين فحمل على الشيعة الذين جلبوا على المسلمين هذا البلاء، وأطال في ذلك. فطلبت الكلام بعده وقلت: لا يصح أن نظلم الشيعة، لأنهم طائفة إسلامية لها عراقتها وأصالتها العلمية، وقد اطلعت على مصادر من فقههم فرأيتهم فقهاً قوى المنطق والحجة مستنداً إلى القرآن والسنة.. والإسرائيليات بلاء عام ابتليت به مصادرنا كما ابتليت به مصادر الشيعة، فلا يصح أن نقول إنه جاءنا منهم..

إن هذا الموقف شبه المنصف لهذا الفقيه يدل على اطلاعه على مصادر السنة وشئ من مصادر الشيعة.. ولكني مطمئن بأنه لو اطلع أكثر لقال: إن بلاء الإسرائيليات في مصادر المسلمين وإن كان مشتركاً بين السنة والشيعة، إلا أن منبعه عند السنة وبعض ترشحاته عند الشيعة، والسبب في ذلك أن السلطة كانت بيد خلفاء السنة وأئمتهم، وكان علماء اليهود وحملته ثقافتهم يتقربون إليهم فقربوهم وأجازوا لهم بث ثقافتهم في المسلمين! أما الشيعة فكانوا أقلية محكومين، وكان اليهود يتعدون عنهم خوفاً من غضب السلطة.

ولو اطلع أكثر لقال: أما على والأئمة من أهل بيت النبي فلم يكونوا بحاجة لأن تكون لهم علاقات ثقافية مع اليهود والنصارى، بل كانوا يأنفون من الإستماع إلى علومهم المحرفة.. ولم يعهد عنهم أنهم مدحوا شخصيات أهل الكتاب أو ثقافتهم بكلمة واحدة، بل كانوا أقوى المناظرين لهم، وكان المسلمون إذا أخرجوا في مسألة من أهل الكتاب هرعوا إلى أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله ليأخذوا جوابها..

ومن المعروف عن علي عليه السلام أن حاخاماً يهودياً قال له: سرعان ما اختلفتم في نبيكم. يقصد في أمر الخلافة. فأجاب عليه السلام: نحن لم نختلف في نبينا بل اختلفنا عنه، وأما أنتم فما جفت أقدامكم من البحر حتى قلت: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهؤلاء!! إننا على يقين بأن الباحثين المنصفين في سلوك أهل البيت وفقههم والعلوم التي أثرت عنهم، سوف يصلون إلى نتيجة تقول: إن أصفى المذاهب وأبعدها عن التأثير بثقافة أهل الكتاب: هو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

اعمال تحريفيه واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر وأبي بكر

بدأ نشاطهم بعد النبي واستمر إلى يومنا هذا

رأى أتباع الخلافة القرشيه أن كل أمرهم يتوقف على تصحيح عمل السقيفه، فأشاعوا نشر تقديس شخصيه عمر وأبي بكر، وبقية زعماء قريش، مقابل قداسة عتره النبي الطاهرين عليهم السلام الذين تعلم المسلمون الآيات والأحاديث فيهم، وشاهدوا فيهم مناقبيه الأوصياء في القول والعمل!

ولا نتكلم هنا عن أعمال أتباع الخلافة في تبرير عزل زعماء قريش لأهل البيت واضطهادهم وتنقيص مقامهم! ولا عن أعمالهم في آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في عترته أهل بيته عليهم السلام. وإنما عن أعمالهم لرفع مقام الصحابه من أجل عمر وأبي بكر، فقد جعلوا لعمر مقام النبي بلا نبوه، ومقام العصمة بدرجة أعلى من عصمة النبي صلى الله عليه وآله، وقد أوردنا عدداً من مسائل هذا الموضوع في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين) في الفصل ٢١ و٢٢، ونكتفى هنا ببضعه أعمال يتسع لها هذا الكتاب:

حملوا آيات مدح الصحابه أكثر مما تحتل

في القرآن عدد من الآيات في مدح الصحابه، وأضعافها في انتقادهم! وهذا طبعي لأن القرآن تنزل في ثلاث وعشرين سنة، ليثبت الله به قلب نبيه صلى الله عليه وآله في تبليغه الرسالة وبناء الأمة، قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً. وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا. (الفرقان: ٣٢-٣٣).

وليوجه أمة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فيمدحهم عندما يحسنون، ويشجعهم عندما يضعفون، ويؤنبهم عندما يقصرون! واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم. (البقرة: ٢٣١). وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم. (آل عمران: ١). وقد ضحمت السلطة بعد النبي صلى الله عليه وآله آيات مدح الصحابه، وتناست آيات نقدهم وذمهم! وبالغت في ذلك حتى جعلت صحابته معصومين عملياً، لثبت أنهم الورثة الشرعيون للنبي صلى الله عليه وآله مع أن أهل البيت النبوي عليهم السلام أهل بيت وصحابه!

ومن الحقائق الملفته أن احتجاج أتباع الخلافة بهذه الآيات، ظهرت في عهد معاوية ولم يكن لهما وجود في زمن أبي بكر وعمر وعثمان! فغاية ما تجده عن عمر أنه فضل أهل بدر بالعطاء على غيرهم، وحكم بأن الخلافة يجب أن تكون فيهم وأنها حرام على الطلقاء! قال: (هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، ثم في كذا وكذا وليس فيها لطلق ولا لولد طلق ولا لمسلمة الفتح شئ. أخرجه الثلاثة). (أسد الغابة: ٤/٣٨٧، وفتح الباري: ١٣/١٧٨، والطبقات: ٣/٣٤٢، وابن عساکر: ٥٩/١٤٥، وكنز العمال: ١٢/٦٨١).

بل إن شهادتهم لأهل بدر بالجنة، التي رواها بخارى في: ٤/١٩، وعدة مواضع أخرى، والتي تقول إن النبي صلى الله عليه وآله قال:

(وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). لم يروها أحد عن أبي بكر ولا عمر! مع أنها لو كانت صحيحةً لاحتجاً بها فيما احتجاً!

إن هذا يدل على أن أتباع الخلافة اتخذوا فيما بعد قرارهم بتعظيم الصحابة بآيات وأحاديث، وإشاعتها في المسلمين، فملأوا بها مصادرهم، وربوا عليها أولادهم، وأنسوهم آيات توبيخ الصحابة، وأحاديث دخول أكثرهم النار! وحرموا على المسلمين انتقادهم، بل أفتوا بكفر من ارتكب ذلك وقتله!

قال الخطيب البغدادي الكفاية في علم الرواية ص ٦٣: (باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة، وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم، وإنما يجب فيمن دونهم).

كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي (ص) لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم، سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله (ص) لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن.

فمن ذلك قوله تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وقوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيلاً لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص وقيل وهو وارد في الصحابة دون غيرهم.

وقوله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

وقوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

وقوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وقوله تعالى: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضواناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ في آيات يكثر إيرادها ويطول تعدادها... انتهى.

ولو سألتهم أولاً: أين الآيات الأخرى في الصحابة، لنقارنها بآيات مدحهم ونجم بينها وبينها، كقوله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمْ الْأَذْبَارَ. وَمَنْ يُؤَلِّهْمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُنْسُ الْمَصِيرِ. (الأنفال: ١٥-١٦)

لما كان عندهم جواب، لأن الصحابة جميعاً، ما عدا بني هاشم، فروا في أحد وخيبر وحنين، وغيرها، واستحقوا بنص الآية نار جهنم، إلا من ثبت توبته!

وثانياً، لو قلنا لهم: ما هي أقوى آية عندكم في مدح الصحابة؟ لقالوا: إنها قوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، فقد نصت على رضا الله عن أهل بيعة الرضوان، وكانوا ألفاً وأربع مئة، ولذا حكمنا بأنهم من أهل الجنة.

نقول لهم: إن أهل بيعة الرضوان أو الشجرة، فيهم مؤمنون وفيهم دون ذلك، والرضا ورد في الآية عن المؤمنين فقط، واستمراره عن هؤلاء المؤمنين مشروط بأن لا يحدثوا ما يغضب الله عليهم ويحبط عملهم!

فلو كان كل المبايعين مؤمنين والرضا عنهم مطلق، لقال عز وجل: لقد رضى الله عن الذين يُبايعونك، وما قيده بالمؤمنين، وبظرف (إِذْ يُبَايِعُونَكَ)! فاختياره لهذين القيدتين، تحفظُ إلهي كبير، يدل على أن رضاه محدود في الأشخاص، وفي الطرف!

وثالثاً، لماذا نسيت العقد الذي بايعوا عليه النبي صلى الله عليه وآله، فكان سبب رضا الله عنهم، والذي جعلتموه رضاً مستمراً وعصمة

شاملة؟ فقد صرحتم بأنهم بايعوه على أن يقاتلوا معه ولا يفرؤا! قال بخارى: ٤/٨: (باب البيعة في الحرب أن لا يفرؤا، وقال بعضهم على الموت، لقوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ... فسألت نافعاً على أى شئ بايعهم على الموت؟ قال: لا بايعهم على الصبر). انتهى.

فكيف يستمر رضا الله عليهم وقد نكثوا بيعتهم ورفؤا فى خير وحنين، وكاننا بعد بيعه الشجرة؟ والله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ! (الفتح: ١٠).

قال ابن طاوس فى الطرائف ص ٥٨: (رواه علماء التاريخ مثل محمد بن يحيى الأزدي، وابن جرير الطبرى [١] والواقدي، ومحمد بن إسحاق، وأبى بكر البيهقى فى دلائل النبؤة [٢] وأبى نعيم فى كتاب حلية الأولياء [٣] والأبشهى فى الإعتقاد، عن عبد الله بن عمر، وسهل بن سعد، وسلمه بن الأكوغ، وأبى سعيد الخدرى، وجابر بن عبد الله الأنصارى، أن النبى صلى الله عليه وآله بعث أبى بكر برايته مع المهاجرين وهى رايه بيضاء، فعاد يؤنب قومه ويؤنبونه، ثم بعث عمر بعده فرجع يجبئن أصحابه ويجنبونه، حتى ساء ذلك النبى صلى الله عليه وآله فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فأعطاهها علياً ففتح على يديه [٤].

وقال تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. (التوبة: ٢٥). وفى صحيح بخارى: ٥/١٠١: (عن أبى قتادة قال: وانهم المسلمون يوم حنين وانهمزم معهم فإذا عمر بن الخطاب فى الناس فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله!! ونحوه: ٤/٥٨).

فكيف يجوز التمسك بآية: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ، وترك قوله عن الفار: فَقَدْ بَاءَ بَعْضُ مِنَ اللَّهِ، وقوله عن الناكث: فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ!؟

ورابعاً، سواء كان المدح فى الآية لكل من بايع كما تقولون، أو لبعضهم كما نقول، فإن أهل البيت عليهم السلام فى طليعتهم، فهم شركاء للصحابه فيها، مضافاً إلى ما اختصوا به من آيات وأحاديث، فكيف يصح رفع الصحابه إلى مرتبتهم لأنهم شاركهم فى مديح!؟

وخامساً، ما ذا يعنى عندكم نص القرآن على رضا الله عز وجل عن أناس؟ هل يعنى عصمتهم، وأنهم حجة على المسلمين يجب عليهم الإقتداء بهم؟ فتكون سنتهم وقولهم وفعلهم وتقريرهم حجة شرعية كالنبى صلى الله عليه وآله؟

وإذا اختلفوا واقتتلوا، فهل يكون إجماعهم فقط هو الحجة؟ أم يجوز للمسلم أن يقتدى بأى واحد منهم كما رويتم: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم!؟

فيصح الإقتداء بسعد بن عباد وأهل البيت عليهم السلام فى رفضهم لخلافة السقيفة؟

وسادساً، كيف تقولون إن الرضا الإلهى شمل كل أهل بيعة الشجرة فكلهم فى الجنة، وفيهم رأس المنافقين ابن سلول، وفيهم ابن عديس البلوى قاتل عثمان، وفيهم أبو الغادية قاتل عمار الذى شهد النبى صلى الله عليه وآله بأنه من أهل النار!؟

هذه مناقشه عابرة فى أهم آية عندهم فى مدح الصحابه، التى حاولوا بها رفعهم إلى صف أهل البيت عليهم السلام. ولا يتسع المجال لبسط القول فيها وفى غيرها.

[١] تاريخ الطبرى: ٣/٩٣ ط بيروت.

[٢] رواه البيهقى فى السنن الكبرى: ٩/١٠٦، وكذا فى الإعتقاد: ١٥١.

[٣] حلية الأولياء: ١/٦٢ و ٤/٣٥٦، والحاكم النيسابورى فى المستدرک: ٣/٣٨.

[٤] محب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى: ٨٢، وابن حجر فى الصواعق المحرقة: ٧٢. انتهى.

أَثَقَلْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). (آل عمران: ١٤٤)

ومنهم الخائن العميل للكافرين: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رُسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. التوبة: ١٦

ومنهم من هو من اليهود أو النصارى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. المائدة: ٥١ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصَِّبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْيِعُ جُحُودًا عَلَى مَا أَسْرَفُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. المائدة: ٥٢

وهم مثل أتباع الأنبياء السابقين منهم الصالح ومنهم الطالح: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة: ٦٢

ولا- نريد بذلك أن ننقص من حق صحابه النبي صلى الله عليه وآله، ففيهم أبرار وأخيار ومجاهدون أئمة، نزلت فيهم آيات مديح فريدة، وصدرت بحقهم شهادات نبوية خالدة، لكنها تخص الصالحين منهم، دون المنافقين، ومرضى القلوب وضعفاء العقيدة. فلا بد من ميزان لمعرفةهم.

لابد من ميزان لتقييم الصحابة

كان الميزان رسول الله صلى الله عليه وآله، أما بعده فالميزان عترته الطاهرون عليهم السلام الذين قال فيهم في حديثه المتواتر عند الجميع: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما. وقال فى أولهم على عليه السلام: (على باب علمى، ومبين لأمتى ما أرسلت به من بعدى. حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رافة ومودة وعبادة). (فردوس الأخبار: ٣/٦٤)

وروى الحاكم: ٣/١٢٩: عن أبى ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلى بن أبى طالب. هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. (ورواه أحمد فى فضائل الصحابة: ٢/٦٣٩).

وفى صحيح مسلم: ١/٦٠، تحت عنوان: باب حب على من الإيمان: عن زر بن حبيش قال: قال على عليه السلام: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبى (ص) إلى: أن لا- يجنبى إلا مؤمن، ولا يبغضنى إلا منافق). (ورواه ابن ماجه: ١/٤٢، والنسائى فى سننه: ٨/١١٥ و١١٧ وفى خصائص على: ١٣٧٥، وأحمد: ١/٨٤، و٩٥ و١٢٨ وفضائل الصحابة: ٢/٢٦٤، وابن أبى شيبه فى مصنفه: ١٢/٥٦، وعبد الرزاق فى مصنفه: ١١/٥٥، وابن أبى عاصم فى السنة: ٥٨٤٢، وابن حبان فى صحيحه: ٩/٤٠، والخطيب فى تاريخ بغداد: ٢/٢٥٥ و١٤/٤٢٦، وابن عبد البر فى الاستيعاب: ٣/٣٧، وأبو نعيم فى حلية الأولياء: ٨/١٨٥، وابن حجر فى الإصابة: ٢/٥٠٣، والحاكم فى المستدرک: ٣/١٣٩، والبيهقى فى سننه: ٥/٤٧، وابن حجر فى فتح البارى: ٧/٥٧).

وفى فتح البارى: ٧/٧٢: وفى كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه يقول: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا على أن يبغضنى ما أبغضنى، ولو صببت الدنيا بجمانها على المنافق على أن يجنبى ما أحبنى! وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبى الأمى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا على لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق). انتهى.

ويطول الكلام لو أردنا استعراض ما دل على أن علياً والعترة الطاهرة عليهم السلام ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق، فبهم فقط نستطيع أن نعرف المرضيين وغير المرضيين من الصحابة، من أهل السقيفة وغيرهم.

وضعوا أحاديث فى مدح الصحابة و عصمتهم

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة

قال الخطيب البغدادي في الكفاية ص ٦٤: (ووصف رسول الله (ص) الصحابة مثل ذلك (مثل الآيات) وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم. فمن الأخبار المستفيضة عنه في هذا المعنى: ما أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس... عن عبد الله بن مسعود أن النبي (ص) قال: خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجرى قوم تسبق إيمانهم شهادتهم ويشهدون قبل ان يستشهدوا... ثم رواه الخطيب عن أبي هريرة وعمران بن حصين، وروى بعده:

عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص): لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما أدرك مدد أحدكم ولا نصيفه...

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة منى ماضية، فإن لم تكن سنة منى ماضية فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأبها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة...

عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص): سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدى، فأوحى الله إليّ يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهم عندي على هدى....

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): إن الله اختارني واختار أصحابي فجعلهم أصهارى وجعلهم أنصارى، وإنه سيجي في آخر الزمان قوم ينتقصونهم ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تنكحوا إليهم، ألا فلا تصلوا معهم، ألا فلا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة.

وتابع الخطيب: الأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن! وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم، إلى تعديل أحد من الخلق له، فهو على هذه الصفة، إلا أن ثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلك ورفع أقدارهم عنه.

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والإعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبدين! هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء.

وذهبت طائفة من أهل البدع إلى أن حال الصحابة كانت مرضية إلى وقت الحروب التي ظهرت بينهم وسفك بعضهم دماء بعض، فصار أهل تلك الحروب ساقطى العدالة، ولما اختلطوا بأهل النزاهة، وجب البحث عن أمور الرواة منهم.

وليس في أهل الدين والمتحققين بالعلم من يصرف إليهم خبر ما لا- يحتمل نوعاً من التأويل، وضرباً من الإجتهد، فهم بمثابة المخالفين من الفقهاء، المجتهدين في تأويل الأحكام لإشكال الأمر والتباسه.

ويجب ان يكونوا على الأصل الذى قدمناه من حال العدالة والرضا، إذ لم يثبت ما يزيل ذلك عنهم.

أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمداني، ثنا صالح بن أحمد الحافظ قال: سمعت أبا جعفر أحمد بن عبدل يقول: سمعت أحمد بن محمد بن سليمان التستري يقول: سمعت أبا زرعة يقول: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (ص) فاعلم أنه زنديق! وذلك أن الرسول (ص) عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله (ص)، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة). انتهى.

وكلام أبي زرعة الذى رواه الخطيب البغدادي فى سياق الأحاديث كأنه حديث شريف! يدل على تصعيد محاولتهم فى الدفاع عن أبى بكر وعمر وأتباعهما، بحصر سند الإسلام والقرآن بهم، وجعل التشكيك فيهم تشكيكاً فى سند الإسلام! وكأن كل أمة الإسلام ماتت بعد النبى صلى الله عليه وآله وضاع الإسلام، ولا يوجد سند لإثباته إلا رواية هؤلاء!!

أما الأحاديث التي ذكرها الخطيب في فضلهم، فكلها ضعيفة أو موضوعة، بدون استثناء، بشهادة النقاد من علمائهم! ولا يتسع المجال لبيان ذلك.

وقال القاضي الجرجاني في شرح المواقيف: ٨/٣٧٣، وهو من كبار متكلمي المذاهب السنية: (المقصد السابع: إنه يجب تعظيم الصحابة كلهم، والكف عن القدح فيهم لأن الله سبحانه وتعالى عظمهم وأثنى عليهم، في غير موضع من كتابه، كقوله: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. وقوله: يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم. وقوله: والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. وقوله: لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظم قدرهم وكرامتهم عند الله.

والرسول قد أحبهم وأثنى عليهم في أحاديث كثيرة، منها قوله عليه السلام: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ومنها قوله: لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. ومنها قوله: الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه. إلى غير ذلك من الأحاديث المشهورة في الكتب الصحاح.

ثم إن من تأمل سيرتهم، ووقف على ما أثرهم، وجددهم في الدين وبذلهم أموالهم وأنفسهم في نصره الله ورسوله، لم يتخالجه شك في عظم شأنهم، وبراءتهم عما ينسب إليهم المبطلون من المطاعن، ومنعه ذلك أى تيقنه بحالهم عن الطعن فيهم، فرأى ذلك مجاناً للإيمان.

ونحن لا نلوث كتابنا بأمثال ذلك، وهى مذكورة في المطولات مع التفصلى عنها، فارجع إليها إن أردت الوقوف عليها. وأما الفتن والحروب الواقعة بين الصحابة، فالهشامية من المعتزلة أنكروا وقوعها! ولا شك أنه مكابرة للتواتر في قتل عثمان ووقعة الجمل وصفين.

والمعتزلة بوقوعها، منهم من سكت عن الكلام فيها بتخطئه أو تصويب، وهم طائفة من أهل السنة. فإن أرادوا إنه اشتغال بما لا يعنى فلا بأس به، إذ قال الشافعى وغيره من السلف: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلنطهر عنها ألسنتنا. وإن أرادوا إنها لا نعلم أوقعت أم لا؟ فباطل، لوقوعها قطعاً، وأنت خبير بأن الشق الثانى من التريديد ينافى الإعتراف بوقوعها.

واتفق العمريه أصحاب عمرو بن عبيد، والواصلية أصحاب واصل بن عطاء على رد شهادة الفريقين، قالوا لو شهد الجميع بباقة بقله لم نقبلها، أما العمريه فلأنهم يرون فسق الجميع من الفريقين.

وأما الواصلية فلأنهم يفسقون أحد الفريقين لا بعينه، فلا يعلم عدالة شىء منهما. والذى عليه الجمهور من الأمة هو: أن المخطئ قتل عثمان ومحاربوا على لأنهما إمامان فيحرم القتل والمخالفة قطعاً، إلا أن بعضهم كالقاضى أبى بكر ذهب إلى أن هذه التخطئة لا تبلغ إلى حد التفسيق. ومنهم ذهب إلى التفسيق كالشيعة وكثير من أصحابنا). انتهى. وقد كشف الجرجاني وجود آراء مختلفة تدين أكثر الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر، لكنه مرّ عليها مروراً ورکز على بضعة أحاديثهم الموضوعه المتقدمة! ونكتفى هنا بمناقشه واحد منها:

نقد حديث: خير القرون قرنى

روى البخارى: ٧/١٧٣، عن عبدالله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله قال: خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجرى من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيماهم، وأيمانهم شهادتهم. ورواه أيضاً بصيغة: خير كم قرنى، ثم الذين يلونهم - قال عمران فما أدرى قال النبى بعد قوله مرتين أو ثلاثاً - ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن). انتهى. ومعنى السمن: البدنة من الترف وكثرة الأكل. (وكرر روايته فى: ٧/٢٢٤، و٢٣٣)

و معناه أن التاريخ الإسلامي يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال

وأصل الحديث هو تصور عمر لمستقبل الإسلام وأمته، وأنه كالبعير سيهرم ويموت! ففي مسند أحمد: ٣/٤٦٣: (قال كنت في مجلس فيه عمر بن الخطاب بالمدينة فقال لرجل من القوم: يا فلان كيف سمعت رسول الله (ص) ينعت الإسلام؟ قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الإسلام بدأ حِذْعاً ثم ثَبْتاً ثم رُبَاعياً ثم سُديسياً ثم بازلاً! قال فقال عمر بن الخطاب: فما بعد الزوال إلا النقصان!! (ورواه في: ٥/٥٢)، وقال في لسان العرب إن الذي سأله عمر هو العلاء بن الحضرمي).

وقال الزبيدي في تاج العروس: ٩/٢٤٥: (وأدنى الأسنان الإثناء، وهو أن تنبت ثنيتها، وأقصاها في الإبل الزبول، وفي البقر والغنم السلوغ).

وأصل الفكرة من كعب الأخبار الذي أفنع عمر بأن الإسلام سوف ينتهي، وأن الكعبة سوف تهدم، ومكة ستخرب! فقد عقد البخاري باباً في: ٢/١٥٩، بعنوان: (باب هدم الكعبة!) روى فيه (عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة!) (ورواه مسلم: ٨/١٨٣) ثم روى البخاري حديثين آخرين، أحدهما عن ابن عباس عن النبي (ص) قال: كَأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً!

ومن الثابت أن أبا هريرة كان يروى عن كعب ويسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله مع أن كعباً لم ير النبي صلى الله عليه وآله! ويبدو أن عمر يفعل ذلك أيضاً لشدة ثقته بكعب!

ففي مسند أحمد: ١/٢٣: عن عمر أنه سمع رسول الله (ص) يقول: سيخرج أهل مكة ثم لا يعبر بها أولاً يعبر بها إلا قليل، ثم تمتلئ وتبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبداً! (وقال عنه في مجمع الزوائد: ٣/٢٩٨: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح).

وفي مسند أحمد: ٢/٢٢٠: (عن عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ص) يقول: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها! ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع، يضرب عليها بمسحاته ومعوله!) انتهى.

الخط البياني للأمة.. نزول ثم صعود

كل من قرأ القرآن يعرف أن الله تعالى وعد أن يظهر دينه على الدين كله: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

وكل من قرأ الحديث يعرف أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر أمته عن مستقبلها ومسارها وأنها ستصاب بالإنحراف والضعف، ثم يبعث الله فيها المهدي من عترته عليه السلام فيظهر به دينه على الدين كله، وينزل فيها عيسى عليه السلام من السماء ليساعده.

فهي أحاديث متواترة روتها مصادر السنيين ومصادر أهل البيت عليهم السلام، منها ما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشروا ثم أبشروا- ثلاث مرات- إنما مثل أمتي كمثل غيث لا يدرى أوله خير أم آخره، إنما مثل أمتي كمثل حديقة أظعم منها فوج عاماً، ثم أظعم منها فوج عاماً، لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً وأعمقها طولاً وفرعاً، وأحسنها جنئ! وكيف تهلك أمة أنا أولها واثنان عشر من بعدى من السعداء وأولى الألباب، والمسيح عيسى بن مريم آخرها؟! ولكن يهلك بين ذلك نتج الهرج، ليسوا مني ولست منهم). (الخصال ص ٤٧٥، وكمال الدين ص ٢٦٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٥٦).

لكنك ترى علماء السلطنة القرشية يتعمدون الإعراض عن هذه الأحاديث ويرجحون عليها حديث خير القرون المزعوم، لأنه بتصورهم يُفَضِّلُ الصحابة الذين يحبونهم، أي أبا بكر وعمر، على كل البشر، وهذا مطلوبهم حتى لو خربت الدنيا، وهدمت الكعبة، وانتهى

الإسلام!!

وقد تمحلوا فى تأويل الأحاديث الصريحة الصحيحة التى تفضل جيلاً أو أشخاصاً آتين من الأمة على جيل الصحابة، مثل حديث: (تأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين، قيل: منهم أو من أرسول الله؟ قال: بل منكم). فهاجموا كل نوع من هذه الأحاديث تأويلاً وتميعاً وتضعيفاً، لتسلم لهم مقوله أن الصحابة أفضل من الجميع! (راجع الفصل السادس عشر من المجلد الأول، لترى تأثير اليهود فى نشر عقيدة أن الأمة الإسلامية تسير فى خط نزول مستمر إلى فنائها! وأن القرآن سيرفع من الأرض، والكعبة ستهدم، ومكة ستخرب فلا تسكن بعدها أبداً).

تخط الشراح فى حديث خير القرون قرنى

قال النووى فى مقدمته شرح مسلم: ١/٣: (المكرم بتفضيل أمته زادها الله شرفاً على الأمم السابقين، ويكون أصحابه خير القرون الكائنين، وبأنهم كلهم مقطوع بعدالتهم عند من يعتد به من علماء المسلمين). وقال فى: ١٦/٨٤: (اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه (ص)، والمراد أصحابه، وقد قدمنا أن الصحيح الذى عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبى (ص) ولو ساعة فهو من أصحابه. ورواية خير الناس على عمومها والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء (ص) ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته... الخ). ثم ذكر النووى اختلافهم فى القرن، من عشر سنوات إلى مئة وعشرين سنة! فانظر كيف فسر القرن بالمجموع الكلى للأصحاب، وفضلهم على المجموع الكلى لأناس كل قرن! وهذا معنى قوله (جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته) ولكنه يقول لا يلزم منه ذلك!

ولو أنصف لقال: يلزم منه أنهم أفضل من المجموع الكلى لأناس القرون الماضية والآتية مجتمعين، لأن تفضيلهم جاء مطلقاً! ويبدو أن البخارى لم يرو: خير القرون قرنى، فراراً من التعميم الذى فيه، ولكنه روى: خير الناس قرنى، فوقع فيما فر منه! قال الشوكانى فى نيل الأوطار: ٩/٢٢٨: (وحديث أبى هريرة أن خير القرون قرنه (ص)، وفى ذلك دليل على أنهم الخيار من هذه الأمة، وأنه لا أكثر خيراً منهم. وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك باعتبار كل فرد فرد. وقال ابن عبد البر: إن التفضيل إنما هو بالنسبة إلى مجموع الصحابة، فإنهم أفضل ممن بعدهم، لا كل فرد منهم. وقد أخرج الترمذى باسناد قوى، من حديث أنس مرفوعاً: مثل أمتى مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره.....

وأخرج ابن أبى شيبه من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير باسناد حسن قال رسول الله (ص): ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير ثلاثاً.....

وأخرج أحمد، والدارمى، والطبرانى باسناد حسن، من حديث أبى جمعة قال: قال أبو عبيدة: يارسول الله أحد خير منا، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بى ولم يرونى. وقد صححه الحاكم.

وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة رفعه: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وأخرج أبو داود والترمذى من حديث ثعلبة رفعه: تأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين، قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم وجمع الجمهور، بأن الصحابة لها فضيلة ومزية لا يوازيها شئ من الأعمال، فلمن صحب النبى (ص) فضيلة الصعبة وإن قصر فى الأعمال، وفضيلة من بعد الصحابة باعتبار كثرة الأعمال المستلزمة لكثرة الأجور، فحاصل هذا الجمع أن التنصيص على فضيلة الصحابة باعتبار فضيلة الصعبة، وأما باعتبار أعمال الخير فهم كغيرهم... فتقرر بما ذكرناه عدم صحة ما جمع به الجمهور...

والذى يستفاد من مجموع الأحاديث أن للصحابة مزية لا يشاركهم فيها من بعدهم، وهى صحبته (ص) ومشاهدته والجهاد بين يديه وإنفاذ أوامره ونواهيه، ولمن بعدهم مزية لا يشاركهم فيها وهى إيمانهم بالغيب فى زمان لا يرون فيه الذات الشريفة، التى جمعت من المحاسن ما يقود بزمام كل مشاهد إلى الإيمان، إلا من حقت عليه الشقاوة....). انتهى.

فتكون النتيجة عند الشوكاني قريبة من التساوي!!

ثم تابع الشوكاني: (فإن قلت: ظاهر الحديث المتقدم عن أبي عبيدة قال: يارسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ فقال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولا يرونى، يقتضى تفضيل مجموع قرن هؤلاء على مجموع قرن الصحابة.

قلت: ليس فى هذا الحديث ما يفيد تفضيل المجموع على المجموع، وإن سلم ذلك وجب المصير إلى الترجيح لتعذر الجمع، ولاشك أن حديث خير القرون قرنى أرجح من هذا الحديث بمسافات، لو لم يكن إلا كونه فى الصحيحين وكونه ثابتاً من طرق، وكونه متلقى بالقبول... فلم يبق ههنا إشكال والله أعلم!

أما ابن حجر فقد بحث فى أول المجلد السابع من فتح البارى حديث خير القرون وأفضلية الصحابة، بحثاً مطولاً كغيره، فقوى رأى البخارى فى أن الصحابي من رأى النبى صلى الله عليه وآله! وأفتى بأن من قاتل منهم أو أنفق فهم خير البشر على الإطلاق! ثم قال: (لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد، محل بحث، والى الثانى نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر. والذى يظهر أن من قاتل مع النبى (ص) أو فى زمانه بأمره، أو أنفق شيئاً من ماله بسببه، لا يعدله فى الفضل أحد بعده كائناً من كان! وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، والأصل فى ذلك قوله تعالى: لا يَسْتَوِي مَنْكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا.. الآية

واحتج بن عبد البر بحديث: مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره، وهو حديث حسن، له طرق قد يرتقى بها إلى الصحة. وقد روى بن أبى شيبه من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله (ص): ليدركن المسيح أقواماً، إنهم لمثلكم أو خير. ثلاثاً، ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها.

وروى أبو داود والترمذى من حديث أبى ثعلبة رفعه: تأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين. قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم، وهو شاهد لحديث مثل أمتى مثل المطر.

واحتج بن عبد البر أيضاً بحديث عمر رفعه: أفضل الخلق إيماناً قوم فى أصلاب الرجال يؤمنون بى ولم يرونى.. الحديث، أخرجه الطيالسى وغيره لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه.

وروى أحمد والدارمى والطبرانى من حديث أبى جمعة قال قال أبو عبيدة: يارسول الله أحد خير منا، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى، وإسناده حسن وقد صححه الحاكم.

واحتج أيضاً بأن السبب فى كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء فى إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم، قال: فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصى والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم فى ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك. ويشهد له ما رواه مسلم عن أبى هريرة رفعه: بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وقد تعقب كلام بن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتى بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة، وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام بن عبد البر ليس على الإطلاق فى حق جميع الصحابة، فإنه صرح فى كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية، نعم، والذى ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله (ص). انتهى.

ثم واصل ابن حجر محاولته لترجيح هذا حديث خير القرون على ما يعارضه بكلام طويل، ومما قاله: (وأما حديث أبى جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم، ورواه بعضهم بلفظ: قلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً.. الحديث...). انتهى.

وتلاحظ أنه أسقط حديث أبى جمعة عن الصلاحية لمعارضه حديث القرون لتفاوت ألفاظه، وهو يعرف أن ألفاظ حديث القرون متفاوتة ومتعارضة، وأن صيغه تزيد على العشرة، وقد تضمن بعضها شتماً لكل أجيال المسلمين الآتية! كالذى فى فيض القدير: ٣/٦٣٨:

فهل يعقل من الذى أخبر بوحي رب العالمين عن مستقبل الصحابة الرهيب فى جهنم، أن يقول عنهم إنهم خير القرون، وأفضل من جميع العالمين؟!

وهل يعقل من الذى لم يرض أن يسميهم إخوانى صلى الله عليه وآله، لأنهم سينقلبون من بعده، أن يقول عنهم إنهم خير القرون! ففى صحيح مسلم: ١/١٥٠: (وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال أنتم أصحابى، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا- ليزادن رجال عن حوضى كما يزداد البعير الضال! أناديهم ألا هلم، فيقال إنهم قد بدلوا بعدك! فأقول سحراً سحراً!). ورواه أحمد فى مسنده: ٢/٣٠٠ وص ٤٠٨، والبيهقى فى سننه: ١/٨٣ و ٤/٧٨، وابن حبان: ٣/٣٢١، ومجمع الزوائد: ١٠/٦٦، وغيرهم بدون نقيصة، لكن رواه النسائى فى سننه: ١/٩٣، وحذف آخره لأن فيه ذم الصحابة!

وهل يعقل أن يكون الصحابة خير أهل القرون، ثم يكون قطيعهم وأكثريتهم من أهل النار، ولا ينجو منهم ولا يدخل الجنة إلا قلة قليلة، يكونون منفردين عن قطيعهم مثل (همل النعم) كالأنعام المنفردة البعيدة عن القطيع! قال ابن حجر فى مقدمته ص ١٩٧: (والخليفة راعى الصحابة بلا- شك). انتهى. فمن هم الهمل الناجون، البعيدون عن قطع الصحابة الذى راعياه أبو بكر وعمر؟!

الامام مالك يعض يديه ندماً لروايته أحاديث الحوض

تحالف الحسينيون والعباسيون فى جبهة واحدة للثورة على الأمويين، وكانت القيادة للحسينيين، وما أن اشتعلت الثورة فى خراسان بقيادة أبى مسلم الخراسانى حتى بادر العباسيون فى الكوفة إلى سرقتها وأقنعه بالبيعة للسفاح فبايعوا له فى الكوفة وأزاحوا الحسينيين، فغضب الحسينيون وسيطروا على اليمن والحجاز والبصرة، وزحفوا فى سبعين ألف مقاتل نحو الكوفة ووصلوا إليها وشارفوا على النصر، وتهايا أبو جعفر المنصور للهرب، لكن قائدهم إبراهيم بن عبدالله بن الحسن أصابه سهم طائش فقتل وتفرق جنده، فاستتب الأمر للعباسيين. كان مالك بن أنس أفتى بالثورة مع الحسينيين! فعاقبه العباسيون بعد ذلك بالسجن والجلد، ثم استرضاهم فرضى عنه السفاح والمنصور.

وقد ساء المنصور أن يرى المرجعية الفكرية للأمة متمركزة فى الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام فاتخذ قراراته غيظاً من كل أبناء على عليه السلام بتغيير الخط الفكرى لثورة العباسيين، وإعادة الإعتبار للخلفاء القرشيين، بعد أن قامت الثورة الهاشمية على البراءة منهم، ورفعت فى مقابل الأمويين شعار: يالثرارات الحسين عليه السلام، وفى مقابل قريش: الدعوة إلى الرضا من آل محمد، فقرر المنصور تأسيس مذهب فى مقابلهم، وأمر مالك بن أنس أن يكتب له كتاباً موطأً ليلزم به المسلمين، وحصر الفتوى بمالك، ومنع أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء المدينة أن يفتوا مادام مالك موجوداً فصار قراره مثلاً: (لا يفتين أحد ومالك فى المدينة)، وقام باضطهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقتله.

وقد استغرق هذا العمل بضع عشرة سنة، كتب مالك كتابه الموطأ فى أولها، وتبنته السلطة ونشرته، وبعد نشره أصدر المنصور أمراً للمحدثين والفقهاء والولاة أن لا يرووا شيئاً فى فضائل على عليه السلام، ولا طعنًا بأبى بكر وعمر، وأن يفضلوهما على على عليه السلام! ثم أمر بمدح أبى بكر وعمر فى خطبة الجمعة وقال: (والله لأرغمن أنفى وأنوفهم، وأرفع عليهم بنى تيم وعدى). (منهاج الكرامة ص ٦٩).

لكن الموطأ كان قد انتشر وفيه أحاديث الحوض وما أدراك ما أحاديث الحوض! فكان مالك يعض أصابعه ندماً على وجودها فيه! قال الحافظ ابن الصديق المغربى فى فتح الملك العلى ص ١٥١: (وخرج مالك والبخارى ومسلم حديث الحوض، الذى حكى عن

مالك أنه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلا هذا الحديث (الموطأ: ١/٤٠ ط مصر ١٣٦٩)!

وعن الشافعي أنه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إزراء على الصحابة إلا حديث الحوض ووددنا انه لم يذكره). انتهى.
هذا واقع الصحابة في النص الصحيح عندهم! لكن السلطة القرشية تريد إخفاء ورفع الصحابة في مقابل عتره النبي صلى الله عليه وآله
وكانهم ليسوا صحابة! وكان النبي صلى الله عليه وآله لم يقل فيهم: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي)!
على أنهم ليسوا حريصين على مدح جميع الصحابة، بل يريدون مدحاً مجملاً مبهماً للصحابة، يمكنهم تفسيره بأبي بكر وعمر ومن
تبعهما فقط، من بين مئة ألف صحابي رأوا النبي صلى الله عليه وآله!

وحديث: خير الناس قرني، برأيهم حديث جميل يصلح لهذه الوظيفة!

على أنا لو سلمنا صحة هذا الحديث وقلنا إن النبي صلى الله عليه وآله قال عن مسلمي عصره إنهم خير البشر! فهل ينفع هذا المدح
المجمل في إثبات عدالة أبي بكر وعمر، أو إثبات عصمتهم؟ فقد يكون سبب الخير وجود العتره النبويه فيهم عليهم السلام كما تقول
خير العصور عصر رسول الله بسبب وجوده الشريف صلى الله عليه وآله ووجود أهل بيته الأطهار عليهم السلام الذين هم معدن الخير،
وبهم كانت الأمة خير أمة أخرجت للناس!

لكن القوم لا يريدونهم، ولا يريدون عدالة الصحابة، وإنما اتخذوا حديث خير القرون جسراً لإثبات عصمه عمر وأبي بكر! فهي بيت
قصيدهم!

بل، حتى لو قلنا إن سبب هذه الخيرية والأفضلية وجود خمس مئة من الصحابة الأبرار، فلا ينفعهم ذلك، إذا لم يوجد نصٌ يُعينهم،
ومقياسٌ يميزهم، فتكون القضية بالنسبة إلى غير أهل البيت عليهم السلام المخصوصين بالمدح النبوي، من نوع الشبهة المحصورة
والأواني المشبهة بين الحلال والحرام، أو الطاهر والنجس، وفتوى مذاهبهم فيها وجوب اجتنابها جميعاً إلا ما ثبتت طهارته!

قرنوا الصحابة بالنبي في الصلاة عليه من أجل عمر

اتفقت مصادرهم على أن المسلمين سألوا النبي صلى الله عليه وآله كيف نصلي عليك؟ فأمرهم بالصلاة عليه وآله معاً، وعلمهم
صيغتها! وهذا نصها من البخاري:

(قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ
عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). (راجع
أيضاً: الأحاديث: ٣٣٦٩، ٣٣٧٠، ٦٣٥٧، ٦٣٥٨، ٤٧٩٨، ٦٣٦٠).

فهو نصٌ صريح في أن الله تعالى لا يقبل الصلاة على نبيه إلا مقرونه بآله صلى الله عليه وآله. وهو صيغة توقيفية يجب اتباعها في الصلاة
وغير الصلاة، لأن السؤال مطلق: فكيف الصلاة عليك؟ فعلمهم، ولم يسألوه كيف نصلي عليك في صلاتنا؟ حتى يتفلسف متفلسف
فيقول نحن نتقيد بهذه الصيغة في الصلاة، ونحذف منها ونزيد عليها في غير الصلاة!

من الذي حذف الصلاة على آل النبي؟! ومن أين جاء قولهم، أو عليه وآله صحبه وسلم؟

اعترف الحافظ الحنبلي ابن حجر بأن العلماء والرواة ارتكبوا تحريف أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وحذفوا منها الصلاة على آل
النبي (تقية) من حكام بني أمية وجنودهم!

قال في سبل السلام بشرح الكحلاني: ١/١٩٢: (ودعوى النوى وغيره الإجماع على أن الصلاة على الآل مندوبة، غير مسلمة! بل نقول:
الصلاة عليه (ص) لا تتم ولا يكون العبد ممثلاً بها حتى يأتي بهذا اللفظ النبوي الذي فيه ذكر الآل، لأنه قال السائل: كيف نصلي
عليك؟ فأجابته بالكيفية أنها الصلاة عليه وعلى آله، فمن لم يأت بالآل فما صلى عليه بالكيفية التي أمر بها، فلا يكون ممثلاً للأمر، فلا

يكون مصلياً عليه(ص). وكذلك بقیة الحديث من قوله: كما صليت إلى آخره، يجب، إذ هو من الكيفية المأمور بها، ومن فرق بين ألفاظ هذه الكيفية بإيجاب بعضها وندب بعضها، فلا دليل له على ذلك.

وأما استدلال المهدي في البحر على أن الصلاة على الآل سنة، بالقياس على الأذان، فإنهم لم يذكروا معه (ص) فيه، فكلام باطل، فإنه كما قيل لا قياس مع النص، لأنه لا يذكر الآل في تشهد الأذان لا ندباً ولا وجوباً، ولأنه ليس في الأذان دعاء له (ص) بل شهادة بأنه رسول الله، والآل لم يأت بعد بالشهادة بأنهم آله. ومن هنا تعلم أن حذف لفظ الآل من الصلاة كما يقع في كتب الحديث، ليس على ما ينبغي! وكنت سئلت عنه قديماً فأجبت إنه قد صح عند أهل الحديث بلا ريب كيفية الصلاة على النبي(ص) وهم رواتها، وكانهم حذفوها خطأ تقيّةً لما كان في الدولة الأموية من يكره ذكرهم، ثم استمر عليه عمل الناس متابعاً من الآخر للأول فلا وجه له. وبسطت هذا الجواب في حواشي شرح العمدة بسطاً شافياً. انتهى.

ولم يسبق بنى أمية إلا عبدالله بن الزبير، الذي كان في خلافته يصلي الجمعة فلا يذكر النبي صلى الله عليه وآله أصلاً! وإذا ذكره لا يصلي عليه صلى الله عليه وآله! فسئل عن ذلك فقال: (إن هذا الحى من بنى هاشم إذا سمعوا ذكره أشرأبت أعناقهم، وأبغض الأشياء إليه ما يسرهم! لا يمتنعني ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها! وفي رواية أنه قال مرة: إن له أهيل سوء ينغصون رؤوسهم عند ذكره!). (راجع الصحيح من السيرة: ٢/١٥٣، عن العقد الفريد: ٤/٤١٣ ط دار الكتاب العربي، وشرح النهج: ٢٠/١٢٧، وأنساب الأشراف: ٢٨/٤ وقاموس الرجال: ٥/٤٥٢، ومقاتل الطالبين ص ٤٧٤).

من الذي وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟

الذين حذفوا الآل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله هم الذين وضعوا صحابته بدلهم! فهل عندهم حديث جَوَزَ لهم قَوْلَ الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله في الصلاة عليه، سواء في صلاة الفريضة أو خارجها؟ أم هو استدراكٌ على النبي صلى الله عليه وآله وبدعة! وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار!؟

قال الحافظ الصديق المغربي في رسالته (القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع) طبع طنجة بالمغرب ١٩٨٦، ص ١٢: (ونبه هنا على خطأ وقع من جماهير المسلمين، قلده فيه بعضهم بعضاً ولم يتفطن له إلا الشيعة، ذلك أن الناس حين يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرون معه أصحابه مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله الصحابة فقالوا: كيف نصلي عليك؟ أجابهم بقوله: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد. وفي رواية: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، ولم يأت في شيء من طرق الحديث ذكر أصحابه مع كثرة الطرق وبلوغها حد التواتر.

فذكر الصحابة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيادةً على ما علمه الشارع، واستدراكٌ عليه، وهو لا يجوز. وأيضاً فإن الصلاة حق للنبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا دخل للصحابة فيها، لكن يترضى عنهم). انتهى. وهو كلام قوي من عالم سني منصف.

وقد رد الألباني عليه في مقدمته كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٨/٣، رداً مطولاً جداً، ومما قاله: (قلت: ليس في هذا الكلام من الحق إلا قولك الأخير: إنه لا تجوز الزيادة على ما علمه الشارع.. إلخ، فهذا حق نقول به ونلتزمه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. ولكن ما بالك أنت وأخوك خالفتم ذلك، واستحبتتم زيادة كلمة (سيدنا) في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، ولم ترد في شيء من طرق الحديث؟! أليس في ذلك استدراك صريح عليه صلى الله عليه وآله وسلم، يامن يدعى تعظيمه بالتقدم بين يديه؟! أما سائر كلامك فباطل لوجوه:

الأول: أنك أنيت على الشيعة بالفطنة ونزعتهم عن البدعة، وهم فيها من الغارقين الهالكين. واتهمت أهل السنة بها وبالبلادة والغباوة، وهم والحمد لله مبرؤون منها، فحسبك قوله (ص) في أمثالك: إذا قال الرجل هلكت الناس فهو أهلكتهم. رواه مسلم.....

وتابع الألباني قائلاً: (هذا العموم المزعوم، أنت أول مخالف له! لأنه يستلزم الصلاة عليه (ص) بهذه الصلوات الإبراهيمية كلما ذكر عليه الصلاة والسلام، وما رأيتك فعلت ذلك ولو مرة واحدة في خطبة كتاب أو في حديث ذكر فيه النبي (ص)! ولا علمنا أحداً من السلف فعل ذلك والخير كله في الإتيان (!).

والسر في ذلك أن هذا العموم المدعى إنما هو خاص بالتشهد في الصلاة كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري: ١١/١٥٤، الطبعة السلفية فليراجعه من شاء، والإمام الشافعي في رسالته على ما ذكره الحافظ السخاوي في القول البديع، والرافعي، والشيرازي، والنووي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، وغيرهم كثير وكثير جداً، لا يمكن حصرهم، ما زال كل واحد منهم يصلى على النبي (ص) في خطبة كتبه ويصلى على أصحابه معه، كما أفعل أنا أحياناً اقتداءً بهم، وبخاصة أن الحافظ ابن كثير نقل في تفسيره الإجماع على جوازه (!)، ومع ذلك كله رميتني بسبب ذلك بدائكك وبدعتني! أفهؤلاء الأئمة مبتدعة عندك ويحك! أم أنت تزن بميزانين وتكيل بكيلين!؟).

ثم قال الألباني: (وهو يعلم أن النبي (ص) كان يصلى على أصحابه بمناسبات مختلفة، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل عليهم فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى. رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في الإرواء، ٨٥٣، وغيره..... ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته (ص) بل قد صح عن ابن عمر أنه كان يقول في الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/٤١٤، وسنده صحيح على شرط الشيخين. وبعد هذا كله فإنني أرجو أن يكون ظهر للقراء جميعاً من هو المبتدع!). انتهى.

هذا لب ما ذكره الألباني من كلامه الطويل الذي لم يأت فيه بدليل على جواز قرن الصحابة بالنبي في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، وغاية ما ذكره ثلاثة أدلة:

الأول: قوله: (والسر في ذلك أن هذا العموم المدعى إنما هو خاص بالتشهد في الصلاة، كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقي، فيما ذكره الحافظ في فتح الباري.. الخ). انتهى.

وقصده أنه لا عموم لصيغة الصلاة التي علمها النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين للصلاة عليه في كل حال، بل هو تعليم نبوي خاص بتشهد الصلاة، ففي غير الصلاة يجوز لك أن تحذف الصلاة على الآل، وتضع مكانهم الصحابة، ولا حرج!

لكن ما هو دليل الألباني على تخصيصها بتشهد الصلاة، وحديثها في البخاري وغيره عامٌ مطلقٌ ليس فيه حصرٌ في التشهد، قالوا: (فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...!؟)

يقول الألباني أن دليبه على تخصيصها: (أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري). انتهى.

فقد ادعى وجود أحاديث صحيحة تحصر صيغة الصلاة النبوية التعليمية للمسلمين في تشهد الصلاة، فأين هي هذه الأحاديث الصحيحة؟!.

الجواب: لا توجد أحاديث لصحيفة ولا ضعيفة! وإلا -لأ-تنبها الألباني في رده الطويل الذي أخذ أكثر من عشر صفحات، وهو متخصص في الحديث! لكنه

كما يبدو يستحل الكذب للدفاع عن الصحابة!

ثم قال الألباني: (ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري...)

يقصد أن هؤلاء العلماء الذين ليس فيهم واحد قبل القرن السادس! نبهوا على تخصيص صيغة الصلاة التعليمية النبوية بالتشهد دون غيره!

ويبدو أنها كذبة أخرى! ولو صدقناه لقلنا لهؤلاء: ما هو دليلكم على التخصيص؟ وهل هو الأحاديث الصحيحة التي وعد بها الألباني!!

الدليل الثاني: قال الألباني: (وهو يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي على أصحابه بمناسبة مختلفة، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صلّ عليهم، فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى. رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في الإرواء، ٨٥٣، وغيره....). انتهى.

والجواب: إن هذا تدليس في الإستدلال مع الأسف! لأن موضوعنا كيف يجب أن نصلي نحن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فكيف يستدل عليه بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على آل أبي أوفى؟ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف تكليفه كيف يصلي علينا وعلى غيرنا، وقد بين لنا تكليفنا نحن كيف نصلي عليه، وحدده بصيغة تعليمية توقيفية صحيحة. فهل يجوز لنا أن نقول له: كلا، نريد أن نصلي عليك كما نحب، ونضم في الصلاة عليك من نحب، ونحذف منها لا نحب! لأنك أنت تفعل ذلك!؟

الدليل الثالث: قال الألباني: (ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم) بل قد صح عن ابن عمر أنه كان يقول في الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/٤١٤، وسنده صحيح على شرط الشيخين). انتهى.

يقول الألباني بذلك لقد ثبت بأثر صحيح عن ابن عمر أنه قال لميت (اللهم بارك فيه وصل عليه) فالصلاة على المسلمين ليست من مختصات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل يجوز لأي مسلم أن يقول لمسلم آخر (اللهم صل عليه)، ونحن نقول: اللهم صل على الصحابة، فما المانع؟

والجواب: أن الألباني يعرف أن المسألة ليست جواز الصلاة على مسلم بقولنا: (اللهم صل عليه)، بل هي قرّن الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهل يجوز أن نتعدى تعليمه بالصلاة عليه، ونحذف آله من صلاتنا عليه، ونضع بدلهم الصحابة؟ فانظر كيف غيّر الموضوع أيضاً، وشطّ عنه بعيداً، وكذلك يفعلون! قرنهم الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم معضلة لآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم!

إن حذف أتباع الخلافة لآل النبي من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، ووضعهم الصحابة بدلهم أو معهم وقرنهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، معضلة لم ولن يستطيعوا حلها! بل هي ست معضلات فقهية كاملة:

- ١- هل يجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أمر النبي بالصلاة عليه؟
- ٢- هل يوجد دليل يخصص صيغة الصلاة النبوية بتشهد الصلاة؟
- ٣- هل يجوز حذف آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة عليه؟
- ٤- هل يجوز وضع الصحابة مكانهم وقرنهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟
- ٥- هل يجوز أن ننوي بصلاتنا على آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميع ذريته من فاطمة وعلى عليهما السلام وكل ذرية بنى هاشم إلى يوم القيامة، وقرنهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم من ثبت أنهم أعداء لله ورسوله، وفيهم اليوم نصارى وملحدون وقتلة وأشرار؟! فهل يمكن أن يأمرنا الله تعالى أن نصلي على هؤلاء الكفار والفجار وقرنهم بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل يجب عليهم أن يقولوا (وآله المؤمنين)؟!

٦- إذا حلينا أصل مشكلة ضم الصحابة وقرنهم بالصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهل يجوز لنا أن نعمم الصلاة عليهم جميعاً بدون تخصيص أو تقييد، لأننا بقولنا (وعلى أصحابه أجمعين) نقرن أكثر من مئة ألف شخص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء فيهم من شاركوا في محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة، وفيهم من ثبت نفاقهم بنص القرآن ونص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفيهم جماعة شهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم لن يروه بعد وفاته، وأنهم سوف ينقلبون من بعده، ويمنعون من ورود حوضه يوم القيامة ويؤمر بهم إلى النار! فهل يجب التخلص من هذا الإشكال بأن نقول: (عليه وعلى أصحابه المؤمنين، أو المرضيين)؟!

لقد أوقعوا أنفسهم في كل هذه المشكلات، لأنهم استدركوا على النبي صلى الله عليه وآله ولم يتبعوا! أما نحن فلا مشكلة عندنا، لأننا لانستحل أن نقرن نبينا في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله إلا آله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام الذين أمرنا بقرنهم به، وهم عندنا مصطلح نبوي خاص حدده النبي صلى الله عليه وآله بعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وتسعة من ذرية الحسين، آخرهم المهدي، صلوات الله عليهم.

عصموا البخارى من أجل عصمة عمر

صحيح البخارى كتابٌ في الحديث، ألفه محمد بن إسماعيل بن برد زبه، المعروف بالبخارى الخرتنكي، نسبةً إلى بلده بخارى في شرق إيران، وخرتتك قرية قرب بخارى فيها مولده وقبره، وقد ولد سنة ١٩٦ وتوفي سنة ٢٥٦. وكانت كتب الحديث قبله بالمئات، وبعده بالألوف، لكن المتوكل العباسي تنبى كتابه بتوثيق أحمد بن حنبل، وأعرض عن كتاب الموطأ الذي ألفه مالك بن أنس لجد جده المنصور! فقد ولد مالك سنة ٩٣ وتوفي سنة ١٧٩. (مقدمة كتاب الموطأ والأعلام: ٥/٢٥٧). قال ابن فرحون في الديباج المذهب ص ٢٥: (باب في ذكر الموطأ وتأليفه إياه: روى أبو مصعب أن أبا جعفر المنصور قال لمالك: ضع للناس كتاباً أحملهم عليه فكلمه مالك في ذلك فقال: ضعه فما أحد اليوم أعلم منك، فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر، وفي رواية أن المنصور قال له: يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودون كتابا وجنب فيه شائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواد ابن مسعود، واقصد أواسط الأمور وما أجمع عليه الصحابة والأئمة وفي رواية أنه قال له: يجعل هذا العلم علماً واحداً، فقال له: إن أصحاب رسول الله (ص) تفرقوا في البلاد فأفتى كل في مصره بما رأى فلاهل المدينة قول، ولأهل العراق قول تعدوا فيه طورهم. فقال: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم. وفي رواية عن مالك فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمنا، فقال أبو جعفر: نضرب عليه عامتهم بالسيف ونقطع عليه ظهورهم بالسياط!

وروى أن المهدي قال له: ضع كتاباً أحمل الأمة عليه، فقال له مالك: أما هذا الصقع فقد كفيته يعني المغرب، وأما الشام ففيه الأوزاعي، وأما أهل العراق ففيهم أهل العراق، قال عتيق الزبيدي: وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا، ولو بقي قليلاً لأسقطه كله). انتهى.

وبقي الموطأ المرجع الرسمي للدولة وعلمائها، وكان أئمة المذاهب يمدحونه بأنه أصبح كتاب بعد كتاب الله تعالى، حتى تركه المتوكل واستعاض عنه بمسودة كتاب البخارى فصار أصبح كتاب بعد كتاب الله تعالى!

قال ابن عبد البر في التمهيد: ١/٧٩: (سمعت الشافعي يقول: ما رأيت كتاباً ألف في العلم أكثر صواباً من موطأ مالك).

وقال الذهبي سير أعلام النبلاء: ٩/٢٠٥: (قال بندار: سمعت عبد الرحمن يقول: ما تعرف كتاباً في الإسلام بعد كتاب الله أصبح من موطأ مالك).

وقال السيد الميلاني في الأحاديث المقلوبة في مناقب الصحابة ص ٣٨:

(ولما أراد الرشيد الشخوص إلى العراق قال لمالك: ينبغي أن تخرج معي فإنني عزمتم أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن! (مفتاح السعادة: ٢/٦٨٧). ثم أراد هارون أن يعلق الموطأ على الكعبة! (٧ كشف الظنون: ٢/١٩٠٨). ونادى منادى

الحكومة: ألا لا يفتى الناس إلا مالك بن أنس) (وفيات الأعيان ٣/٢٨٤، مفتاح السعادة: ٢/٨٧، مرآة الجنان: ١/٣٧٥).

أما المتوكل الذي فقد كان صاحب مشروع جديد في التجسيم والنصب، يختلف عن مشروع أجداده، فقد أسس ميليشا (أصحاب الحديث) واختار لهم إماماً هو أحمد بن حنبل، ودعا إلى سامراء وأكرمه وعقد له مجالس، وكان لا يعين قاضى القضاء إلا بموافقة، ففي تاريخ بغداد ٣/١٤٧: (أمر المتوكل بمسائلة أحمد بن حنبل عن يتقلد القضاء).

وفى تاريخ بغداد: ٢/٤٢٦: (بعث المتوكل إلى أحمد بن حنبل يسأله عن ابن الثلجى ويحيى بن أكرم فى ولاية القضاء، فقال أما بن الثلجى فلا). انتهى.

وكان البخارى على صلة دائمة بأحمد، وقد ألف كتابه بتوجيهه، وعرضه عليه فارتضاه، وفى مقدمة فتح البارى ص ٤٩١: (لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرض مسودته على ابن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة). انتهى.

وطلب ابن حنبل من البخارى أن يسكن فى بغداد فاعتذر له، لكنه ندم بعد ذلك! ففى تاريخ بغداد: ٢/٢٢: (سمعت محمد بن إسماعيل البخارى يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لى فى آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله ترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟! قال أبو عبد الله: فأنا الآن أذكر قوله). انتهى.

مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكملة جماعة المتوكل

وقد اعترف بذلك ابن حجر فى مقدمة الفتح ص ٦، قال: (حدثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملى قال: انتسخت كتاب البخارى من أصله الذى كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربرى، فرأيت فيه أشياء لم تتم، وأشياء مبيضة منها تراجم (عناوين) لم يثبت بعدها شيئاً، ومنها أحاديث (أى عناوين أحاديث) لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض!

قال أبو الوليد الباجى: ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبى إسحاق المستملى ورواية أبى محمد السرخسى ورواية أبى الهيثم الكشمهينى ورواية أبى زيد المروزى، مختلفه بالتقديم والتأخير، مع أنهم انتسخوا من أصل واحد! وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان فى طره أو رقعة مضافة، أنه من موضع ما، فأضافه إليه! ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين (عنوانين) وأكثر من ذلك متصله ليس بينها أحاديث). انتهى.

ومع ذلك فقد تبنته السلطة وألزمته به الطلبة والناس، وأنستهم موطأ مالك!

السر فى تبنيهم كتاب البخارى

كتاب البخارى واحد من مئات الكتب المشابهة التى ألقت قبله، وألوف الكتب التى ألقت بعده، وليس فيه سر سوى أنه مفصل على مزاج المتوكل! فمن أراد أن يعرف البخارى فيعرف المتوكل، فى نصبه لأهل البيت عليهم السلام وكرهه لعلى عليه السلام خاصة، وقتله أئمة أهل البيت عليهم السلام واضطهاده لشيعتهم، ومنعه الناس من زيارة قبر الحسين عليه السلام ثم هدمه القبر الشريف! (راجع كتابنا: جواهر التاريخ).

يوازى ذلك تقديسه لأبى بكر وعمر إلى حد العصمة! وقد رأيت أن أهم أحاديث عصمة عمر رواها البخارى، ومنها: (والذى نفسى بيده مالفيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك غير فجك). (البخارى: ٤/٩٦، و ١٩٩ و ٧/٩٣)!

هل أن تبني البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟

يسأل بعضهم: لماذا لا يقوم مجموعة من العلماء المشهورين بجمع الأحاديث الصحيحة فى مدرسة أهل البيت ويصححونها، وتخرج فى كتب ونقول للعامه هذا صحيحنا وبه حاجونا؟

وقد أجبت عليه: بأن هذا سؤال يسأله أهل البساطة العلمية، فإن من مشاكل المذاهب السنية أنها أقفلت على نفسها باب الإجتهد فى الحديث، واعتمدت على اجتهاد البخارى قبل ألف ومئتي سنة، وفرضته على الناس فى كل العصور!

أما نحن، فمنهجنا علمى منطقي، نعتبر كل ما روى عن النبى وآله صلوات الله عليهم، مواد يجب أن تخضع للبحث العلمى، والإجتهد

فيها مفتوح في كل العصور، والذي يصحح ويضعف هو المرجع بالنسبة إلى مقلديه وأهل الإختصاص الموثوق بهم. فأى النهجين أصح؟

وهل إذا قام عالم في عصرنا فألف كتاباً جمع فيه الصحيح برأيه، يجب عليك وعلى كل الناس تقليده، وعلى الأجيال الآتية؟! كلا، فتصحيحه حجة على نفسه وعلى من يقلده فقط، ولا بد أن يكون في المسلمين في كل عصر مجتهدون وخبراء، يبحثون كل الثروة العلمية التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ويجتهدون في التصحيح والتضعيف، ويفتون المسلمين بنتيجة آرائهم فيقلدهم المسلمون بصفتهم أهل خبرة في الشريعة وأحاديث السنة الشريفة. وبذلك فقط نضمن براءة ذمة المسلمين، وعدم جمودهم على تصحيح عالم من مئات السنين، لم يطلع على ما اطلع عليه العلماء المتأخرون.

نظرية إجماع العوام بيد السلطة و رجال الدين

قال التفتازاني في شرح المقاصد: ٥/٣١٠: (فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد. قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى في أدعيتهم، ويجرى في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد في الاعتقاد). انتهى. فقد أجموهم على حد تعبير التفتازاني عن الكلام على يزيد! لكنهم لم يقفوا في شد لجامهم عند قصور بنى أمية فقط، بل عن أمور كثيرة، نذكر منها هنا:

الجماع العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم

فقد شهد أهل بدر وبيعة الرضوان بأن رضا الله تعالى عنهم ليس مطلقاً، بل هو مشروطٌ بشروط، منها أن لا يحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وينحرفوا! فقد روى البخاري: ٥/٦٦، عن المسيب أنه قال للبراء بن عازب: (طوبى لك، صحبت النبي (ص) وبايعته تحت الشجرة. فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده!) لكنهم لم يقبلوا هذه الشهادة، وقالوا لهم: كلا، إن رضا الله عنكم مطلق وشامل، وأنتم من أهل الجنة، فاعملوا ما شئتم!!

الجماع العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية

ففي مسند أبي يعلى: ٩/١٧٦: (عن عبدالله بن مسعود أنه تعمد الكذب من أجل أن يأخذ ناقة! قال: ما كذبت مذ أسلمت إلا كذبة! كنت أرحل رسول الله (ص) فأتى رجل من الطائف فقال: أي راحلة أعجب إلى رسول الله (ص) فقلت الطائفية المنكبة، قال ورسول الله (ص) يكرهها! قال: فلما رحلها فأتى بها قال: من رحل لنا هذه؟ قالوا رحل لك الذي أتيت به من الطائف، قال: ردوا الراحلة إلى ابن مسعود). (ورواه ابن أبي الدنيا في آداب اللسان/٢٥٣، والطبراني في المعجم الكبير: ١٠/١٧٤، وأبو نعيم الأصفهاني في مسند أبي حنيفة/٢٣٥ و٢٥٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٤/٣١١)

الجماع العوام عن قبول شهادة النبي لقاتل عمار بالنار

فقد رووا بأسانيد صحيحة أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وقال: قاتل عمار وسالبه في النار! وقد قتله في صفين (الصحابي) أبو الغادية يسار بن سبع، وهو ممن بايع بيعة الشجرة أو الرضوان! ففي مجمع الزوائد: ٩/٢٩٧: عن النبي صلى الله عليه وآله (قاتل عمار وسالبه في النار. رواه الطبراني... ورجاله رجال الصحيح).

وفى مستدرك الحاكم: ٣/٣٨٧: (أن رجلين أتيا عمرو بن العاص يختصمان في دم عمار بن ياسر وسلبه، فقال عمرو خلياً عنه، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: اللهم أولعت قريش بعمار، إن قاتل عمار وسالبه في النار). انتهى.

وفى طبقات ابن سعد: ٣/٢٦٠، عن كلثوم بن جبر قال: (كنت بواسط القصب، عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، فقلت الإذن هذا أبو غادية الجهني، فقال عبد الأعلى: أدخلوه، فدخل عليه مقطعات له، فإذا رجل طوال ضرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال بايعت رسول الله (ص) يوم العقبة فقال: يا أيها الناس ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ فقلنا: نعم، فقال: اللهم اشهد، ثم قال ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض!

قال: ثم أتبع ذا فقال: إنا كنا نعد عمار بن ياسر فينا حناناً، فبينما أنا في مسجد قباء إذ هو يقول ألا إن نعثلاً هذا لعثمان، فألتفت فلو أجد عليه أعواناً لو طأته حتى أقتله، قال: قلت اللهم إنك إن تشأ تمكني من عمار، فلما كان يوم صفين أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجل عورة فطعنه في ركبته بالرمح، فعرث فأنكشف المغفر عنه فضربته، فإذا رأس عمار ندر!

قال: فلم أر رجلاً أبين ضلالةً عندي منه! إنه سمع من النبي عليه السلام ما سمع ثم قتل عماراً!!

قال: واستسقى أبو غادية فأتى بماء في زجاج فأبى أن يشرب فيها، فأتى بماء في قدح فشرب، فقال رجل على رأس الأمير قائم بالنبطية: أوى يد كفتا! يتورع عن الشراب في زجاج (إناء مفضض)، ولم يتورع عن قتل عمار!! (قال عنه في مجمع الزوائد: ٧/٢٤٣، رجاله رجال الصحيح).

وفى تاريخ دمشق: ٤٣/٤٧٦: (وقال عليّ حين قتل عمار: إن امرأً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر ويدخل عليه المصيبة الموجهة، لغير رشيد! رحم الله عماراً يوم أسلم، ورحم الله عماراً يوم قتل، ورحم الله عماراً يوم يبعث حياً، لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة إلا كان رابعاً، ولا خمسة إلا كان خامساً، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن، ولا اثنين، فهنيئاً لعمار بالجنة). انتهى.

ابن حنبل يقول: صحابي في النار

تقدم حديث (قاتل عمار وسالبه في النار)، وأن رجاله رجال الصحيح، وفي مقابله تجد في مسند أحمد: ٤/٧٦ عنواناً: (بقية حديث أبي الغادية رضي الله تعالى عنه)!!

لكن أحمد احتاط فرجح أن يروى عنه ولا يسمى! (العلل لأحمد: ٢/٦٠٢)

أما ابن حبان فعده في الثقات! (٣/٣٨١ ونحوه في: ٣/٤٤٨). لكن الذهبي تعجب في ميزان الاعتدال: ١/٤٨٨، فقال: (عن أبي الغادية: سمعت رسول الله (ص) يقول: قاتل عمار في النار. وهذا شيء عجيب، فإن عماراً قتله أبو الغادية!) انتهى.

ونحوه في لسان الميزان لابن حجر: ٢/٢٠٤.

ونقل عنه في تعجيل المنفعة ص ٥٠٩ أنه كان يتبجح بقتله عماراً، قال: (كان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول قاتل عمار بالباب، يتبجح)!!

أما ابن تيمية فحاول أن يشكك في قتله لعمار، قال في منهاجه: ٧/٥٦: (وذكر ابن حزم أن عمار بن ياسر قتله أبو الغادية، وأن أبا الغادية هذا من السابقين ممن بايع تحت الشجرة، وأولئك جميعهم قد ثبت في الصحيحين أنه لا يدخل النار منهم أحد! ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر عن النبي (ص) أنه قال: لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)!!

لكنه شهد في نفس منهاجه: ٦/٢٠٤، بأنه قاتل عمار، لكن شكك في أنه من أهل بيعة الرضوان! قال: (بل نشهد أن العشرة في الجنة، وأن أهل بيعة الرضوان في الجنة، وأن أهل بدر في الجنة، كما ثبت الخبر بذلك عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن

هو إلا وحى يوحى. وقد دخل فى الفتنة خلق من هؤلاء المشهود لهم بالجنة، والذي قتل عمار بن ياسر هو أبو الغادية وقد قيل إنه من أهل بيعة الرضوان ذكر ذلك ابن حزم، فنحن نشهد لعمار بالجنة، ولقاتله إن كان من أهل بيعة الرضوان بالجنة!! راجع أيضاً: ٦/٣٣٤!
ثم عاد فى كتابه رأس الحسين عليه السلام ص ٢٠٤ وشكك فى قتله لعثمان، قال: ولهذا كان الكلام فى السابقين الأولين ومن شهد له بالجنة، كعثمان وعلى وطلحة والزبير ونحوهم: له حكم آخر، بل ومن هو دون هؤلاء، مثل أكابر أهل الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى (ص) أنه قال: (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة). فهؤلاء ونحوهم فيما شجر بينهم: إما أن يكون عمل أحدهم سعيًا مشكوراً، أو ذنباً مغفوراً، أو اجتهاداً قد عفى لصاحبه عن الخطأ فيه، فلهذا كان من أصول أهل العلم أنه لا يمكن أحدٌ من الكلام فى هؤلاء بكلام يقدر فى عدالتهم وديانتهم، بل يُعلم أنهم عدول مرضيون، رضى الله عنهم وأرضاهم، لا سيما والمنقول عنهم من العظائم كذبٌ مفترى). انتهى.

ولا بد أن يكون من هذه العظائم المفتراة أن أبا لغادية قتل عماراً!

أما عبد الرحمن بن عديس البلوى الذى قتل عثمان، وهو من أهل بيعة الشجرة، فالأمر فيه يختلف! وهم يتمنون أن يحكموا عليه بأنه من أهل النار، لكن بشرط أن لا ينكسر سياج أهل الشجرة لأبى بكر وعمر! فهل من طريق؟!!

الجمام العوام عن قبول شهادة ثقة و أمين أسرار ه

إذا اختلف شخصان فيما بينهما، أو اختلفنا فى قبول شهادتهما، ترانا نبحت عن شخص متفق عليه من الطرفين أو من الأطراف، يرضى به الجميع ويشهدون بصدقه ووثاقته، فنعتبره حكماً عادلاً، ونقبل شهادته أو حكمه.

والصحابه فيهم مجمع عليه وفيهم مختلف فيه. ومن المجمع عليهم حذيفة بن اليمان ثقة رسول الله صلى الله عليه وآله وموضع سره. فلماذا لا يقبلون شهادته القاصعة التى رواها البخارى؟! ولماذا لا يقارنونها بحديثهم (خير الناس قرنى)؟!!

قال حذيفة، كما فى البخارى: ٨/١٠٠: (إن المنافقين اليوم شرُّ منهم على عهد النبى (ص)! كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون! إنما كان النفاق على عهد النبى (ص) فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان!!). انتهى.

فمن هم الذين كانوا يجهرون بالنفاق فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان، إلا - طلقاء قريش؟ وما هو النفاق الذى كانوا يجهرون به إلا التشكيك برسول الله صلى الله عليه وآله والكذب عليه والطعن بعترته؟ ومن كان يحميهم إلا السلطة؟!!

قال الذهبى فى السير: ٢/٣٦١: (حذيفة بن اليمان. من نجباء أصحاب محمد (ص)، وهو صاحب السر... حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين...)

ولى حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقى عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفى بعد عثمان بأربعين ليلة... وحذيفة هو الذى ندبه رسول الله (ص) ليلة الأحزاب ليحس له خبر العدو، وعلى يده فتح الدينور عنوة. ومناقبه تطول، رضى الله عنه... خالد عن أبى قلابه عن حذيفة قال: إنى لأشترى دينى ببعضه ببعض مخافة أن يذهب كله.... ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشترى بعض دينه ببعض. قالوا: وأنت؟ قال: وأنا والله!). انتهى.

فمن الذى كان يستعمل سياسة الإرهاب والقمع والإضطهاد مع المسلمين إلا السلطة القرشية المعادية لأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله؟

ومن كان يحمى المنافقين المجاهرين بنفاقهم ضد الإسلام ونبيه إلا السلطة ومسلحوها، وجمهورها من طلقاء قريش، الذين ملؤوا المدينة وسيطروا على الدولة؟ وهل يعقل أن يقول النبى صلى الله عليه وآله عن هؤلاء إنهم خير القرون؟!!

روى مسلم: ١/٧١: (كنا جلوساً مع حذيفة فى المسجد فجاء رجل حتى جلس الينا، فقيل لحذيفة إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة: إرادة أن يسمعه: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يدخل الجنة قتات)، وفى رواية أخرى (ينقل الحديث إلى الأمير) وفى

البخارى: ٧/٨٦: (يرفع الحديث إلى عثمان)!

فهل يكون هؤلاء خير القرون يارهابهم واضطهادهم أبرار الصحابة؟!

وفى الطبرانى الكبير: ٣/٢٨٠: (عن أبى مالك الأشعري أنه قال لقومه: إجتمعوا أصلى بكم صلاة رسول الله (ص) فاجتمعوا فقال: هل فيكم أحد؟ فقالوا لا، إلا بن أخت لنا! قال فذلك من القوم، فدعا بجفنة فيها ماء فتوضأ وهم شهود، فمضمض واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم صلى بنا الظهر فكبر فيها ثلاثين وعشرين تكبيرة، يكبر إذا سجد وإذا رفع رأسه... الخ.) انتهى.

وفى البخارى: ١/١٣٤، عن الزهرى قال: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى! فقلت له ما يبكيك؟ فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت!!). انتهى.

فهل يكون هؤلاء خير القرون، وقد انقلبوا على أعقابهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وغيروا كل شىء، حتى الوضوء والصلاة؟! قال المفيد فى الإفصاح ص ٥٣: (وفى قول أنس بن مالك: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فأضاء منها كل شىء، فلما مات عليه السلام أظلم منها كل شىء، وما نفضنا عن النبى صلى الله عليه وآله الأيدي ونحن فى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا شاهد عدل على القوم بما بيناه). انتهى.

وفى فتح البارى: ٨/١١٤: (قال أبو سعيد فيما أخرجه البزار بسند جيد: وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا). وفى تحفة الأحوذى: ١٠/٦٢: (قال التوربشتى يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة!!)

الجم العوام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبى

فى صحيح مسلم: ٨/١٢٣: قال رجل لحذيفة (أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم أخبره إذ سألك! قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله ان اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد). انتهى.

فمن هؤلاء الذين كانوا مستعجلين على الخلافة واستطالوا عمر النبى صلى الله عليه وآله فتآمروا لقتله فى عودته من تبوك، وصعدوا إلى أعلى العقبة ليلاً وألقوا الصخور على ناقته ليقتلوه، فنجاه الله منهم، ولم يستطع النبى صلى الله عليه وآله أن يعلن أسماءهم ويعاقبهم خوفاً من حدوث حركة ردة عن الإسلام! فهل هؤلاء خير القرون؟!

الجم العوام لتغطية اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبيهم

وهل خير القرون أولئك الذين عرض عليهم نبيهم صلى الله عليه وآله وهو على فراش مرضه ما لم يعرضه نبى على أمته قط، أن يكتب لهم عهداً إن عملوا به لا يضلوا إلى يوم القيامة، ويكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة! فرفضوه بقله أدب وقالوا إن نبيكم يهجر! وهددوه بالردة، فسكت صلى الله عليه وآله على ألم وطردهم من بيته؟!

وهل خير القرون أولئك الذين تركوا جنازة نبيهم صلى الله عليه وآله بين يدي أهل بيته، وعدوا إلى السقيفة ليبيعوا أحدهم خلسة، ثم عادوا مسلحين لا يعزوا أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله بل ليهددوهم بأن يبيعوا لصاحبهم، أو يحرقوا عليهم دارهم؟!

الجم العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا

وكيف يكون أهل عصر النبوة أو قرين خاصه خير القرون وقد صدر حكم الله تعالى على أكثرهم بأنهم حق عليهم القول، وبأنهم لن يؤمنوا وإن أظهروا الإيمان، فقال عنهم: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وقال: لَيُنذِرَ

مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ. (يس: ٧ و ٧٠) فهل نقض الله تعالى في المدينة ما أنزله في مكة؟! فقله تعالى: لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ، يشمل أهل مكة، وأهل الجزيرة الذين بلغتهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله وإنذاره في حياته. وقوله تعالى: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. إخبار منه وهو العليم بهم بأن أكثريتهم من أهل جهنم، وأنهم لن يؤمنوا واقعاً، وإن آمنوا ظاهراً، طمعاً أو خوفاً. وقد فسر المقصود بالقول الذي حق عليهم بقوله تعالى: قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ. لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (صاد ٨٤-٨٥)

وهل يستطيع المسلم الذي يؤمن بالقرآن ويقول صدق الله العظيم إلا أن يعتقد بأن أكثر أهل مكة وقريش كانوا كفاراً عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله ولم يؤمنوا!!

قال ابن الجوزي في زاد المسير: ٦/٢٤٣: (لقد حق القول، فيه قولان: أحدهما وجب العذاب، والثاني سبق القول بكفرهم. قوله تعالى: "أكثرهم، يعني أهل مكة، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم. لا يؤمنون، لما سبق من القدر بذلك). انتهى. وأخيراً، كيف يكونون خير القرون وقد حكم عليهم الله تعالى بأنهم فراعنة وجنود للفراعنة فقال لنبيه صلى الله عليه وآله: وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا. وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا. يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلًا. إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا. فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً. (المزمل ١٠-١٦).

وقد تحقق إخباره سبحانه، فلم يكن مع النبي صلى الله عليه وآله من قريش في مهجره إلا قلة قليلة جداً! وفي بعضهم كلام! وعندما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة ملكهم عبيداً، ولم يعتقدهم بل أطلقهم إطلاقاً، وسماهم الطلقاء! فكيف صاروا بمجرد وفاته صحابة عدولاً، وكيف يجعل الله فيهم خلافة نبيه صلى الله عليه وآله ويأمر المسلمين أن يطيعوا قريشاً مدى الدهر، لأنهم خير القرون؟ حاشا لله!

من أساليبهم في إجماع العوام

تبيع الحقائق و حلف الإيمان

قال ابن حزم في الأحكام: ٢/٢٠٣: (وأما قدامه بن مظعون، وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة، وأبو بكره، رضوان الله عليهم، فأفاضل أئمة عدول.

أما قدامه فبدرى مغفور له بيقين، مرضى عنه، وكل من تيقنا أن الله عز وجل رضى عنه وأسقط عنه الملامه ففرض علينا أن نرضى عنه وأن لا نعدد عليه شيئاً، فهو عدل بضرورة البرهان القائم على عدالته من عند الله عز وجل وعندنا، وبقوله عليه السلام إن الله اطلع على أهل بدر فقال لهم إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وأما المغيرة بن شعبة، فمن أهل بيعة الرضوان، وقد أخبر عليه السلام ألا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، فالقول فيه كالقول في قدامه.

وأما سمرة بن جندب فأحدي، وشهد المشاهد بعد أحد وهلم جراً، والأمر فيه كالأمر في المغيرة بن شعبة.

وأما أبو بكره، فيحتمل أن يكون شبه عليه، وقد قال ذلك المغيرة، فلا ياثم هو ولا المغيرة، وبهذا نقول: وكل ما احتمل ولم يكن ظاهره يقيناً غير منقول عن متيقن حاله بالامس، فهما على ما ثبت من عدالتهما، ولا يسقط اليقين بالشك وهذا هو استصحاب الحال الذي أباه خصومنا، وهم راجعون إليه في هذا المكان بالصغر منهم! فما منهم أحد امتنع من الرواية عن المغيرة وأبى بكره معاً، وأبو بكره وهو متأول، وأما سمرة فمتأول أيضاً، والمتأول مأجور وإن كان مخطئاً، وكذلك قدامه تأول أن لا جناح عليه وصدق لا جناح عليه عند الله تعالى في الآخرة بلا شك، وأما في أحكام الدنيا فلا، ولنا في الدنيا أحكام غير أحكام الآخرة. وكذلك كل من قاتل علياً

رضوان الله عليه يوم صفين.

وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال على رضوان الله عليه، ولا قصد على رضوان الله عليه قتالهم، وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر في قتلة عثمان رضوان الله عليه، وإقامة حق الله تعالى فيهم، فأسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم - وكانوا أعداداً عظيمة يقربون من الألوف - فأتاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم، إذ رأوا السيف قد خالطهم وقد جاء ذلك نصاً مروياً....

وليس عندنا من أمرهم إلا أنهم فيما بدا لنا مسلمون فاضلون، يلزمننا توقيهم والاستغفار لهم، إلا أننا لا نقطع لهم بالجنة ولا بمغيب عقودهم، ولا برضى الله عز وجل عنهم، لكن نرجو لهم ذلك ونخاف عليهم كسائر أفاضل المسلمين ولا فرق. ثم لا نجيز ذلك لعلى وأم المؤمنين وطلحة والزبير وعمار وهشام بن حكيم ومعاوية وعمرو والنعمان وسمره وأبي الغادية وغيرهم، وهم أئمة الإسلام حقاً والمقطوع على فضلهم وعلى أكثرهم بأنهم في الجنة، وهذا لا يخيل إلا على مخدول.

وكل من ذكرنا من مصيب أو مخطئ فمأجور على اجتهاده، إما أجرين، وإما أجراً، وكل ذلك غير مسقط عدالتهم. وبالله تعالى التوفيق).

وقال في المحلى: ٩/٤٩: (إن من البرهان الواضح على كذب هذا الخبر ووضعه وانه لا يمكن أن يكون حقاً أصلاً ما فيه مما نسب إلى أم المؤمنين من أنها قالت: أبلغى زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله (ص) إن لم يتب. وزيد لم يفته مع رسول الله (ص) إلا غزوتان فقط بدر وأحد فقط، وشهد معه عليه السلام سائر غزواته، وأنفق قبل الفتح وقاتل وشهد ببيعة الرضوان تحت الشجرة بالحديبية ونزل فيه القرآن وشهد الله تعالى له بالصدق وبالجنة على لسان رسوله عليه السلام انه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، ونص القرآن بأن الله تعالى قد رضى عنه وعن أصحابه الذين بايعوا تحت الشجرة. فوالله ما يبطل هذا كله ذنب من الذنوب غير الردة عن الإسلام فقط وقد أعاده الله تعالى منها برضاه عنه وأعاد أم المؤمنين من أن تقول هذا الباطل)

تعليم العوام إنكار الحقائق نهارة جهارا

قال ابن كثير في النهاية: ٦/٢١١: (ثبت أيضاً الأخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقيل وخمسمائة، ولم ينقل أن أحداً من هؤلاء رضى الله عنه عاش إلا حميداً، ولا مات إلا على السداد والاستقامة والتوفيق، والله الحمد والمنة. وهذا من أعلام النبوات، ودلالات الرسالة). انتهى.

الجمام أطفال المسلمين بتربيتهم على عصمة عمر

قال ابن حبان في صحيحه: ١٥/٣١٧: (ذكر الخبر الدال على أن عمر بن الخطاب (رض) كان من المحدثين في هذه الأمة.... عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) قد كان يكون في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر بن الخطاب!

ذكر إجراء الله الحق على قلب عمر بن الخطاب (رض) ولسانه:

عن ابن عمر أن النبي (ص) قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وقال ابن عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال عمر بن الخطاب، إلا نزل القرآن على نحو مما قال عمر!

ذكر بعض ما أنزل الله جل وعلا من الآي وفاقاً لما يقوله عمر بن الخطاب (رض):

عن حميد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث....

ذكر الخبر الدال على أن ناحية بعد أبي بكر كان عمر...

ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب أول ما تنشق عنه الأرض بعد أبي بكر الصديق...

ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب كان أحب الناس إلى رسول الله بعد أبي بكر...

ذكر إثبات الرشد للمسلمين في طاعة أبي بكر وعمر...

ذكر أمر المصطفى المسلمين بالاعتداء بأبي بكر وعمر بعده...

ذكر شهادة المصطفى للصديق والفاروق بكل شيء كان يقوله (ص)...

ذكر البيان بأن الصديق والفاروق يكونان في الجنة سيدي كهول الأمم فيها...

ذكر رضا المصطفى عن عمر بن الخطاب في صحبته إياه... انتهى.

وليس ابن حبان إلا نموذجاً لجميع مصادرهم في الحديث! فقد عقدوا لهذه الأحاديث أبواباً متعددة متنوعة، في الصحاح، والسنن، والمسانيد! وعلموا الناس حفظها ونشرها، وترديدها في زيارة قبر عمر، كما في إعانة الطالبين: ٢/٣٥٧: (فيسلم على سيدنا عمر (رض) ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ياسيدنا عمر بن الخطاب، يا ناطقاً بالحق والصواب، السلام عليك يا حليف المحراب. السلام عليك يا من بدين الله أمر، يا من قال في حقك سيد البشر (ص): لو كان بعدى نبياً لكان عمر. السلام عليك يا شديد المحاماة في دين الله والغيره، يا من قال في حقك هذا النبي الكريم (ص): ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غيره...). إلخ.

قال السيد المرتضى قدس سره في كتابه الشافي في الإمامة: ٣/١٢٩، وهو يفند الأحاديث القرشية الموضوعه في فضائل أبي بكر وعمر: (وأما ما رواه من قوله صلى الله عليه وآله: إن الحق ينطق على لسان عمر، فهو مقتض إن كان صحيحاً عصمه عمر والقطع على أن أقواله كلها حجة! وليس هذا مذهب أحد في عمر، لأنه لا خلاف في أنه ليس بمعصوم وأن خلافه سائغ! وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول، ويشهد على نفسه بالخطأ، ويخالف في الشيء ثم يعود إلى قول من خالفه، فيوافق عليه، ويقول (لولا على لهلك عمر) و (لولا معاذ لهلك عمر)؟!)

وكيف لم يحتج بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات التي احتاج إلى الإحتجاج فيها؟! وكيف لم يقل أبو بكر لطلحة لما قال له: ما تقول لربك إذ ولت علينا فظاً غليظاً! أقول له: ولئيت من شهد الرسول بأن الحق ينطق على لسانه! وليس لأحد أن يدعى في الإمتناع من الإحتجاج بذلك سبباً مانعاً كما ندعيه في ترك أمير المؤمنين عليه السلام الإحتجاج بذلك بالنص، لأننا قد بينا فيما تقدم أن لتركه عليه السلام ذلك سبباً ظاهراً، وهو تأمر القوم عليه وانسباط أيديهم، وأن الخوف والتقية واجبان ممن له السلطان، ولا تقية على عمر وأبي بكر من أحد، لأن السلطان كان فيهما ولهما، والتقية منهما لا عليهما!

على أن هذا الخبر لو كان صحيحاً في سنده ومعناه، لوجب على من ادعى أنه يوجب الإمامة (يقصد القاضي عبد الجبار الهمداني صاحب المغنى، وقد ألف الشافي رداً عليه)، أن يبين كيفية إيجابه لذلك، ولا يقتصر على الدعوى المحضه، وعلى أن يقول: إذا جاز أن يدعى في كذا وكذا أنه يوجب الإمامة، جاز في هذا الخبر، لأننا لما ادعينا في الأخبار التي ذكرناها ذلك، لم تقتصر على محض الدعوى، بل بينا كيفية دلالة ما تعلقنا به على الإمامة، وقد كان يجب عليه إذا عارضنا بأخباره أن يفعل مثل ذلك). انتهى.

وقال الأميني في الغدير: ٦/٣٣١: (هناك أحاديث موضوعه تذكر في فضائل عمر لانتتم مع شيء مما ذكرناه بأسانيد الوثيقة (في علم عمر) وكل من ذلك يفندها منها ما يعزى إليه صلى الله عليه وآله من قوله: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر.

ورواية: لو لم أبعث لبعثت يا عمر.

ورواية: لو كان نبي بعدى لكان عمر بن الخطاب.

ورواية: قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر.

ورواية: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وراية: أن الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه.

ومنها ما روه عن علي أمير المؤمنين عليه السلام من قول: كنا نتحدث إن ملكاً ينطق على لسان عمر. وقوله: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

ومنها ما يروى عن أعظم الصحابة مثل ما يعزى إلى ابن مسعود من قوله: لو وضع علم عمر في كفه وعلم أهل الأرض في كفه لرجح علم عمر.

وأمثال هذه من الأكاذيب، فإن من يكون بتلك المثابة حتى يكاد أن يبعث نبياً لا يفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه، أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أمته بها، ولا يتعلم مثله سورة من القرآن في اثنتي عشرة سنة!

وأين كان الحق والملك والسكينة، يوم كان لا يهتدى إلى أمهات المسائل سبيلاً فلا تسدده، ولا تفرغ الجواب على لسانه، ولا تضع الحق في قلبه!

وكيف يسع المسدد بذلك كله أن يحسب كل الناس أفاقه منه حتى ربات الحجال؟! وكيف كان يأخذ علم الكتاب والسنة من نساء الأمة وغوغاء الناس فضلاً عن رجالها وأعلامها؟

وكيف كان يرى عرفان لفظه مفسرة بالقرآن تكلفاً ويقول: هذا لعمر الله هو التكلف، ما عليك يا بن أم عمر أن لا تدري ما الأب؟! وكيف كان يأخذ عن أولئك الجم الغفير من الصحابة ويستفتيهم في الأحكام.

وكيف كان يعتذر عن جهله أوضح ما يكون من السنة بقوله: ألهانني عنه الصنفق بالأسواق.

وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلاله وقيمتها، ولم يتمكن من تعلم صور ميراث الجد، وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول: ما أراه يعلمها، وما أراه يقيمتها. ويقول: إني أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك؟! وكيف كان مثل أبي بن كعب يغلظ له في القول ويراه لاهياً عن علم الكتاب بالصفق بالأسواق وبيع الخيط والقرظة؟

وكيف كان يراه أمير المؤمنين عليه السلام جاهلاً بتأويل القرآن الكريم.

وكيف وكيف، إلى مائة كيف؟! نعم راق القوم أن ينحتوا له فضائل ويغالوا فيها ولم يترووا في لوازمها). انتهى.

وقال المفيد رحمه الله في الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٠: (فلو سلمنا لك دعواك لمن ادعت الفضل لهم على ما

تمنيت لم يمنع مما ذكرناه، لأنه لا يوجب لهم العصمة من الضلال، ولا يرفع عنهم جواز الغلط والسهو والنسيان، ولا يحيل منهم تعمد العناد. وقد رأيت ما صنع شركاؤهم في الصحبة والهجرة والسبق إلى الإسلام حين رجع الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام باختيار

الجمهور منهم والاجتماع، فنكث بيعته طلحة والزبير، وقد كانا بايعاه على الطوع والإيثار وطلحة نظير أبي بكر، والزبير أجل منهما على كل حال، وفارقه سعد بن أبي وقاص وهو أقدم إسلاماً من أبي بكر، وأشرف منه في النسب، وأكرم منه في الحسب، وأحسن آثاراً من

الثلاثة في الجهاد! وتبعه على فراقه وخذلانه محمد بن مسلمة، وهو من رؤساء الأنصار، واقتفى آثارهم في ذلك وزاد عليها بإظهار سبه والبراءة منه حسان!! فلو كانت الصحبة مانعة من الضلال لمنعت من ذكرناه ومعاوية ابن أبي سفيان وأبا موسى الأشعري، وله من

الصحبة والسبق ما لا يجهل وقد علمتم عداوتهم لأمر المؤمنين عليه السلام وإظهارهم البراءة منه، والقنوت عليه، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأميره على أبي بكر وعمر وعثمان.

ولو كانت الصحبة أيضاً مانعة من الخطأ في الدين والآثام..... ولكانت صحبة السامري لموسى بن عمران عليهما السلام وعظم محله منه ومنزلته، تمنعه من الضلال باتخاذ العجل والشرك بالله عز وجل، ولاستحال أيضاً على أصحاب موسى نبي الله عليه السلام وهم ستمائة

ألف إنسان وقد شاهدوا الآيات والمعجزات وعرفوا الحجج والبيانات أن يجتمعوا على خلاف نبيهم وهو حي بين أظهرهم، ويباينوا خليفته وهو يدعوهم ويعظهم ويحذرهم من الخلاف وينذرهم، فلا يصغون إلى شيء من قوله، ويعكفون على عبادة العجل من دون الله عز وجل.

عز وجل.

ولكان أيضاً أصحاب عيسى عليه السلام معصومين من الردة، ولم يكونوا كذلك، بل فارقوا أمره وغيروا شرعه، وادعوا عليه أنه كان يأمرهم بعبادته، واتخاذها إلهاً مع الله تعالى تعمداً للكفر والضلال، وإقداماً على العناد من غير شبهة ولا سهو ولا نسيان). انتهى.

الجم العوام باستخدام وسائل الإعلام

لو نظرنا في حجم ما يقوم به في عصرنا الذين يسميهم ابن حبان (المعتنين بأمر الدين)، لتركيز قداسة أبي بكر وعمر في نفوس المسلمين، لرأينا العجب!!
من مناهج التربية المدرسية والجامعية، إلى برامج الراديو والتلفزيون، إلى خطب المساجد ودروسها، إلى الكتب والكتيبات والأشرطة، إلى صفحات النت ومواقعها المتنوعة.. ومنها بإسم الصحابة لكن المقصود به أبو بكر وعمر!
والمطلوب فيها كلها غرس الاعتقاد بفضائل أبي بكر وعمر إلى حد العصمة والغلو، وغرس الاعتقاد بأن من لم يعتقد بذلك فهو عدو للإسلام ونبه وقرآنه!

وفي مقابله لاتكاد تجد شيئاً عن أهل البيت، وحتى عن بقية الصحابة!
والمطلوب أن يكبر الطفل المسلم وعنده تقديس خاص لعمر وأبي بكر لا يصل اليه تقديس آخر، وحساسيه خاصة تجاههما بحيث تستنفر وسائل دفاعه لأقل ما يحتمل أنه يمس بهما، أكثر مما يستنفر لرسول الله صلى الله عليه وآله!
وبهذا يتجاوز المعتنون بأمر (الدين) قضية إجماع العوام عن المساس بأبي بكر وعمر، إلى تعبتهم للحرب من أجلهما، ومن أجل كل ما يتعلق بهما!

وليس في كلامنا هذا مبالغه، إذ يكفي أن تجرب مع هؤلاء المعبين أن تبحث في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وأخطائه الكثيرة، فتراهم يشاركونك في البحث! حتى إذا طرحت ما يحتمل أنه خطأ لعمر، انصب عليك جام غضبهم بلا هوادة!

العصمة والمعصومون في القرآن

المعصومون ثمرة الوجود البشري

يتصور البعض أن القرآن لا يرى عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، لأنه يتحدث عن (معصية) آدم عليه السلام ويذكر (مؤاخذات) على بعض الأنبياء عليهم السلام كطلب نوح عليه السلام من ربه أن ينجى ابنه مع أنه كان كافراً، وما يبدو من تحيير إبراهيم عليه السلام في ربه هل هو النجوم أو القمر أو الشمس، ومن قتل موسى للقبطى، وغضبه على أخيه هارون عليهما السلام. ونحو ذلك من (ذنوب الأنبياء) التي أكثر اليهود فيها الكلام والإتهام وتمسك بها المخالفون لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فحصرُوا عصمة الأنبياء عليهم السلام في التبليغ فقط، ونفوها في الأمور الشخصية والعامة، بل نسبوا اليهم أخطاء ومعاصي فظيعة حتى في التبليغ كما تقدم!

لكنَّ النظرة الفاحصة ترينا أن العصمة والمعصومين في القرآن ظاهرة بارزة من أول مشروع خلق آدم عليهم السلام وذريته، وقد وردت في القرآن ببضعه عشر عنواناً:

فالمعصومون هم النخبة الذين من أجلهم كان مشروع إسكان آدم في الأرض، وبهم ستصل الحياة الإجتماعية إلى هدفها الرباني الحكيم الذي لم يعرفه الملائكة: قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وهم الذين تحدى الله تعالى عدوه إبليس أن يؤثر عليهم فقال له: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.

وهم العباد المكرمون عنده الذين: لَا يَشْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

وهم الذين يخصهم بالإطلاع على غيبه، ويحيطهم برصد لحفظ الغيب ضمن خطه المقرر، كما قال تعالى: **عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا.** وهم الذين يورثهم الكتاب عبر الأجيال: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.** وهم الذين وعد أن يغلب بهم: **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.** ووعد أن تتجلى هذه الغلبة بعد خاتم رسله وأنبياؤه صلى الله عليه وآله: **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.** وهم الذين سيورثهم الأرض بعد عهود الجابرة: **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.**

وهم عباد الرحمن الخاصون الذين خصهم بصفات وافيه من سورة الفرقان.

وهم الذين أعطاهم عنده عهداً فلن يخلفه: **قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ... إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ بِبِقِيْنٍ عَنِ نَجَاحِ الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ فِي آدَمَ وَذَرِيَّتِهِ. وَلَيْسَ نَجَاحُهُ إِلَّا بِهَوْلَاءِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الَّذِينَ هُمْ لِبُ هَذَا الْمَشْرُوعِ وَضْمَانُهُ، وَهَدَفُهُ الْأَسْمَى!**

آيات العصمة في القرآن

في القرآن الكريم طوائف من الآيات تتحدث عن نخبة من البشرية، وتصفهم بصفات تدل على عصمتهم، وهذه أهمها:

آيات الإستخلاف

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً. قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟** قَالَ: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ.** وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ **أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.** قَالُوا: **سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.** قَالَ: **يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ! فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ).** (البقرة: ۳۰-۳۳)

لا يكون خليفة الله في الأرض إلا معصوما

قالت أحاديث أهل البيت عليهم السلام إن المستخلف في الآية هو بعض المعصومين وهم آدم عليه السلام وبعض الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وليس كل نوع الإنسان. وذهب أغلب المفسرين السنة المتأخرين وتبعهم بعض مفسري الشيعة، إلى أن المستخلف في الآية نوع الإنسان، وأكثرها في توجيه ذلك بلا طائل.

والصحيح أن هذا الجعل الإلهي مختص بآدم والمعصومين من ذريته عليهم السلام، لأنه جعل تشريعي لولاية من الله على الأرض وأناسها، وإعطاؤها لغير المعصوم يستوجب نفى الحكمة عن الله ونسبة الظلم إليه، سبحانه وتعالى! ذلك أن قوله تعالى للملائكة: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً،** ليس إخباراً عن مجرد إسكان آدم وذريته في الأرض، بل عن جعل خلفاء لله منهم.

وعندما تسأل الملائكة كيف تصلح ذرية آدم للخلافه مع أنهم سيفسدون ويسفكون الدماء؟ خطأهم الله تعالى لأنهم حكموا على جميع ذرية آدم، وجميع مدتهم على الأرض! وأخبرهم سبحانه أن مشروع استخلافهم لا يضر به ما تفعله ذرية آدم من إفساد وسفك الدماء أي حين! وأن آدم والمستخلفين من ذريته عليهم السلام أفضل من الملائكة فهم يصلحون ولا يفسدون، وأثبت الله لهم ذلك

فعلم آدم عليه السلام ما لا يعلمونه، وأراهم سيرة خلفائه من ذرية آدم عليهم السلام، فاعترف الملائكة واستغفروا!

نعم، يصح القول إن الإنسان خليفة الله في الأرض، باعتبار أن خلفاء الله الشرعيين من نوعه، لكنه لا يعنى شمول الخلافة لغير المعصومين عليهم السلام بحال. وذلك كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا) (المائدة: ٢٠) فعبر بجعلهم ملوكاً بالعموم، لأنهم منهم.

ولا نطيل في ذكر أقوال المفسرين في المسألة ومناقشتها، فإن أحداً منهم لم يأت بدليل من الآية أو خارجها على أن هذه الخلافة تشمل كل ذرية آدم عليه السلام، اللهم إلا الإستحسانات والظنون، وهي لا تنهض دليلاً!

ولعل القائلين بعموم الخلافة لكل بنى آدم غفلوا عن أن الجاعل لها هو العالم الحكيم المطلق عز وجل، وأن أحداً لا يعطى هذا المقام الخطير للمفسدين ولا للعاديين فكيف بالله تعالى! وإذا انتفت خلافة المفسدين بالفعل أو بالقوة، لم يبق إلا المعصومون عليهم السلام، وهذا مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ولعله اختلط عليهم هذا الإستخلاف التشريعي بالإستخلاف التكويني بمعنى أن الله جعل الإنسان أجيالاً يخلف بعضها بعضاً، كما قال نبي الله هود عليه السلام لقومه: (وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنِّي بَعِيدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادُكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِيطَةً فَأَذُكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). (الأعراف: ٦٩)، فهذا إستخلاف لكن ليس فيه ولاية ولا مقام، بل امتن الله عليهم بخلقهم بعد قوم نوح وتوريثهم حضارتهم، رغم كفرهم.

لأجل ما تقدم فإن مقام خليفة الله لم يثبت في القرآن إلا لآدم وداود عليهما السلام: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ. (سورة ص: ٢٦).

أما قوله تعالى: أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، (النمل: ٦٢) وقوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ يَسِّرَ تَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (النور: ٥٥)، فهو وعد إلهي بإستخلاف المعصومين وختامهم الإمام المهدي عليه السلام، خليفة الله الموعود، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً!

في الكافي: ١/١٩٣، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه). وعن الإمام الصادق عليه السلام، في قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، قال: هم الأئمة).

أما في السنة فتثبت إسم خليفة الله لنبينا وآله صلى الله عليه وآله، وربما لكبار الأنبياء عليهم السلام. ففي من لا يحضره الفقيه: ٢/٦١١، في رواية الزيارة الجامعة: (ورضيتكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريته).

وفي خصائص الأئمة للشيخ الرضا رحمه الله ص ١٠٥: في حديث كميل بن زياد رحمه الله في وصف الأئمة عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (اللهم بلى، لا- تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خافياً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته.... أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه). انتهى.

أما الزيدية فقد توسعوا في إعطاء لقب خليفة الله لكل من اجتمعت فيه شروط الإمامة عندهم فكان فقيهاً من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام وقام بالسيف. (الأحكام: ٢/٥٠٥)

تكريم بنى آدم لا يعنى إستخلافهم لأنه تكريم تكويني واقتضائي

استدل بعضهم على عموم الإستخلاف في الأرض بآية تكريم بنى آدم، وهي قوله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً. يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ فِيئِلًا. (الإسراء: ٧٠-٧١).

لكن لا علاقة لهذا التكريم بالإستخلاف، لأنه أعم منه محمولاً وموضوعاً، فهو يشمل المؤمن والكافر، كما قال الله تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَرَّ ابْتِلَاءَهُ رَبُّهُ فَأَكَرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَرَّ ابْتِلَاءَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا- يَلُ لا- تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. (الفجر: ١٥-١٧). فالإكرام هنا دنيوي يشمل حتى الكفار والفجار والطغاة، ولا يصح القول إنهم مكرمون، فهم خلفاء الله في أرضه! والمقصود بالتكريم التكويني خلق الإنسان في أحسن تقويم، ومنحه قدرات وظروفاً تمكنه من التكامل ونيل التكريم الحقيقي إن أراد، كما قال تعالى عن مؤمن آل ياسين: قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ. (يس: ٢٦-٢٧). فوصل بتكريمه التكويني إلى تكريمه الحقيقي.

وأخيراً، فإن جعل التقوى ميزاناً للكرامة والتكريم، في قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ. (الحجرات: ١٣) يؤكد أن ماتحقق لكل بني آدم في قوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ، تَكْرِيماً عَامًّا بنعم الله التي وسعت الكافر والمؤمن، أما الإستخلاف فهو تكريم خاص ومنصب عباد خاصين لا يثبت إلا- بدليل، قال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِئِدًا سُبْحَانَهُ يَلُ عِبَادًا مُكْرَمِينَ لا يُشِيبُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. (الأنبياء: ٢٦-٢٧).

خلفاء الله في الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاماً

من الواضح أن خليفة الله في أرضه وحجته على عباده، ليس بالضرورة أن يكون حاكماً، فأكثر أنبياء الله وأوصيائهم عليهم السلام كانوا محكومين مضطهدين، ولم ينقص ذلك من مقامهم العظيم وخلافتهم عن الله تعالى في أرضه. وهذا معنى ما روه ورويناه من أن الخلفاء الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وآله لا يضرهم تكذيب من كذبهم. فقد روى الكافي: ١/٥٢٩، وكمال الدين ص ٢٩٩، واللفظ له: (عن أبي الطفيل قال: شهدت جنازة أبي بكر يوم مات، وشهدت عمر حين بويع وعلّي جالس ناحية، إذ أقبل عليه غلام يهودي عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون، حتى قام على رأس عمر فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلم هذه الأمة بكتابهم وأمر نبيهم؟ قال: فطأ عمر رأسه، فقال: إياك أعني وأعاد عليه القول! فقال له عمر: ما شأنك؟ فقال: إني جئتك مرتاداً لنفسى شاكاً في ديني، فقال: دونك هذا الشاب قال: ومن هذا الشاب؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله، وهو أبو الحسن والحسين ابني رسول الله، وهذا زوج فاطمة ابنة رسول الله. فأقبل اليهودي على علي فقال: أكذلك أنت؟ قال: نعم، فقال اليهودي: إني أريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة..... إلى أن قال: أخبرني عن محمد كم بعده من إمام عدل وفي أي جنة يكون، ومن الساكن معه في جنته؟ فقال: يا هاروني إن لمحمد صلى الله عليه وآله من الخلفاء اثنا عشر إماماً عدلاً، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ولا- يستوحشون بخلاف من خالفهم، وإنهم أرسب في الدين من الجبال الرواسي في الأرض. ومسكن محمد صلى الله عليه وآله في جنة عدن معه أولئك الإثنا عشر الأئمة العدل. فقال: صدقت والله الذي لا إله إلا هو إني لأجدها في كتاب أبي هارون كتبه بيده). انتهى.

وفي معجم الطبراني الكبير: ٢/١٩٦، و٢١٣ و٢١٤، و٢٥٦، والأوسط: ٣/ ٢٠١، ومجمع الزوائد: ٥/١٩١: (عن جابر بن سمره عن النبي (ص) قال: يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً، لا يضرهم من خذلهم). انتهى.

وقد روى بعضهم زيادة في حديث الأئمة الإثني عشر (كلهم تجتمع عليه الأمة) وأراد حصر تطبيقه بالحكام، وأنه لا يشمل من أهل البيت إلا علياً عليه السلام، لكن الألباني رد هذه الزيادة في سلسلته برقم ٣٧٦، وقال عنها إنها منكورة!

وقد بحثنا في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال- مسأله ١٦٢) لقب خليفة الله تعالى وخليفة النبي صلى الله عليه وآله، واستغلال القرشيين له وأعطاه لحكامهم! وأن أبا بكر استكثر على نفسه لقب خليفة الله فنهاهم عنه (ابن أبي شيبه في المصنف: ٨/٥٧٢، وصححه في الزوائد: ٥/١٨٤ عن أحمد. وكذلك عمر: شرح النهج: ١٢/٩٤)

بينما سمي معاوية نفسه (خليفة الله) فاعترض عليه صعصعة بن صوحان رحمه الله!

(مروج الذهب للمسعودي: ٣/٥٢) ثم تهادى حكام بني أمية في استغلا لقب خليفة الله لأنفسهم، ففضلوا الحاكم الأموي بذلك على نبينا صلى الله عليه وآله بحجة أن خليفة المرأ خير من رسوله في حاجته! (الصحيح السيرة: ١/٢٩)

ونقل النووي في الأذكار ص ٣٦٠، عن البغوي أنه قال: (ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم وداود عليهما الصلاة والسلام).

ونقل عنه الشرييني في معنى المحتاج: ٤/١٣٢، قوله: (ولا- يجوز تسميته بخليفة الله تعالى، لأنه إنما يستخلف من يغيب ويموت، والله تعالى منزه عن ذلك). انتهى.

ودليل البغوي ضعيف، والدليل الصحيح: أن خليفة الله وخليفة الرسول منصب يحتاج إلى نص من الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله، وإلا كان ادعاءً وافتراءً.

والنتيجة: أن نظام الإستخلاف في الأرض ومقام الخلافة الذى نصت عليه الآية يدل على أن من ثبت له هذا المنصب، فقد ثبت له العصمة.

وقد اتضح أن توسيع إسم (خليفة الله) لكل بني آدم، إنما قال به بعض المتأخرين تأثراً بفكر بعض المتصوفة، أو بفكر الغربيين الذى يؤكد على أصالة الإنسان إلى حد تأليهه! فجعلوا التكريم بمعنى الإستخلاف وعمومه لكل إنسان! وأن معاوية أول من ابتدع تعميمه للحاكم أى حاكم! بحجة أن الله أعطاه الحكم فيكون استخلفه فى أرضه!

تعليم آدم الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى

فى آية استخلاف آدم عليه السلام بحوث مهمة تتعلق بموضوعنا، فقد أوضحت أن ملاك خلافة الله تعالى والأفضلية على الملائكة هو العلم الإلهى الذى يعطيه لخليفته، ودرجة العبودية التى يوفقه لها.

فالإنسان رغم أن فيه قابلية الإفساد وسفك الدماء، فيه إيجابيات وقابليات عظيمة لم يعرفها الملائكة، هى التى أوجبت جعله خليفة فى الأرض، وهى تغلب فى مصلحتها على إفساد المفسدين منه! وأنها ستتحقق فى المعصومين عليهم السلام ويتحقق على يدهم إقامة دولة العدل الإلهى فى الأرض، التى لا إفساد فيها ولا سفك دماء، والتى تمتد حتى يرث الله الأرض ومن عليها!

وقد أثبت عز وجل للملائكة أن آدم عليه السلام يستطيع أن يتلقى من العلم الإلهى فيصل إلى درجة أعلى من الملائكة، وأن خلفاء الله من ذريته سيكونون أهلاً للتلقى والطاعة بأفضل من الملائكة!

لقد علم الله آدم أسماء خلفائه من ذريته وبين له مقامهم، ثم عرض سيرتهم على الملائكة، وامتحانهم فى معرفة (أسماء هؤلاء) العظماء فلم يعرفوهم، وعرفهم آدم عليه السلام فأخبرهم بهم، فافتتح الملائكة وقالوا: (سُبْحَانَكَ لا- عِلْمَ لَنَا إلا- مَا عَلَّمْتَنَا، إنك أنت العليم الحكيم).

وقد أكثر المفسرون فى بحث الأسماء التى علمها الله لآدم عليه السلام، ثم فى معنى (عرضهم) على الملائكة، لكنهم ذهبوا بها بعيداً مع أنها لابد أن تكون معلومات عن مستقبل أبناء آدم عليه السلام فى الأرض، لتكون جواباً مقنعاً للملائكة الذين تصوروا أن كل حياة الإنسان على الأرض إفساد وسفك للدماء!

لذلك لانجد تفسيراً معقولاً لها، إلا أن الله علم آدم عليه السلام علماً استطاع به أن يرى مستقبل ذريته فى الأرض، ويرى أن مرحلة السماح بالإفساد وسفك الدماء فى الأرض ستنتهى، ثم تبدأ مرحلة دولة العدل الإلهى على يد خلفاء الله من عتره خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله، وتمتد إلى آخر حياة الإنسان!

فهذا هو الجواب الوحيد الذى يقنع الملائكة بجداره آدم للخلافة، وجداره الخلفاء من أبنائه، وانهم لا- يفسدون فى الأرض ولا يفسكون الدماء، بل سيصلحونها ويعمرونها، صلوات الله عليهم!

فيكون معنى قوله تعالى: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ.. أنه عرض عليهم شريطاً لسيرة شخصيات ربانية أعظم مقاماً من الملائكة، فتعجبوا

لهم ولم يعرفوهم، فأخبرهم آدم عليه السلام بأنهم من ذريته، وأنهم ديرون بخلافه الله في الأرض! وبهذا المعنى فقط تصح الشرطية في قوله تعالى: فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ أَنْ كُنْتُمْ مَصِيْبِينَ فِي قَوْلِكَ إِنَّهُمْ سِيفْسُدُونَ!

وقد يسأل: هل إن صور ما يكون محفوظة عند الله تعالى، ليعلمها لمخلوق قبل أن تكون؟ والجواب: أن هذا من بدائه عقيدتنا في الغيب والنبى وآله صلى الله عليه وآله، وأحاديثه عندنا صحيحة مستفيضة بل متواترة، وأن الله تعالى علم نبيه صلى الله عليه وآله علم ما يكون إلى يوم القيامة، فعلمه لعلى والأئمة من عترته عليهم السلام. قد يقال: روى أن الله تعالى علم آدم أسماء الأشياء، مما تحتاجه حياته على الأرض مثل إسم الماء والهواء والشجر والحيوان والجبال؟ والجواب: أن هذا لو صح لا يكون جواباً على إشكال الملائكة، إذ لا تلازم بين معرفة أسماء الأشياء، وعدم الإفساد وسفك الدماء! ثم لو صح أن يكون جواباً لاستخلاف آدم عليه السلام، فلا يصح جواباً لاستخلاف ذريته، فإن الملائكة أخبروا عن إفساد ذريته وليس عن إفساده هو! فهم بحاجة إلى جواب يثبت عدم إفساد الذرية، أو وجود مصلحة في استخلافهم تغلب ما يقع من إفساد بعضهم، وليس ذلك إلا مرحلة حكم خلفاء الله في أرضه عليهم السلام.

وبذلك يتضح قوة ما ورد في مصادرنا في تفسير الآية الكريمة، كالذى في تفسير فرات الكوفى ص ٥٦ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى كان ولا شىء، فخلق خمسة من نور جلاله، وجعل لكل واحد منهم إسماً من أسمائه المنزلة، فهو الحميد وسمى النبى محمداً، وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين علياً، وله الأسماء الحسنى فاشتق منها حسناً وحسيناً، وهو فاطر فاشتق لفاطمه من أسمائه إسماً، فلما خلقهم جعلهم فى الميثاق فإنهم عن يمين العرش، وخلق الملائكة من نور، فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسييح فذلك قوله: وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون فلما خلق الله تعالى آدم نظر إليهم عن يمين العرش فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتى وخاصتى، خلقتهم من نور جلالى وشققت لهم إسماً من أسمائى، قال: يا رب فبحقك عليهم علمنى أسماءهم، قال: يا آدم فهم عندك أمانة سر من سرى، لا يطلع عليه غيرك إلا بإذنى، قال: نعم يا رب، قال: يا آدم أعطنى على ذلك العهد فأخذ عليه العهد، ثم علمه أسماءهم، ثم عرضهم على الملائكة ولم يكن علمهم بأسمائهم فقال: أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم.. علمت الملائكة أنه مستودع وأنه مفضل بالعلم، وأمروا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلاً له وعبادة لله). انتهى. (والبحار: ٣٧/٤٢)

آيات الإصطفاء الإلهى

الإصطفاء الإلهى، والإستخلاص، والإجتباء، والإختيار، أو صاف قرآنية، وصف الله تعالى بها نخبه عباده. والمتحصل من كلمات اللغويين أن أعلاها درجة الإصطفاء، لأنه اختيار الصفو بذاته من البشرية، ويليه الإستخلاص وهو تخلص الشىء من الشوائب واختياره، ويليه الإختيار وهو انتخاب الشىء الأفضل من غيره.

قال الراغب فى المفردات ص ١٥٤: (الخالص كالصافى إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافى قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلصته فخلص... وقوله تعالى: فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا، أى انفردوا خالصين عن غيرهم.... فإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، قال تعالى: مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... فحقيقه الإخلاص التبرى عن كل ما دون الله تعالى). انتهى.

وقال فى ص ٢٨٣: (أصل الصفاء خلوص الشىء من الشوب، ومنه وذلك إسم لموضع مخصوص، والاصطفاء تناول صفو الشىء كما أن الإختيار تناول خيره والإجتباء تناول جبايته. واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود فى غيره،

وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول، قال تعالى: الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس - إن الله اصطفى آدم ونوحاً - اصطفاك وطهرك واصطفاك - اصطفتك على الناس - وإنهم عندنا لمن المصطفين الإختيار).

واصطفيت كذا على كذا أى اخترت (أصطفى البنات على البنين - وسلام على عباده الذين اصطفى. ثم أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. والصفى والصفية ما يصطفيه الرئيس لنفسه....

والصفوان كالصفا الواحدة صفوانه، قال: صَفْوَانٌ عَلَيْهِ تُرَابٌ، ويقال يوم صفوان، صافى الشمس، شديد البرد). انتهى.

وقال فى ص ١٦٠: (الخير ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشئ النافع، وضده الشر... فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.... وقوله: وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خياراً، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم). انتهى.

أقول: لاشك أن الإستخلاف الإلهى درجة أعلى من الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، لكن التفاضل بين هذه الثلاثة لا دليل عليه من اللغة أو استعمالات القرآن والسنة، بل المصطفون هم المستخلصون وهم المختارون.

واستعمالات القرآن ليست لبيان درجاتها، بل لبيان أنواع فاعلياته تعالى فى الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، المتناسبة مع أبعاد شخصية الإنسان ومجمعه.

فالإصطفاء، وهو أخذ الصفو، يتناسب مع جوهر نفوسهم الصافية، ويشير إلى كدورة أنفس البشر الإخرين.

والإستخلاص، يتناسب مع جهادهم لتصفية نياتهم وأعمالهم وتخليصها مما هو لغير الله تعالى، حتى صاروا مخلصين، فاستخلصهم الله وجعلهم مخلصين بالفتح. بينما بقى غيرهم فى شوائب الشرك العقدى، وشوائب العملية.

والإختيار، يتناسب مع انتخاب الله تعالى لخير البشر وصفوتهم ومخلصيهم، فى مقابل من اختاره البشر، أو مقابل من لم يستحق اختيار الله تعالى.

ولهذا ورد تفسير آيات هذه الصفات بالنبي وآله الأطهار صلى الله عليه وآله، كما ورد وصفهم بها فى أحاديث عديدة.

فقد ورد وصفهم بخلفاء الله تعالى، وبالمصطفين، كما فى الزيارة الجامعة:

(ورضيكم خلفاء فى أرضه، وحججاً على بريته....

وأشهد أنكم الأئمة الراشدون، المهديون المعصومون، المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون.... اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لدينه، واختاركم لسره، واجتباكم بقدرته).

وفى المقنعة ص ٣٢: (وأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأوليائه، وخاصة أصفياء الله...). وفى فقه

الرضا/١٢٨: (اللهم صل على محمد وآل محمد المصطفين، بأفضل صلواتك..)

وفى علل الشرائع: ١/١٨: (عن زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النسل من آدم كيف كان وعن بدء النسل عن ذرية آدم

فإن أناساً عندنا يقولون إن الله عز وجل أوحى إلى آدم يزوج بناته ببنيه، وإن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والإخوات! فقال أبو عبد

الله عليه السلام: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، يقول من قال هذا بأن الله عز وجل خلق صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين

والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، من حرام؟! ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر

الطاهر الطيب!!). (ورواه فى الفقيه: ٣/٣٨١).

كما ورد وصفهم بالمخلصين بفتح اللام وكسره، فى الزيارة الجامعة: (السلام على الدعاء إلى الله، والأدلاء على مرضات الله،

والمستقرين فى أمر الله، والتامين فى محبة الله، والمخلصين فى توحيد الله). (من لا يحضره الفقيه: ٢/٦١٠).

وفى من لا يحضره الفقيه: ١/٥١٣: (وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادك المخلصون).

وورد وصفهم بالمختارين: ففي الزيادة الجامعة: (اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لدينه، واختاركم لسره، واجتباكم بقدرته.... السلام على الأئمة الدعاء، والقادة الهداء، والسادة الولاء، والذادة الحماة، وأهل الذكر وأولى الأمر، وبقية الله وخيرته...).

وفي الكافي: ١/١٩٩، في حديث الإمام الرضا عليه السلام عن الإمامة: (إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأنًا وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلوة مرتبةً ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: إني جاعلك للناس إماماً فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: "ومن ذريتي؟ قال الله تبارك وتعالى: لا ينال عهدي الظالمين." فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمهم الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين لم تنزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فكانت له خاصة فقلدها علياً).

وليس غرضنا هنا شرح هذه الصفات العظيمة وبيان الفروق بينها، وفيها بحوث مفصلة، بل الغرض أن كلاً من الإصطفاء والإستخلاف والإختيار، يستلزم العصمة كالإستخلاف، لأن أياً منها لا يتم إلا لخيرة البشر المطيعين لربهم عز وجل، الورعين عن محارمه ومعاصيه. ولأن من اصطفاه الله واستخلصه واختاره، يمدّه بالحماية والعناية والألطف، التي تعنى عصمته عن المعاصي، بل وما فوق العصمة العادية.

لذلك نكتفي بإيراد آيات هذه الصفات، وبعض الأحاديث الموضحة المؤكدة لدلالاتها على العصمة.

آيات الإصطفاء الإلهي

نص القرآن على أن الله تعالى اصطفي عدداً من عباده من الأمم الماضية، ومن هذه الأمة، منهم أشخاص ومنهم أسر، وهو كالإستخلاف يدل على عصمة المصطفين صلوات الله عليهم. وهذه عناوين آيات الإصطفاء:

قانون الإصطفاء الإلهي لمهمات وأدوار

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. (الحج: ٧٥-٧٦)

ابتداء الإصطفاء الإلهي من آدم عليه السلام

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (آل عمران: ٣٣-٣٤)

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. (آل عمران: ٤٢)

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. (البقرة: ١٣٠)

وَإِذْ ذُكِرَ عَبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِرَ الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضِيِّطِينَ

الإختيار. وَإِذْ ذُكِرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْإِخْتَارِ. (ص: ٤٥-٤٨)

اصطفاء موسى عليه السلام مشروع مستقل

قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (الأعراف: ١٤٤).

اصطفاء طالوت ملكاً

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا إِنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ.

(البقرة: ٢٤٧-٢٤٨)

المصطفون عليهم السلام أهل السلام والأمن الإلهي

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ. (النمل: ٥٩)

اصطفاء الإسلام ديناً

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ. (البقرة: ١٣١-١٣٢)

معنى الإصطفاء وأنواعه

غرض الإصطفاء: نصّ قوله تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) على أن الإصطفاء يكون لمهمة عظيمة كحمل الرسالة الإلهية، فهو عمل إلهي يكشف عن مقام لغرض اجتماعي في الدنيا: (وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا).

وقد يكون هدفه أن يكون أصحابه قدوة للأجيال فيتبعوا ملتهم وسيرتهم، كما في إبراهيم عليه السلام وذريته: (وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ). (البقرة: ١٣٠)

أنواع الإصطفاء: فمنه اصطفاء عام على العالمين كاصطفاء آدم ونوح، والأسر المصطفاه من آل إبراهيم عليهم السلام: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ). (آل عمران: ٣٣)

ومنه اصطفاء لموجودين أو لآتين، علم الله ما سيعملون فاصطفاهم قبل ولادتهم: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). (آل عمران: ٣٣-٣٤)

ومنه اصطفاء على أناس معينين كاصطفاء طالوت للملك على بني إسرائيل: (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ). ومنه اصطفاء بمنصب أو ميزة: (يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي)، أو بالتطهير المناسب للشخص: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ)

ومنه اصطفاء لشخص على أهل عصره: (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ).

والإصطفاء لا يكون إلا باستحقاق:

ففي علل الشرائع: ١/٥٦، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أتدرى لما اصطفيتك لكلامي دون خلقي؟ فقال موسى: لا، يا رب، فقال: يا موسى إني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي منك نفساً. يا موسى انك إذا صليت وضعت خديك على التراب).

وعن الصادق عليه السلام قال: (وكان موسى عليه السلام إذا صلى لم يفتل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر). انتهى.

أما الذين اصطفاهم الله تعالى قبل أن يولدوا (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ)، فقد علم الله ما هم عاملون فاصطفاهم قبل ولادتهم. على أنه قد امتحن جميع الخلق في نشأة سابقة قبل نشأتهم في الدنيا، ففي الكافي: ٢/١٠: (عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأى شئ سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أول من آمن بربى وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألاست بربكم؟ فكنت أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل). انتهى.

تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين

قال الله تعالى: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِيَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ أَنْ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَمَسٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ. (فاطر: ٣١-٣٦).

الآية من مشابهاة القرآن

فما معنى توريث القرآن للمصطفين؟ ومن هم؟ وما معنى التقسيم بعدها إلى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات، فهل يمكن أن يكون الظالم من المصطفين الذين أورشهم الله الكتاب؟ وهل يدخل الجميع الجنة بمن فيهم الظالمون؟! والموقف الشرعي والعلمي عندما يواجه الباحث المتشابه، أن يرده إلى المحكم، وأن يرد الجميع إلى أهل البيت عليهم السلام الذين قرنهم النبي صلى الله عليه وآله بالقرآن فقال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)، فأوجب بذلك أخذ القرآن وتفسيره منهم. لكن هل يفعل ذلك مفسرو قريش؟ كلا! بل يتبعون ما تشابه منه، ويهيمنون في كل واد! فقد كثرت احتمالاتهم واتسع تحيرهم وتخطبهم في هذه الآيات، حتى وصل إلى بعض مفسري الشيعة!

وأصل الموضوع عندهم أن عمر وكعب الأبحار قالوا: إن الله ورث القرآن للأمة كلها بمن فيها الظالمون، وكلهم في الجنة! فتبعهما أكثر المفسرين، وحاولوا جعل تفسيرهما مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله! وقارب آخرون وبعادوا، وحاولوا ترقيع ما يستلزمه هذا التفسير من مشكلات عقديّة!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٥١: (وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في البعث، عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية: ثم أورشنا الكتاب... قال: ألا إن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له!!

وفي تفسير النحاس: ٥/٤٥٨: (وقال كعب: هذه الأمة على ثلاث فرق، كلها في الجنة، ثم تلا: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. إلى قوله: جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، فقال: دخلوها ورب الكعبة!) انتهى. (ونحوه تفسير ابن كثير: ٣/٥٦٤)

وفي تفسير الطبري: ٢٢/١٦٠، عن كعب: (قال: كلهم في الجنة، وتلا هذه الآية: جنات عدن يدخلونها). انتهى.

وفي تفسير عبد الرزاق: ٣/١٣٦: (عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال: قرأ هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ حَتَّىٰ بَلَغَ: جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا... فقال كعب: دخلوها ورب الكعبة!) (ورواه في تفسير الثوري ص ٢٤٦)

وروا ذلك عن عمر وكعب بطرق عديدة، وعن عثمان وعائشة أيضاً، كما في تفسير ابن كثير: ٣/٥٦٤، عن عثمان قال: (هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد). وقال ابن كثير في تفسيره: ٢/٧٩: (والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم يدخلون الجنة).

وفي المعجم الأوسط للطبراني: ٦/١٦٧: (عن عقبه بن صهبان قال قلت لعائشة: رأيت قول الله جل ذكره: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... الآية؟ قالت: أما السابق فقد مضى في حياة رسول الله (ص) وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بمثل أعمالهم حتى يلحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلث ومثلثك ومن اتبعنا. قالت وكلهم في الجنة). (والحاكم: ٢/٤٢٦، وصححه)

القرطبي يرفض التفسير الرسمي

وقال القرطبي في تفسيره: ١٤/٣٤٦: (هذه الآية مشككة، لأنه قال جل وعز: اصطفينا من عبادنا ثم قال: فمنهم ظالم لنفسه! وقد تكلم العلماء فيها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم!! قال النحاس: فمن أصح ما روى في ذلك ما روى عن ابن عباس: فمنهم ظالم لنفسه، قال: الكافر، رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس أيضاً. وعن ابن عباس أيضاً: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد

ومنهم سابق بالخيرات قال: نجت فرقتان، ويكون التقدير في العريضة: فمنهم من عبدنا ظالم لنفسه، أى كافر. وقال الحسن: أى فاسق. ويكون الضمير الذى فى يدخلونها، يعود على المقتصد والسابق، لا على الظالم....

وقيل: الضمير فى يدخلونها يعود على الثلاثة الأصناف لى ألا يكون الظالم ها هنا كافراً ولا فاسقاً. وممن روى عنه هذا القول عمر، وعثمان، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وعقبه بن عمرو، وعائشة، والتقدير على هذا القول: أن يكون الظالم لنفسه الذى عمل الصغائر.... قال النحاس: وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر، والمقتصد الذى لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته، فيكون: جنات عدن يدخلونها للذين سبقوا بالخيرات لا غير. وهذا قول جماعة من أهل النظر، لأن الضمير فى حقيقة النظر لما يليه أولى. قلت: القول الوسط (أنه يعود على المقتصد والسابق) أولاً وأصحها إن شاء الله، لأن الكافر والمنافق لم يصطفوا بحمد الله، ولا اصطفى دينهم. وهذا قول ستة من الصحابة، وحسبك. وسنزيده بياناً وإيضاحاً فى باقى الآيه). انتهى.

وأهم ما عمله القرطبي أنه ذكر التفسير الرسمى بصيغته: (قيل) وحاول تخفيف وقعه بتضييق دخول الظالمين الجنة! فهو من المفسرين القلائل الذين لم يدخل فى قلبهم تفسير عمر وكعب، بل اختار أن آية: جنات عدن يدخلونها... تختص بالسابقين والمقتصدين ولا تشمل الظالمين!

لكنك تجد قول عمر وكعب صار عندهم حديثاً نبوياً! فقالوا إن عمر قال: (سمعت رسول الله (ص) يقول: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه... الآية) انتهى. (الدر المنثور: ٥/٢٥١، عن العقيلي وابن لآل وابن مردويه والبيهقي، وأضاف كثر العمال: ٢/٤٨٥ عن الديلمي).

وقال الرازى فى تفسيره: ٢٦/٢٤: (اتفق أكثر المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن، وعلى هذا فالذين اصطفينا هم الذين أخذوا بالكتاب وهم المؤمنون، والظالم والمقتصد والسابق، كلهم منهم. ويدل عليه قوله تعالى: جنات عدن يدخلونها، أخبر بدخولهم الجنة، وكلمة: ثم أورثنا، أيضاً تدل عليه لأن الإيراث إذا كان بعد الإيحاء ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث. والإيراث المراد منه الأعتاء بعد ذهاب من كان بيده المعطى.... ويصحح هذا قول عمر عن النبى (ص): ظالمنا مغفور له). انتهى.

وهكذا صار التفسير الذى وضع أساسه عمر وكعب الأحبار، الرأى الرسمى لأجيال مفسرى الدولة، اتبعه أكثرهم على تحيّر، ومال عنه بعضهم على وجل! ولكنه كان سداً إمام تفسير أهل البيت عليه السلام!

تفسير أهل البيت

نورد فيما يلى نماذج من أحاديثنا المتواترة فى أن أهل البيت عليهم السلام هم ورثة القرآن، وأنهم الذين عندهم علم الكتاب، دون غيرهم!

ففى شرح الأخبار: ٣/٤٧٢: (قال أبو جعفر محمد بن على صلى الله عليه وآله: ما يقول من قبلكم فى هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَاتٌ عِدْنٍ يُدْخَلُونَهَا...؟ قال قلت: يقولون نزلت فى أهل القبلة. قال: كلهم؟ قلت: كلهم. قال: فينبغى أن يكونوا قد غفر لهم كلهم. قلت: يا ابن رسول الله فى من نزلت؟ قال: فينا. قلت: فما لشيعتكم؟ قال: لمن اتقى وأصلح منهم الجنة، بنا يغفر الله ذنوبهم وبنا يقضى ديونهم، ونحن باب حطتهم كحطه بنى إسرائيل).

وفى الثاقب فى المناقب ص ٥٦٦، عن أبى هاشم الجعفرى رحمه الله قال: (كنت عند أبى محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ؟ فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد عليهم السلام، الظالم لنفسه الذى لا- يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات يأذن الله للإمام. قال: فدمعت عيناي وجعلت أفكر فى نفسى عظم ما أعطى الله آل محمد عليهم السلام، فنظر إليّ وقال: الأمر أعظم مما حدثتك به نفسك

من عظم شأن آل محمد عليهم السلام فاحمد الله فقد جعلك متمسكاً بحبلهم، تدعى يوم القيامة بهم إذا دعى كل أناس بإمامهم، فأبشرا يا أبا هاشم فإنك على خير). انتهى.

وفى بصائر الدرجات ص ١٣٥: (حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام إن العلم الذى نزل مع آدم لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان على عليه السلام عالم هذه الأمة، وإنه لن يهلك منا عالم إلا خلفه من أهله من يعلم مثل علمه، أو ما شاء الله).

وفى بصائر الدرجات ص ١٣٤: (حدثنا محمد بن الحسن عن حماد عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك النبى صلى الله عليه وآله ورث علم النبيين كلهم؟ قال لى: نعم، قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال: نعم، قلت: ورثهم النبوة وما كان فى آبائهم من النبوة والعلم؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا وقد كان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه، قال قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله؟ قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، فقال إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقده وشك فى أمره: مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَيْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِيْنَ، وكانت المردة والريح والنمل والإنس والجن والشياطين له طائعين، وغضب عليه فقال: لَأُعَذِّبَنَّكَ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، وإنما غضب عليه لأنه كان يدلله على الماء، فهذا وهو طير قد أعطى ما لم يعط سليمان! وإنما أراد له على الماء، فهذا لم يعط سليمان، وكانت المردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكانت الطير تعرفه! إن الله وتعالى يقول فى كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَئِنَّ اللَّهَ لَمَّا يَأْمُرُ بِالْعَمَلِ فَجَعَلَهُ اللَّهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ، إن الله يقول فى كتابه: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ. ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فنحن الذين اصطفانا الله فورثنا هذا الذى فيه تبيان كل شى). انتهى.

وروى فى كتاب بصائر الدرجات ص ٦٥، أكثر من خمسة عشر حديثاً فى هذا الموضوع، وفيها صحيح السند بدرجة عالية، منها: (عن أبي جعفر عليه السلام قال فى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.. الآية، قال: السابق بالخيرات الإمام، فهى فى وُلد على وفاطمة عليهم السلام).

وفى عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٠٧: (عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع فى مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: أخبرونى عن معنى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا؟ فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكنى أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها فى الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، ثم جمعهم كلهم فى الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب، الآية. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا- لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله فى كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلا- وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل، فقالت العلماء: فهذا رسول الله (ص) يؤثر عنه أنه قال: أمتى آلى وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر

المستفاض الذي لا يمكن دفعه آل محمد أمته! فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني فهل تحرم الصدقة على الآل؟ فقالوا: نعم، قال: فتحرم على الأمة؟ قالوا: لا، قال: هذا فرق بين الآل والأمة! ويحكم أين يذهب بكم؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون! أما علمتم أنه وقعت الوراثة والظهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمُ النَّبِيَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثته النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى.

وفى معاني الأخبار للصدوق ص ١٠٤: (عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ؟ فقال: الظالم منا من لا يعرف حق الإمام، والمقتصد العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات يأذن الله هو الإمام. جنات عدن يدخلونها، يعنى السابق والمقتصد). انتهى.

اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجته

قال السيد الخوئي رحمه الله في البيان ص ٢٦٨: (فإن معنى ذلك أن الله قد خص أوصياء نبيه صلى الله عليه وآله بإرث الكتاب، وهو معنى قوله تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (٣٢:٣٥) فهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته، وليس لغيرهم في ذلك نصيب. هذا هو معنى المرسله، وإلا فكيف يعقل أن أبا حنيفة لا يعرف شيئاً من كتاب الله حتى مثل قوله تعالى: قل هو الله أحد، وأمثال هذه الآية مما يكون صريحاً في معناه. والأخبار الدالة على الإختصاص المتقدم كثيرة جداً). انتهى.

ابناء فاطمة و أتباع أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب

في تفسير العياشي: ١/٧٠: (عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، يقول لا حرج عليه أن يطوف بهما، فنزلت هذه الآية، فقلت: هي خاصة أو عامة قال: هي بمنزلة قوله: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمن دخل فيهم من الناس كان بمنزلتهم يقول الله: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا). انتهى.

الظالم لنفسه درجات متفاوتة

(الظالم لنفسه) مفهوم واسع في القرآن، يشمل الكافر والفاسق والظالم لغيره، لأن الجميع ظلم للنفس، وقد نص القرآن على أن بعض أنواع الظالمين لأنفسهم يدخلون جهنم، قال تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليس مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ. (النحل: ٢٨-٢٩).

وبعضهم يدخل الجنة، قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَوَاطِمِ الْعَيْظِ وَالْعِافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. (آل عمران: ١٣٣-١٣٤).

وبعضهم ظالمون لأنفسهم فكرياً وعملياً بترك عقيدة التوحيد واتخاذ عقيدة الكفر، كقوله تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَّيِبٍ. (هود: ١٠١).

وبعضهم ظالم لنفسه عملياً فقط بتعدى حدود الله تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ

بَعْدَ ذَلِكَ أُمْرًا. (الطلاق: ١).

أو بعمل سوء يتبعه بالاستغفار: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا. (النساء: ١١٠).
وعلى هذا، فحتى لو جعلنا الظالم لنفسه من أبناء فاطمة عليها السلام قسماً ملحقاً بالمصطفين ورثة الكتاب عليهم السلام فالمقصود به ليس الظالم للناس بل لنفسه بسلكه الشخصي المحض يتبعه بالاستغفار، كما تقدم.
على أنك عرفت رواية الصدوق في معاني الأخبار ص ١٠٤ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (جنات عدن يدخلونها، يعنى السابق والمقتصد). انتهى.

رأى علماء الشيعة

قال المفيد رحمه الله في المسائل العكبرية ص ١١١: (وقوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه بعد وصفه الوارثين للكتاب بالصفوة، فإنه غير ما ظنه السائل أنه لم يرد بقوله: فمنهم من أعيانهم، وإنما أراد من ذوى أنسابهم وذرائعهم. فأما المصطفون فقد حرسوا بالاصطفاء من الظلم ووقفوا به للعدل. وكذلك قوله: ومنهم مقتصد، يريد به من نسلهم وأهلهم وذوى أنسابهم. وقوله: ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله كذلك. ولم يرد بالأصناف الثلاثة أعيان من خير اصطفائه وتوريته الكتاب).

قال السيد المرتضى رحمه الله في رسائله: ٣/١٠٢: (والذى أعتده وأعوّل عليه أن يكون: فمنهم ظالم لنفسه، من صفة عبادنا، أى أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، ومن عبادنا ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، أى فليس كل عبادنا ظالماً لنفسه، ولا كلهم مقتصداً ولا كلهم سابقاً بالخيرات، فكان الذين أورثوا الكتاب السابقون بالخيرات دونهما).

وقال الشيخ الطوسى رحمه الله فى البيان: ٨/٤٣٠: (إن الله تعالى أورث علم الكتاب الذى هو القرآن، الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين والأئمة المنتجبين، الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا فعل القبيح لا صغيراً ولا كبيراً. ويكون قوله: فمنهم ظالم لنفسه، راجعاً إلى عبادنا وتقديره فمن عبادنا ظالم لنفسه ومن عبادنا مقتصد ومن عبادنا سابق بالخيرات، لأن من اصطفاه الله لا يكون ظالماً لنفسه، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا).

وقال الطبرسى رحمه الله فى مجمع البيان: ٨/٢٤٥: (اختلف فى أن الضمير فى منهم إلى من يعود على قولين، أحدهما: إنه يعود إلى العباد، وتقدير الكلام: فمن العباد ظالم. وروى نحو ذلك عن ابن عباس، والحسن، وقاتدة، واختاره المرتضى قدس الله روحه من أصحابنا، قال: والوجه فيه أنه لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده، بين عقيبه أنه إنما علق وراثته الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه، ومن هو مقتصد، ومن هو سابق بالخيرات.
والقول الثانى: إن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد، عن أكثر المفسرين).

بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب

قال فى تفسير الميزان: ١٧/٤٥: (واختلفوا فى هؤلاء المصطفين من عباده من هم؟ فقيل هم الأنبياء، وقيل هم بنو إسرائيل الداخلون فى قوله: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. وقيل هم أمه محمد صلى الله عليه وآله فقد أورثوا القرآن من نبيهم. وقيل وهو المأثور عن الصادقين صلى الله عليه وآله فى روايات كثيرة مستفيضة، إن المراد بهم ذرية النبى صلى الله عليه وآله من أولاد فاطمة عليها السلام).

وقال فى: ١٧/٥٠: (واعلم أن الروايات من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فى كون الآية خاصة بولد فاطمة عليها السلام، كثيرة جداً). انتهى.

أقول: بل وصلت هذه الروايات إلى حد التواتر، وفيها عدد صحيح السند قطعى الحجية بنفسه، فقد قال السيد ابن كاووس فى سعد

السعود ص ١٠٨: (أقول: وروى تأويل هذه الآية من عشرين طريقاً). انتهى.

لكن صاحب الميزان رحمه الله أعرض عنها مع الأسف، ولم يصل حتى إلى مستوى تفسير القرطبي، بل أخذ بالتفسير القرشي الرسمي تبعاً لكثرة المفسرين القائلين به! فخفف معنى وراثته الكتاب، وأدخل الظالمين الجنة!

قال في الميزان: ١٧/٤٥: (وقوله: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات "يحتمل أن يكون ضمير منهم راجعاً إلى الذين اصطفينا، فيكون الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات شركاء في الوراثة وإن كان الوارث الحقيقي العالم بالكتاب والحافظ له هو السابق بالخيرات.

ويحتمل أن يكون راجعاً إلى عبادنا - من غير إفادة الإضافة للتشريف - فيكون قوله: فمنهم مفيدا للتعليل والمعنى إنما أورثنا الكتاب بعض عبادنا وهم المصطفون لا جميع العباد، لأن من عبادنا من هو ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق ولا يصلح الكل للوراثة. ويمكن تأييد أول الاحتمالين بأن لا مانع من نسبة الوراثة إلى الكل مع قيام البعض بها حقيقة كما نجد نظيره في قوله تعالى: وأورثنا بني إسرائيل الكتاب (المؤمن: ٥٤)، وما في الآية من المقابلة بين الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات، يعطى أن المراد بالظالم لنفسه من عليه شيء من السيئات وهو مسلم من أهل القرآن لكونه مصطفى ووارثاً! والمراد بالمقتصد المتوسط الذي هو في قصد السبيل وسواء الطريق. والمراد بالسابق بالخيرات بإذن الله من سبق الظالم والمقتصد إلى درجات القرب، فهو إمام غيره بإذن الله بسبب فعل الخيرات، قال تعالى: والسابقون السابقون أولئك المقربون. (الواقعة: ١١).

وقوله تعالى: ذلك هو الفضل الكبير، أى ما تقدم من الإيراث هو الفضل الكبير من الله، لادخل للكسب فيه. هذا ما يعطيه السياق وتفيدة الأخبار من معنى الآية! وفيها للقوم اختلاف عجب! انتهى.

وتبعه صاحب تفسير الأمل فقال: ١٤/٨٧: (ثم تنتقل الآية إلى تقسيم مهم بهذا الخصوص فتقول: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. ظاهر الآية هو أن هذه المجاميع الثلاثة هي من بين الذين اصطفينا أى ورثة وحمله الكتاب السماوى. وتعبير أوضح إن الله سبحانه وتعالى قد أوكل مهمة حفظ هذا الكتاب السماوى بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى هذه الأمة، الأمة التى اصطفاه الله سبحانه...

وقد ورد فى روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام فى تفسير: سابق بالخيرات بالمعصوم، وظالم لنفسه: بمن لا يعرف الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام. وهذه التفسيرات شاهد واضح على ما اخترناه لتفسير الآية، وهو أنه لا مانع من كون هذه المجاميع الثلاثة ضمن ورثة الكتاب الإلهي! ولا نحتاج إلى التذكير بأن تفسير الروايات أعلاه هو من قبيل بيان المصاديق الأوضح للآية، وهم الأئمة المعصومون، إذ هم الصف الأول، بينما العلماء والمفكرون وحماء الدين الآخرون فى صفوف أخرى). انتهى.

أهم الإشكالات على التفسير الحكومى

أهم الإشكالات عليه: أنه يخرب معنى توريث القرآن للمصطفين، فيجعل كل الأمة مصطفاه بمن فيها الظلمة والقتلة والجبابرة والمنافقون الذين هم فى الدرك الأسفل من النار! فهو يخرب معنى الإصطفاء الإلهي ويطعن فى حكمه الله تعالى! وعندما يحكم بأن الظالم يدخل الجنة يصل تخريبه إلى قانون استحقاق الثواب والعقاب، لا يبقى لطاعة الله معنى لأنها تتساوى فى النتيجة مع الظلم والمعصية!

١- معنى توريث الكتاب الإلهي:

قال الراغب الأصفهاني، وهو من أفضل علماء العربية فى تجذير الكلمات، قال فى المفردات ص ٥١٨: (الوراثة والإرث: انتقال قُتِيَّةٍ إليك عن غيرك، من غير عقد ولا ما يجرى مجرى العقد. وسمى بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث، وتراث. أصله وراث، فقلبت الواو ألفاً وتاء، قال: وتأكلون التراث... ويقال: ورثت مالاً عن زيد وورثت زيدا، قال: وورث سليمان داود..

ورثه أبواه.. وعلى الوارث مثل ذلك.... ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب: قد ورث كذا. ويقال لمن خول شيئاً مهنتاً: أُوْرث، قال تعالى: وتلك الجنة التي أُوْرثتموها.. أولئك هم الوارثون الذين يرثون.... وقال لعلي رضي الله عنه: أنت أخي ووارثي، قال: وما أُرثك؟ قال: ما وُرثت الأنبياء قبلي، كتاب الله وسنتي).

وموضوعنا: وراثه الكتاب الإلهي، وقد وردت في القرآن بثلاث صيغ:
الصيغة الأولى: الذين ورثوا الكتاب، وأورثوا الكتاب.

ومعناها مطلق الوراثة للأمة، كقوله تعالى عن اليهود: (وَقَطَّعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ... فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا. وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِحِينَ.. (الأعراف: ١٦٨-١٧٠).

وقوله تعالى عن النصارى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ. (الشورى: ١٤). فلم ينسب فيها التورث إلى الله تعالى، وجاءت في سياق ذم ورثه الكتاب لأنهم لم يعملوا به، ومدح الذين عملوا به.

وشبيه بها صيغة: (الذين أوتوا الكتاب، وأوتوا نصيباً من الكتاب) بالمبنى للمجهول، بدون نسبة الإتياء صريحاً إلى الله تعالى. وسياقها أيضاً الذم، كقوله تعالى: نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. البقرة: ١٠١

وقوله تعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ. البقرة: ١٤٤

وقوله تعالى: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ. البقرة: ١٤٥

وقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ. آل عمران: ١٩

وقوله تعالى: وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ؟ آل عمران: ٢٠

وقوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا- تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً- فَبَشِّرْ مَا يَشْتَرُونَ. آل عمران: ١٨٧

وقوله تعالى: كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ. (الحديد: ١٦)

وقوله تعالى: وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الرِّبِّيَّةُ. (البينة: ٤)

وينبغي أن نسجل ثلاث ملاحظات على هذا الآيات:

الأولى، أن تعبير (ورثوا الكتاب، وأورثوا الكتاب، وأوتوا الكتاب)، وإن كان فيه مدح بأن الله تعالى آتاهم الكتاب، لكنه مدح بنعمة أنعمها الله عليهم فلم يحفظوها، فهو في جوهره ذم لهم، مضافاً إلى صفاتهم الأخرى التي نصت عليها الآيات، كالكفر والفسق، ولذا قلنا إن سياق الآيات هو الذم.

والثانية، أن الذين (أوتوا نصيباً من الكتاب) هم نفس (أوتوا الكتاب) أو بعضهم وهذا التعبير يدل على أنهم استوعبوا شيئاً من الكتاب، أو طبقوه، بينما ضيعوا الباقي! فهو أيضاً ذم لهم وليس مدحاً.

قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. آل عمران: ٢٣

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا. النساء: ٥١-٥٢

والثالثة، أن إتياء الكتاب في هذه الآيات عام لكل الأمة، ومجمل لم يحدد فيه الأنبياء أو الأوصياء عليهم السلام أو العلماء الذين آتاهم الكتاب، ولا مستواهم العلمي لكن يوجد آية أخرى كشفت أن وصف هؤلاء المذمومين بأنهم ورثوا أو أورثوا أو أوتوا الكتاب، كان بسبب وجود الصالحين المصطفين منهم الذين أورثهم الله الكتاب، وإنما وصف به المذمومون لأنهم أممهم وقومهم!

قال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلِيَّاسَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ). (الأنعام: ٨٣-٨٩)

وتعبير: أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ، يكشف عن أن هؤلاء هم أهل الكتاب وأصحابه وورثته الحقيقيين، وأن وصف غيرهم به مجاز بسبب وجودهم فيهم.

الصيغة الثانية: أورثنا الكتاب. وقد وردت في آيتين فقط:

إحداهما، توريث الكتاب لبنى إسرائيل، وهي قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ. (غافر: ٥٣-٥٤)، فذكرت أن إيتاء الكتاب وتنزيله كان لموسى عليه السلام، بينما توريثه لبنى إسرائيل.

والثانية، توريث القرآن للمصطفين من هذه الأمة، وهي الآية موضوع البحث:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. (فاطر: ٣٢).

وهذه الصيغة شبيهة بصيغة: آتيناهم الكتاب في قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. (الجاثية: ١٦)

وقوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. (البقرة: ١٤٦).

ومن الملاحظات في الصيغتين:

الأولى، أن المورث في الآيتين هو الله تعالى، لكن المورث مختلف، فتوريث التوراة والإنجيل كان لبنى إسرائيل عامة، أما توريث القرآن فكان للمصطفين فقط! فقد تحدث سبحانه في سورة فاطر من آية ٢٧، في سياق متصل عن العلم والعلماء، ثم عن التاليين لكتاب الله، ثم عن تنزيل هذا الكتاب على رسوله صلى الله عليه وآله مصداقاً لما بين يديه، ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، ولم يقل: ثم أورثناكم الكتاب، أو ثم أورثنا الأميين الكتاب، كما قال: وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ!؟

فما هو السر في هذا العموم والخصوص في التوريث الإلهي؟

الثانية، أن توريث الكتاب الإلهي يختلف معناه حسب المورثين، فتوريثه للأمة يعني توريثه لأشخاص معينين منها مجازي للأمة وحققي لأفراد منها، أما توريثه لأشخاص فهو توريث حقيقي يعني تعليمهم تفسيره وعلومه ليكونوا معلمين له. كما تقول إن فلاناً ورث علم الطب للشعب الفلاني، أو ورثه للأطباء الفلانيين، فلا بد من في تفسيره من مراعاة التناسب بين التوريث والمورث! والفرق الذي يبدو صغيراً هو كبير جداً، فتوريث الكتاب لبنى إسرائيل يعني توريث علومه لأنبياء وأوصياء منهم وجعله في متناول كل الأمة.

أما توريث الكتاب للمصطفين من أمه النبي صلى الله عليه وآله فيعني توريث علومه لأئمة معينين، وجعله في متناول من تبعهم.

الثالثة، لا يمكن تفسير المصطفين ورثة الكتاب الإلهي، إلا بملاحظة الصفات المشابهة التي وصف بها القرآن حملة العلم الإلهي في هذه الأمة، كالذين عندهم علم الكتاب، والراسخين في العلم، وأهل الذكر، في قوله تعالى عن وصي سليمان عليهما السلام: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل: ٢٠) وقوله تعالى عن وصي النبي صلى الله عليه وآله: وَيَقُولُ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (الرعد: ٤٣) وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. (آل عمران: ٧)
وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (النحل: ٤٣).
وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا - نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (الأنبياء: ٧) وهي نفس الآية المتقدمة بدون كلمة: (من)!

وآية الشهود التاليين للنبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحِيمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (هود: ١٧) فهذه الآيات وغيرها، تعرفنا من هم المصطفون الذي خصهم الله في هذه الأمة بوراثته القرآن. وكذلك أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، ومثلها أحاديث أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، لأن النبي صلى الله عليه وآله أرجع أمته إليهم وجعلهم عدل القرآن في مثل قوله المتواتر صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فقولهم قوله وحديثهم حديثه، ومنهم يجب أن تأخذ الأمة كتاب الله وتفسيره.

٢- الظالم مطلقاً يستحيل أن يكون من المصطفين!

القاعدة العامة في التفسير وكل بحث علمي، بل في كل الحياة، أن لا نبيع اليقين بالشك، ولا المحكم بالمشابه. ومن اليقين المحكم أن المصطفين من الله أشخاص اختارهم الله لأدوار في الشعوب والأمم والعالم، لأنهم أهل لذلك، وأعطاهم ما يحتاجونه في عملهم من علم وتأيد.

وهذا يقتضى طهارتهم وعصمتهم ووجوب اتباعهم.

وعندما نجد نصاً ظاهره أن المصطفين فيهم ظالمون عاصون لربهم، فيجب أن نتوقف فيه، لأن قبول ظاهره يعنى تخريب قانون الإصطفاء الإلهي، والطعن في حكمة الله تعالى!

لهذا لا بد في آية توريث الكتاب للمصطفين من أحد أمرين:

إما أن نجعل الظالم لنفسه قسماً من عبادنا وليس من المصطفين كما اختاره الشريف المرتضى رحمه الله، وغيره. قال في مجمع البيان: ٨/٢٤٥: (اختلف في أن الضمير في منهم إلى من يعود، على قولين، أحدهما: إنه يعود إلى العباد، وتقدير الكلام: فمن العباد ظالم. وروى نحو ذلك عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، واختاره المرتضى قدس الله روحه، من أصحابنا). انتهى.

وإما أن نجعل دخول الظالم لنفسه في المصطفين مجازاً، لأنه منهم نسباً أو اتباعاً، كما فسره الإمام الرضا عليه السلام وهذا الذي أرجحه لأنه روى عن المعصوم عليه السلام، ولعل المرتضى لم يطلع عليه، وقد استدلل له الإمام الرضا عليه السلام بقوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. (الحديد: ٢٦) فكما أن جعل النبوة والكتاب في بعض ذرية نوح وإبراهيم، لم يمنع أن يكون بعضهم الآخر فاسقين، فكذلك توريث الكتاب لعتره محمد صلى الله عليه وآله لم يمنع أن يكون بعض آخر منهم ظالم لنفسه.

وقد تقدمت روايته من عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٠٧ وفيها: (فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العتره الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عنى العتره من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب، الآية. فصارت الوراثة للعتره الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون: من العتره الطاهرة؟ فقال الرضا

عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما. أيها الناس لا- تعلموهم فإنهم أعلم منكم. إلى أن قال: أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثته النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى.

٣- تعميمهم للمفردات الخاصة، وتمييعهم للقوانين الحاسمة!

ليست محاولة علماء السلطة في التعميم والتمييع في تفسير الآيه، إلا واحدة من منهج ابتدعه في التفسير، كشفنا جانباً منه في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال- المسألة ١٦٣)، وقد ارتكبوا هنا تعميمين للكتاب والمصطفين، وتمييعين لتوريث الكتاب، وقانون الثواب والعقاب:

فقد عمموا الكتاب في قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فجعلوه كل كتاب إلهي، مع أن السياق يتحدث عن القرآن، فالآيه التي قبلها: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآيه. فعدلوا عن السياق بلا حجة!

وكان هدف كعب الأبحار من توسيع المصطفين وتوسيع الكتاب، أن يعطى الشرعية للتوراة والثقافة اليهودية وأنها مورثة لهذه الأمة، ويعطى لنفسه مقام مستشار الخلافة في علم الكتاب كله التوراة والإنجيل والقرآن! وإلا فأين التوراة والإنجيل اللذين ورثتهما الأمة، وعند من يوجدان؟!

أما لو اعترف كعب بأن القرآن هو المورث لفئة من هذه الأمة، فلا بد أن تكون عتره النبي صلى الله عليه وآله، فيكون أخرج نفسه وعلمه من الساحة، وأوجب على الأمة أن ترجع إلى العتره ورثة القرآن ومعادله، كما أمرها نبيها صلى الله عليه وآله!

وقد استطاع كعب أن يقنع عمر بذلك وبأشياء كثيرة، لا يتسع لها هذا الكتاب!

ولا نزيل الكلام في وقوف كعب وراء هذه التعميمات والتمييعات ودوافعه، ونكتفي بالقول إن المقصود بالكتاب في الآيه هو القرآن بحكم السياق، ولا دليل إلا التحكم لمن ادعى تعميمه لكل كتاب إلهي.

وأما جعله الظالمين من المصطفين وأهل الجنة، فهو جزء من خطته في فتح أبواب الجنة لجميع الناس، وهو أمر عمل له كعب وأطاعه فيه عمر حتى قال بشمول الشفاعة لجميع الخلق، ثم قال إن النار تفتنى وينقل أهلها إلى الجنة! (راجع المسألة ١٥٥ من كتابنا (ألف سؤال وإشكال)، والمجلد الثالث من العقائد الإسلامية).

وأما معنى المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب، فلا يصح أن يكونوا إلا جماعة خاصين بحكم الظهور المستحکم للكلمة، وهم عتره النبي صلى الله عليه وآله الذين قرنهم بالقرآن وجعلهم عدلاً له، وسماهما الثقلين! وتؤيد ذلك الأدلة الكثيرة لاصطفاء العتره النبويه، التي رواها المؤلف والمخالف.

ولا دليل من عقل ولا نقل على زعم كعب أنهم كل الأمة، ولا زعم غيره أنهم الصحابة، إلا الإستحسان الظني، أو التحكم، لمصادره ما خص الله به عتره نبيه صلى الله عليه وآله وأعطأوها لغيرهم!

فلو كان الصحابة هم المصطفون ورثة الكتاب، لَمَا أوجب النبي صلى الله عليه وآله على أمته التمسك بالثقلين الكتاب والعتره في حديث الثقلين المتواتر عند الجميع، ولَمَا أمر الأمة أن يقرنوا العتره بالنبي صلى الله عليه وآله والصلاة عليهم معه في صلواتهم! ثم لو سلمنا أن المقصود بهم الصحابة، لكان أهل البيت أولى بوراثته الكتاب أيضاً، لأنهم صحابه وعتره! وخامساً، كيف يكون الصحابة مصطفين، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله في أصح كتب أتباعهم بأن أكثرهم يدخلون جهنم، ولا ينجو منهم إلا مثل همل النعم!

قال البخارى: ٧/٢٠٨: (عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال: بينا أنا قائمٌ فإذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم!) انتهى.

ولم تصرح رواية البخارى هذه بإسهم، لكن صرحت روايته الأخرى بالصحابة وفسرها شراحه بهم! قال فى صحيحه: ٢/٩٧٥: (يرد على الحوض رجالٌ من أصحابى فيحلزون عنه فأقول يارب أصحابى! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى!) (وشبههاً به فى: ٨/٨٦، و٧/١٩٥، و٢٠٧-٢١٠، و٨٤ و٨٧، و٨/٨٦، و٨٧، ونحوه مسلم: ١/١٥٠، و٧/٦٦، وابن ماجه: ٢/١٤٤٠، وأحمد: ٢/٢٥، و٢٠٨، و٣/٢٨، و٥/٢١، و٢٤، و٥٠، و٦/١٦، والبيهقى فى سننه: ٤/١٤، وغيرهم).

أما دعوى كعب وعمر ومن وافقهما بأن المصطفين كل الأمة، فيرد عليها:

أولاً أنه لا دليل عليها من عقل ولا- نقل، فإن الله تعالى قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، وظاهره أنه انتخب عبداً خاصين فأورثهم الكتاب، ولا دليل لهم على أنهم كل الأمة إلا التحكم المحض، أو الاستحسان والتخصص!

وثانياً، كيف يتجرأ مسلم أو عاقل على القول إن كل المسلمين مصطفون يدخلون الجنة بمن فيهم الظالم والمنافق! ويرفع يده عن آيات القرآن التى تنص على دخول أصناف من هذه الأمة جهنم؟!!

فأين قول الله تعالى: وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. (المؤمنون: ١٠٣) وعشرات الآيات التى تدفع هذا الزعم وتردهذه الأمانى، ومنها قوله تعالى: لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. (النساء: ١٢٣)

وأين قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذى تقدم فى أكثر أصحابه: (قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)!

إنه لا مناص لمن جعل المصطفين ورثة الكتاب كل الأمة، من تخريب قانون الجزاء والعقاب الإلهى! كما لا مناص له من تميم معنى التوريت، وجعله توريتاً شكلياً لا يتعدى توريت أوراق القرآن، لأنه لا يعترف بمركز لهذا التوريت، وإن سألته عن علم القرآن الذى ورثه الله للأمة أين هو؟ لقال عند جميع الأمة! وهو يعرف أن كبير الصحابة عمر لا يعرف معنى مفردات القرآن مثل (وفاكهةً وأباً)؟! وثالثاً، إن روايات أهل البيت عليهم السلام

التوريت الإلهى للكتاب مقام عظيم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرهم، وأدخلنا وأخرجهم! بنا يستعطي الهدى، ويستجلى العمى إن الأئمة من قريش، غرسوا فى هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم). (نهج البلاغة: ٢/٢٧).

وقال عليه السلام: (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم فى حيزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمري شربك المحض صابحاً وأكلك بالزبد المقشرة البحر
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن علينا وحطنا حولك الجرد والشمرا).

(نهج البلاغة: ١/٨٢)

وقال الإمام الباقر عليه السلام: فى قوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً: نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين! فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، يَقُولُ: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون به في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله؟! قال الراوى بريد العجلي: قلت: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم). (الكافي: ١/٢٠٥)

آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهي

إخلاص الدين لله تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. (الزمر: ٢-٣).

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. (الزمر: ١١-١٥).

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. (البقرة: ١٣٩).

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. (النساء: ١٤٦)

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ. (البينة: ٤-٥).

دعاء الله بانقطاع وإخلاص

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. (الأعراف: ٢٩).

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. (غافر: ١٤).

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (غافر: ٦٥).

وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (يونس: ٢٢).

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. (العنكبوت: ٦٥).

وَإِذَا عَشِيَهِمْ مَوْجٌ كَالظَّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. (لقمان: ٣٢).

المخلصون المستخلصون

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ. (يوسف: ٢٤).

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ. (يوسف: ٥٤).

فَلَمَّا اسْتَيْسَّسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنْ آيَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. (يوسف: ٨٠).

ابراهيم وموسى وغيرهما من المخلصين عليهم السلام

وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَا نَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضِيِّينَ
الإختيار. (صاد: ٤٥-٤٧).

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. (مريم: ٥١).

المخلصون ناجون من الضلال والهلاك

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصفات: ٧١-٧٤).
أَتَدْعُونَ بَعْلًا- وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آيَاتِكُمْ الْأُولِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَيْنَهُمْ لِمُخْضِرُونَ. إِلَّا- عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ.
(الصفات: ١٢٥-١٢٨).

المخلصون مقربون من الله وليسوا أبناءه

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصفات: ١٥٨-١٦٠).

المخلصون ناجون من العذاب مكرمون في الجنة

إِنَّكُمْ لَمَذَاتِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. وَمَا تُجْرُونَ إِلَّا- مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَغْلُومٌ. فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ.
(الصفات: ٣٨-٤٢).

يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ. لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ. لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصفات: ١٦٧-١٦٩).

معنى الإخلاص والمخلص

قال الراغب في المفردات ص ١٥٤: (الإخلاص كالصافي، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلصته فخلص.... وقوله: ونحن له مخلصون. إنه من عبادنا المخلصين، وإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، قال تعالى: مخلصين له الدين، وقال: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وقال: وأخلصوا دينهم لله، وهو كالأول، وقال: إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً. فحقيقة الإخلاص: التبرى عن كل ما دون الله تعالى). انتهى.
والظاهر أن تسمية الشيء خالصاً ليس بسبب تخليصه من الشوب، بل بسبب أنه في معرض الشوب، وإن كان من أصله خالصاً لم يمسّه شوب في وقت ما.

ومعنى إخلاص الدين لله تعالى: توحيد توحيداً كاملاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيد، وكمال توحيد الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة

كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة). (نهج البلاغة: ١/١٤)

هذا هو الإخلاص النظري العقدي، أما الإخلاص العملي فهو الطاعة الكاملة لله تعالى بالقيام بما أوجبه وترك ما نهى عنه، وإخلاص النية له في كل ذلك.

في تحف العقول لابن شعبه الحراني ص ٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (رأس الدين صحة اليقين، وتمام الإخلاص تجنبك

(المعاصي).

وفي معاني الأخبار للصدوق ص ٢٦٠: (أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهديئاً لم يعطها أحداً قبلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلت: وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال قال: الإخلاص وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: اليقين.... إلى أن قال: قلت: يا جبرئيل فما تفسير الإخلاص؟ قال: المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد، وإذا وجد رضى، وإذا بقى عنده شيء أعطاه في الله، فإن من لم يسأل المخلوق فقد أقر الله عز وجل بالعبودية، وإذا وجد فرضى فهو عن الله راضٍ والله تبارك وتعالى عنه راضٍ، وإذا أعطى الله عز وجل فهو على حد الثقة بربه عز وجل. قلت: فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن يعمل لله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، وأن يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا كله أغصان التوكل ومدرجة الزهد). انتهى.

وفي الكافي: ١/١٨١: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفوا حتى تصدقوا، ولا تصدقوا حتى تسلموا. أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً. إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا العمل الصالح ولا يقبل الله إلا الوفاء بالشروط والعهد، فمن وفى الله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف في عهده نال ما عنده، واستكمل ما وعده، إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، وقال: إنما يتقبل الله من المتقين، فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله، هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون.

إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعةً ولى أمره بطاعةً رسوله، وطاعةً رسوله بطاعته، فمن ترك طاعةً ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله عز وجل، خذوا زينتكم عند كل مسجد، والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره، فقال: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير. تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل، إن الله عز وجل يقول: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وكيف يهتدى من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟

إتبعوا رسول الله وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وأقروا بما نزل من عند الله، واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة والتقوى). انتهى.

دلالة الإستخلاص الإلهي على العصمة

يدل لقب المُخْلِص بالفتح، على عصمة صاحبه، لأن الله تعالى استخلصه، أى أنه استحق بعمله وتخليصه لفكره ونياته من الشوائب، أن يتقبله الله تعالى لنفسه فيجعله من المخلصين له، وذلك يقتضى أن يحميه حماية تامة من شوائب نية المعصية فضلاً عن فعلها. وهذا معنى المعصوم فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في تعريفه: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). انتهى. (معاني الأخبار للصدوق: ص ١٣٢).

وقد بين الله تعالى أن عباده المخلصين لهم علاقة خاصة معه، لكن ليست علاقة نسب ومصاهرة كما يتصورها بعض الناس! قال تعالى: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ. (الصفات: ١٥٨-١٦٠). وقال تعالى عن موسى عليه السلام: وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. (مريم: ٥١).

وقال عن يوسف عليه السلام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا- أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

المُخْلِصِينَ. (يوسف: ٢٤).

فقوله: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ، تعليلٌ لصرف السوء والفحشاء عنه، ومعناه أن يوسف عليه السلام لمَّا كان عبداً مخلصاً مستخلصاً لنا، فقد صرفنا عنه الضرر والمعصية، فمقام الإستخلاص يستوجب هذه الدرجة العالية من العصمة والرعاية! ومع هذا النص الإلهي، فلا قيمة لكل ما رووه من أن يوسف عليه السلام قد همَّ بالمعصية وفكر بالزنا، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة! معاذ الله!

فكل ذلك إسرائيليّات اليهود وطعنهم بيوسف عليه السلام، تلقفها عنهم رواة السلطة!

بل همّت به لنفسها، وهمَّ بها أن يضربها، فرأى برهان ربه يقول له: أهرب ولا تضربها! فلو ضربها لرآه زوجها الذي كان لدى الباب، ولا دعت عليه بأنه أرادها فلم تقبل فضربها! وللحق به السوء أى القتل! فدفع الله عنه بإخلاصه واستخلاصه السوء والضرر من زوجها، كما دفع عنه الفحشاء من أول ما راودته عن نفسه، وبقيت نيته خالصة لله تعالى، لم يشبها عمل ولا تفكير ولا نية بالفحشاء والزنا. وقد تقدم قول الإمام الرضا عليه السلام من العيون: ٢/١٧٠: (وأما قوله عز وجل في يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فإنها همت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ. (يوسف: ٢٤) يعنى القتل والزنا).

أما جواب من تخيل أن معنى (همَّ بها) فكر بالمعصية، فهو:

أن معنى فعل (همَّ به) فى اللغة: أراد به الضرر، فإن وجدت قرينهٌ يُصِرُّفُ عن معناه بحسبها، وإلا بقى عليه. ومراودة زليخا ليوسف عليه السلام قرينهٌ على أن معنى (همَّتْ به) أرادته لنفسها، لكن لاقريتهٌ توجب صرف (همَّ بها) فى يوسف عليه السلام عن معناها الأصلي، فيبقى معناه: هم أن يضربها كما ورد به الحديث.

وينبغى الغلفات إلى أن نوع الضرر المقصود بـ(همَّ به) قد يُصَيَّرُح به كقوله تعالى: وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ، (التوبة: ١٣)، وقد يعرف بالقرينه كقوله تعالى: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا. (التوبة: ٧٤) أى بقتل النبى صلى الله عليه وآله كما دل الحديث.

وفى مسند أحمد: ٢/٤١٦ والبخارى ٣/٦١: (أن رجلاً أتى رسول الله يتقاضاه فأغلظ له قال فهمَّ به أصحابه، فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً). انتهى.

أى همَّ المسلمون بطرده أو ضربه أو إيذائه، حيث لم يرد أن المسلمين هموا بقتل أحد فى حضور النبى صلى الله عليه وآله بدون أمره. وفى البحار: ٣٠/٨٥، فى قصة يهودى مع أبى بكر: (فوقف عليه وقال: إنى أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى أو وصى نبى. فقال أبو بكر: سل عما بدا لك؟ فقال اليهودى: أخبرنى عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة! يا يهودى أو فى السماء شئ لا يعلمه الله؟ وهمَّ به المسلمون، وكان فى القوم ابن عباس فقال: ما أنصفتم الرجل! قال أبو بكر: أو ما سمعت ما تكلم به؟! فقال ابن عباس: إن كان عندكم جواب، وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى بن أبى طالب: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه...). انتهى.

فقوله (وهم به المسلمون) أى هموا بضربه، أو إيذائه.

على أن قوله تعالى: لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ، كافٍ لتفسير معنى همَّ بها، فمن استخلصه الله تعالى لا يمكن أن يهَمَّ بالفحشاء!

وهنا يأتى دور فهم الفعل الإلهي فى الإستخلاص وغيره، وأنه فعلٌ من عالم حكيم رحيم، بالعلم المطلق والحكمة المطلقة والرحمة الشاملة، فلا يصح أن نتصوره كأفعالنا القاصرة المحدودة!

وقد كشف لنا عز وجل أن استخلاصه عز وجل ليوسف عليه السلام يستوجب صرف السوء عنه، أى منع الغير من الإضرار به، وصرف

الفحشاء عنه، أى جعل عقله وتقواه عليه السلام هما المسيطرين الحاكمين على نوازعه الجسدية.

ولئن صح الإستثناء فى صرف الله للسوء عن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام أو السماح به تجاههم لحكم يعلمها سبحانه، فإن الإستثناء فى صرف الفحشاء لا يمكن، لأنه أمر يتعلق بفعل المستخلص فهو من لوازم الإستخلاص دائماً. أما كيف تتم عصمة المستخلص، فقد يكون من وسائلها (رصد الملائكة)، وقد يكون البرهان الذى أراه الله ليوافق عليه السلام أن الملك هتف به كما فى الرواية.

وقد بين الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومه عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعِدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمِينًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيُعَلِّمَ أَنْ قَدْ أُنْبِغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. (الجن: ٢٥-٢٨)

والإستخلاص مقام أعظم من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ الغيب المخبر به. هذا، وفى هذه الآيات أبحاث أخرى لا يتسع المجال لاستيفائها.

آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص

اجتبنى الله آدم عليه السلام وعصمه قال تعالى: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. (طه: ١٢١-١٢٢).

إبراهيم صلى الله عليه وآله أبو المجتبيين وأبو الأنبياء قال تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (النحل: ١٢٠-١٢١).

المجتبون الهداه عليهم السلام شخصيات وأسرهم قدوات البشرية قال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُو بِهَا بِكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. (الأنعام: ٨٣-٩٠).

وقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. (مريم: ٥٨).

إجتباء يوسف عليه السلام وتعليمه من علم الغيب

وقال تعالى: قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَفْضَيْصُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَبِّئُكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. (يوسف: ٥-٦)

اجتباء بعض الأنبياء عليه السلام يعنى رفع درجاتهم

وقال تعالى: لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِدَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. (القلم: ٤٩-٥٠).

إجتباء المؤمنين مستمر في هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ. (الشورى: ١٣).

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَسَ مَا كُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. (الحج: ٧٧-٧٨).

وقال تعالى: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. (آل عمران: ١٧٩).

في مفردات الراغب ص ٨٧: (واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء كما قال تعالى: وكذلك يجتبيك ربك. فاجتباؤه ربه فجعله من الصالحين. واجتبيانهم وهديتانهم إلى صراط مستقيم. وقوله تعالى: ثم اجتباؤه ربه فتاب عليه وهدى. وقال عز وجل: يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. وذلك نحو قوله تعالى: إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار).

وفي أساس البلاغة لمخشي ص ١٧٢: (واجتباؤه: اختاره. مستعار منه لأن من جمع شيئاً لنفسه فقد اختصه واصطفاه، وهو من جبوته الله وصفوته). انتهى.

والإجتباء على مقام عظيم لكنه أعم من الإستخلاص في موضوعه، لأنه يشمل غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كالمؤمنين من هذه الأمة، قال تعالى: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.

ولا بد أنه أعم من الإستخلاص في وسائله أيضاً، ولذلك لا يدل على العصمة إلا بقريته، كما في آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام. ونكتفي بغيراد بعض الأحاديث في الإجتباء والمجتبين:

ففي الكافي: ١/٤٤٤: من خطبة للإمام الصادق عليه السلام: (فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم، أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في حومة العز مولده، وفي دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه ولا - ممزوج نسبه، ولا - مجهول عند أهل العلم صفته، بشرت به الأنبياء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأملتة الحكماء بوصفها... الخ).

وفي الكافي: ٨/٣٧٠: (عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثي ربا وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة أختين وهما ابنتان للاحج وكان للاحج نبياً م نذراً ولم يكن رسولاً وكان إبراهيم في شببته على الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلق عليها، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباؤه، وإنه تزوج سارة ابنة للاحج وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثي ربا رجل أحسن حالاً منه).

وفي الإحتجاج: ١/١٣٣، من خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت:

(وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباؤه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغييب مكنونه، وبستر الأهاويل مصونه، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بما يلي الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور. ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه).

وفي تفسير الثعالبي: ١/٢٢١: (قوله تعالى: وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباؤه ربه فتاب عليه وهدى. فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وقيل بل أكلها، وهو متأول، وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهى عنها، لأنه تأول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لأعلى

الجنس، ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة، وقيل: تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم).
وفى تفسير الثعالبي: ٣/١٠٢: (وينزه آدم وحواء عن طاعتهما لإبليس، ولم أقف بعد على صحة ما روى في هذه القصص، ولو صح لوجب تأويله، نعم روى الترمذى عن سمرة بن جندب، عن النبي (ص) قال: لما حملت حواء، طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال لها سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث فعاش ذلك، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره! قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب انفرد به عمر بن إبراهيم عن قتادة، وعمر شيخ بصرى. انتهى. وهذا الحديث ليس فيه أنهما أطاعاه، وعلى كل حال: الواجب التوقف والتنزيه لمن اجتبه الله وحسن التأويل ما أمكن، وقد قال ابن العربي فى توهين هذا القول وتزييفه: وهذا القول ونحوه مذكور فى ضعيف الحديث فى الترمذى وغيره، وفى الإسرائيليات التى ليس لها ثبات، ولا يعول عليها من له قلب، فإن آدم وحواء وإن كانا غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من حجر مرتين، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحاً ولا يسمعا له قولاً، والقول الأشبه بالحق: أن المراد بهذا جنس الآدميين). انتهى.

آيات نفى سلطان الشيطان على المخلصين

قال الله تعالى: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ. (الحجر: ٣٩-٤٢).
وقال تعالى: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. (ص: ٨٢-٨٣).
وقال تعالى: قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا. وَاسْتَفْزِرُ مِنْهُمُ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا. (الإسراء: ٦٣-٦٥).
وقال تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ. (النحل: ٩٨-١٠٠).
وقال تعالى: إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا. لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا. (النساء: ١١٧-١١٨).

وجه دلالتها على العصمة

نصت الآيات الكريمة على أن عباد الله المخلصين لا سبيل للشيطان عليهم، وهذا يعنى عصمتهم. أما الإشكالات التى قد تورد على هذا الاستدلال فهى مردودة، وهذه خلاصة لها ولأجوبتها:
الأول: أن مصادر الشر ثلاثة: الشيطان والنفس والناس، فنفى تأثير الشيطان عن إنسان لا يعنى نفى تأثير مصادر الشر الأخرى، فيبقى فى معرض المعصية.
وجوابه: أن المفهوم من آيات نفى تأثير الشيطان وأحاديثها، أن هذه الدرجة لا تعطى لإنسان إلا بعد أن يكون غالباً لهواه قوياً إماماً تأثير الناس، فيها تكتمل نعمه الله على الإنسان المخلص بالعصمة. وسنورد طرفاً من أحاديثها.
والإشكال الثانى: أن نفى سلطان الشيطان فى قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وقوله تعالى: إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، يعنى نفى سلطنته الكاملة على سلوك الإنسان ولا ينفى بقاء تأثيره إلى حد، وهذا ينافى العصمة.
وجوابه: أن الله تعالى نفى سلطان الشيطان عن جميع الناس فى قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنْفُسَكُمْ، (إبراهيم: ٢٢) وقوله تعالى: فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ.. (سبأ: ٢٠-٢١). ثم

نفاه في الآية عن عباد الله الخاصين المستخلصين، فدل ذلك على أنه معناه نفى مطلق التأثير، وإلا لكان تخصيصه بعباده الخاصين لغواً. والإشكال الثالث: أن عبادى في قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر: ٤٢ والإسراء: ٦٥)، لا تعنى عباد الله الخاصين بل كل العباد، فلا تبقى ميزة للمخلصين في نفيها عنهم لتدل على امتيازهم بها، فضلاً عن عصمتهم.

قال صاحب الميزان: ١٢/١٦٦: (فإذا أمنت في الآية وجدتها ترد على إبليس قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين، من ثلاث جهات أصلياً:

أحداها، أنه حصر عباده في المخلصين منهم ونفى عنهم سلطان نفسه وعمم سلطانه على الباقيين. والله سبحانه عمم عباده على الجميع، وقصر سلطان إبليس على طائفة منهم، وهم الذين اتبعوه من الغاوين، ونفى سلطانه على الباقيين.

والثانية، أنه لعنه الله ادعى لنفسه الاستقلال في إغوائهم كما يظهر من قوله لأغوينهم في سياق المخاصمة والتقريع بالانتقام. والله سبحانه يرد عليه بأنه منه مزعمه باطله وإنما هو عن قضاء من الله وسلطان بتسليطه، وإنما ملكه إغواء من اتبعه وكان غاويًا في نفسه وبسوء اختياره، فلم يأت إبليس بشئ من نفسه، ولم يفسد أمراً على ربه، لا في إغوائه أهل الغواية فإنه بقضاء من الله سبحانه أن يستقر لأهل الغواية غيهم بسببه.

وقد اعترف لعنه الله بذلك بعض الإعراف بقوله رب بما أغويتني ولا في استثنائه المخلصين فإنه أيضاً بقضاء من الله نافذ فلا حكم الا لله. وهذا الذي تفيدته الآية الكريمة أعنى تسليط إبليس على إغواء الغاوين الذين هم في أنفسهم غاؤون وتخليص المخلصين وهم مخلصون في أنفسهم من كيدته، كل ذلك بقضاء من الله مبنى على أصل عظيم يفيد التوحيد القرآني المفاد بأمثال قوله تعالى: إن الحكم إلا لله، (يوسف: ٦٧) وقوله: وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم، (القصص: ٧٠) وقوله: الحق من ربك (آل عمران: ٦٠) وقوله: ويحق الله الحق بكلماته، (يونس: ٨٢)، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن كل حكم إيجابي أو سلبي فهو مملوك لله نافذ بقضائه.

ومن هنا يظهر ما في تفسيرهم قوله: إلا من اتبعك من الغاوين، من المسامحة فإنهم قالوا إنه إذا قبل من إبليس واتبعه صار له سلطان عليه بعدوله عن الهدى إلى ما يدعو إليه من الغي، وظاهره أنه سلطان قهري يحصل لإبليس عن سوء اختيارهم ليس من عند نفسه، ولا بجعل من الله سبحانه.

وجه الفساد: أن فيه أخذ الاستقلال والحوال الذاتى من إبليس وإعطاؤه ذوات الأشياء، ولو كان إبليس لا يملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه، فالأشياء والأمر أيضاً لا تملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات، إلا بإذن من الله وتمليك فافهمه.

والثالثة، إن سلطانه على إغواء من يغويه وإن كان بجعل وتسليط من الله سبحانه، إلا أنه ليس بتسليط على الإغواء والإضلال الابتدائي غير الجائر إسناده إلى ساحتها سبحانه، بل تسليط على الإغواء بنحو المجازاة المسبوق بغوايتهم من عندهم وفي أنفسهم. والدليل على ذلك قوله تعالى: إلا- من اتبعك من الغاوين فإبليس إنما يغوى من اتبعه بغوايته، أى أن الإنسان يتبعه بغوايته أولاً فيغويه هو ثانياً، فهناك غواية بعدها إغواء والغواية إجرام من الإنسان والإغواء بسبب إبليس مجازاة من الله سبحانه. ولو كان هذا الإغواء إغواء ابتدائياً من إبليس لمن لا يستحق ذلك لكان هو الأليق باللوم دون الإنسان، كما يذكره يوم القيامة على ما يحكيه سبحانه بقوله: وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلمونى ولوموا أنفسكم. إبراهيم: ٢٢، فاللوم على الإنسان المجرم وهو مسؤول عن معصيته دون إبليس. نعم إبليس ملوم على ما يتلبس به من الفعل بسوء اختياره وهو الإغواء الذى سلطه الله عليه، مجازاة لما امتنع من السجود لآدم لما أمر به. فالإغواء هو الذى استقرت ولايته عليه كما يشير سبحانه إليه فى موضع آخر من كلامه إذ يقول: إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، الأعراف: ٢٧، وقال تعالى وهو أوضح ما يؤيد جميع ما قدمناه: كتب عليه انه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير. (الحج: ٤). انتهى.

وجوابه: أن كلمة عبادى فى الآيه وأمثالها كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِذْ جِئْتِ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي. (الفجر: ٢٧-٣٠) تعنى عباد الله الخاصين، وإضافة العباد اليه تعالى إضافة تشریف من قبيل (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) (الحجر: ٢٩) فهى روح مخلوقة نسبها الله سبحانه إلى نفسه. كما نسب البيت الحرام والمسجد اليه.

وقد أجمع المفسرون واللغويون وأحاديث النبى وآله صلى الله عليه وآله على ذلك، لكن الأمر اشتبه على صاحب الميزان رحمه الله فعمم كلمة عبادى! لأنه تصور أن تخصيصها يعطى لإبليس سلطاناً على الباقين، وهذا يناهى توحيد الله تعالى بالفاعلية، وينافى قانون حرية الإنسان ومسؤوليته عن عمله.

والصحيح أنه لا يلزم شئ من ذلك. أما السلطان الذى أعطى لإبليس ونصّ عليه الله تعالى بقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ. (النحل: ١٠٠) وقوله: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ. (الحجر: ٤٢). فلم يقل أحد إنه سلطان ابتدائى بلا أرضية من نياتهم وعملهم تجعلهم مستحقين لتسلطه عليهم، فيزدادون غواية إلى غوايتهم، ومعنى نفى سلطانه عن عباد الله الخاصين أنهم بلطف ربهم لا توجد فيهم أرضية استعمار للشيطان.

فقوله رحمه الله: (وجه الفساد: أن فيه أخذ الإستقلال والحوال الذاتى من إبليس وإعطاؤه ذوات الأشياء، ولو كان إبليس لا يملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه، فالأشياء والأموال أيضاً لا تملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات، إلا بإذن من الله وتمليك) انتهى.

هذا القول، يصلح ردّاً على الثنوية القائلين بشراكة إبليس مع الله تعالى، أو على الماديين القائلين بألوهية الأسباب والأشياء أو شراكتها مع الله تعالى!

أما الأحاديث وعامة المفسرين الذين فسروا الآيه بوجود سلطان ما للشيطان على قسم من الناس، وعدم وجوده على عباد الله الخاصين، فإنما قصدوا سلطانه الذى نص عليه الله تعالى، وهو سلطان مترتب على غواية الإنسان نفسه وليس فى عرضها، وسلطان تحت سيطرة الله تعالى وليس فى عرضها.

والإشكال الرابع: أن تفسير الآيه بعصمة المخلصين، ونفى سلطان الشيطان وكل أنواع تأثيره عليهم، يستوجب نفى نزغه ووسوسته ومسه لهم، مع أن القرآن نص على وسوسة الشيطان لآدم وزوجه فقال: فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى. (طه: ٢٠).

وقال: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ. (البقرة: ٣٦).

ووصف آدم وحواء بأنهما تأثرا بوسوسة الشيطان: فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَا عَلَىٰهَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. (طه: ١٢١). ونص على مسّ الشيطان لأيوب عليه السلام فقال: وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ إِنَّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصِيبٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ. (ص: ٤١-٤٢).

ووصف يوسف بأنه أنساه الشيطان فقال: وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ. (يوسف: ٤٢).

ووصف إنسائه لموسى عليه السلام فقال: قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. (الكهف: ٦٣). ووصف قتل موسى عليه السلام لعدوه بأنه من عمل الشيطان، فقال: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَّاخَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ أَنَّهُ هُوَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ. (القصص: ١٥-١٦).

وأخبر أن النبي صلى الله عليه وآله قد يصيبه نزع من الشيطان، وطائف منه فقال له: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (فُصِّلَتْ: ٣٦).

وقال له: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. (الأعراف: ٢٠١).

وقال له: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِتَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. (الأنعام: ٦٨).

وجوابه: مع ما سنذكره من تفسير الآيات، أنا لو سلمنا أن الشيطان يمكنه أن يوسوس أو ينزع أو يمس المعصوم عليه السلام، فلا يدل ذلك على تأثيره عليه وتسيبه وقوعه في المعصية، فلا يقدر في عصمته.

فالنزع هو محاولة تخريب الأمر، قال الراغب ص ٤٨٨: (النزع دخول في أمر لإفساده، قال: مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي). انتهى. فالسماح له بالنزع لا يعنى تأثيره على المعصوم عليه السلام إلى حد إيقاعه في المعصية.

ومس الشيطان يعنى أذاه أو محاولته الأذى، ولا يدل أيضاً على تسيبه وقوع المعصوم في المعصية، قال الراغب ص ٤٦٧: (المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء، وإن لم يوجد كما قال الشاعر: وألمسه فلا أجده. والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. وكنتى به عن النكاح فقيل: مسها وماسها.... وكنتى بالمس عن الجنون قال: كالذى يتخبطه الشيطان من المس. والمس يقال فى كل ما ينال الإنسان من أذى نحو قوله: وقالوا لن تمسنا النار. مستهم البأساء والضراء. ذوقوا مس سقر. مسنى الضر. مسنى الشيطان. مستهم إذا لهم مكر فى آياتنا. وإذا مسكم الضر). انتهى.

وكذلك الوسوسة، فهى تعنى أن الشيطان يحدث فى ذهن الإنسان خطورات رديئة، ولو سلمنا إمكان ذلك فى ذهن المعصوم فلا نسلم أن المعصوم عليه السلام يخضع لها بل يطردها. قال الراغب ص ٥٢٢: (الوسوسة: الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلى والهمس الخفى، قال: فوسوس إليه الشيطان. وقال: من شر الوسواس. ويقال لهمس الصائد: وسواس). انتهى.

على أن التفسير الذى افترضه الإشكال للآيات غير دقيق، وقد تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام عن وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام ومعصيتهما وأنها كانت فى الجنة وليست فى الأرض، قال عليه السلام: (فإن الله عز وجل خلق آدم حجة فى أرضه وخليفه فى بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم فى الجنة لا فى الأرض، وعصمته يجب أن تكون فى الأرض لتتم مقادير أمر الله، فلما أهبطه إلى الأرض وجعله حجة وخليفه عصمه بقوله عز وجل: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. (آل عمران: ٣٣) انتهى.

وفى مسند الإمام الرضا عليه السلام: ٢/١٢٥: (وإنما كان من الصغائر الموهوبة التى تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه، فتاب عليه فهدى). انتهى.

أقول: إن صح الحديث بأن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الصغائر قبل البعثة فهو يصح فى بعضهم كآدم عليه السلام، ولا يصح فى كبارهم كنبينا وأوصيائه صلى الله عليه وآله، لأنه ثبت أن عصمتهم اعلى درجة من عصمة جميع الأنبياء عليهم السلام. وأما قول أيوب عليه السلام: وَأَذُكُرُ عَبْدِنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ إِنِّى مَسَّنِى الشَّيْطَانُ بُصْبٍ وَعَذَابٍ، فلا يدل على تأثيره عليه فى معصية، بل هو كقوله تعالى: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِى الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. (الأنبياء: ٨٣).

قال فى مجمع البيان: ٨/٣٦٤: (أى بتعب ومكروه ومشقة. وقيل: بوسوسة فيقول له: طال مرضك ولا يرحمك ربك، عن مقاتل. وقيل: بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال، وكيف زال ذلك كله، وحصل فيما هو فيه من البلية، طمعاً أن يزله بذلك، ويجد طريقاً إلى تضجره وتبرمه فوجده صابراً مسلماً لأمر الله). انتهى.

وأما قوله تعالى: أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاءُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي، فمعناه أن يوسف عليه السلام قال للناجي من السجن: أذكركم سيدك، أي عزيز مصر، ففسى الناجي أن يذكره عنده، فلا علاقة له بإنساء الشيطان ليوسف عليه السلام.

وأما قوله تعالى: وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرُهُ، فالذي أنساه الشيطان أن يذكر قصة الحوت لموسى عليه السلام، هو فتاه المرافق له، وليس موسى عليه السلام.

وقال في الميزان: ١٣/٣١: (ولا ضير في نسبة الفتى نسيانه إلى تصرف من الشيطان بناء على أنه كان يوشع بن نون النبي والأنبياء في عصمة إلهية من الشيطان، لأنهم معصومون مما يرجع إلى المعصية، وأما مطلق إيذاء الشيطان فيما لا يرجع إلى معصية فلا دليل يمنعه قال تعالى: وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ). انتهى.

وأما قوله تعالى عن موسى عليه السلام: قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فقد تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام للمأمون: (إن موسى دخل مدينه من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، فوجد فيها رجلين يقتتلان ههنا من شيعته وههنا من عدوه فاستبغاهما الذي من شيعته على الذي من عدوه، ففضى موسى على العدو، وبحكم الله تعالى ذكره فوكره، فمات! قال هذا من عمل الشيطان، يعني الإقتال الذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله. أنه عدو مفضل مبین، يعني الشيطان. فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؟ قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة، فَاغْفِرْ لِي، أي أسترني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلونى، فغفر له أنه هو الغفور الرحيم، قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزه، فلن أكون ظهيراً للمجرمين، بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى. فأصبح موسى عليه السلام في المدينة خائفاً يتربقّب فإذا الذي استنصره بالأمر يستنصره على آخر، قال له موسى إنك لغوي مبین، قاتلت رجلاً بالأمر وتقاتلت هذا اليوم، لأوذيнок، وأراد أن يبطش به فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما وهو من شيعته قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمر أن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين.

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ؟ قال الرضا عليه السلام: إن فرعون قال لموسى لما أتاه: وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ، بي! قال موسى: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ، عن الطريق بوقوعى إلى مدينه من مدائنك، ففرزت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكماً وجعلنى من المرسلين، وقد قال الله عز وجل لنبى محمد صلى الله عليه وآله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس. وَوَجَدَكَ ضَالاً، يعني عند قومك، فَهَدَى، أى هداهم إلى معرفتك. وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى، يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً). (العيون: ٢/١٧٧ والإحتجاج: ٢/٢١٨).

وأما مجرد خطاب الله تعالى لنبىه صلى الله عليه وآله فى الآيتين: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وقوله له: وَإِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، فهو من باب مخاطبة المسلمين من خلال النبى صلى الله عليه وآله، ولا يدل على أن النبى صلى الله عليه وآله فى معرض النزغ والإنساء من الشيطان.

فتبين بذلك، أن كل ما يتصور أنه تسليط للشيطان على المعصومين صلوات الله عليهم، لا يصح، وإن صح فهو محدود لا يؤدى إلى وقوعهم فى المعصية، فتبقى آية: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر: ٤٢ والإسراء: ٦٥)، على ظهورها فى تحقق عصمتهم، ومنع تأثيره عليهم عليهم السلام.

الحكمة من نزول آيات مشابهة فى عصمة الأنبياء

سؤال يرد فى الذهن: لماذا جعل الله تعالى بعض الآيات المتعلقة بعصمة أنبيائه عليهم السلام من المتشابهات التى توهم وقوعهم فى المعاصى؟

والجواب: نعم، لقد تضمنت الآيات المتعلقة بسلوك الأنبياء عليهم السلام آيات محكمة كقوله تعالى عن نبينا صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، والذي يعصم الله منطقه فلا يفتح فمه عن كلمة إلا بوحي وعصمة إلهية، لا يمكن أن يصدر منه فعلٌ ولا حركةٌ ولا سكونٌ إلا بعصمة إلهية!

وفى نفس الوقت توجد آيات تُوهم وقوعه في الذنب والمعصية كقوله تعالى: لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُمِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. (الفتح: ٢). والحكمة المتصورة من ذلك:

أولاً، لعله سبحانه أراد أن يؤكد بشريتهم حتى لا يعبدوا من دونه، وأن يبين أن عصمتهم الكاملة محاطة بغلاف وحجاب. ويؤيد ذلك ما رواه الطوسي في كتاب الغيبة ص ٣٢٤، قال رحمه الله (وأخبرني جماعة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمه الله قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضى الله عنه مع جماعة منهم علي بن عيسى القصرى، فقام إليه رجل فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء؟ فقال له: سل عما بدا لك، فقال الرجل: أخبرني عن الحسين عليه السلام أهو وليُّ الله؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل يجوز أن يسلم الله عز وجل عدوه على وليه؟

فقال له أبو القاسم قدس سره: إفهم عنى ما أقول لك، أعلم أن الله تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولا يشافهم بالكلام، ولكنه جلت عظمته يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليه رسلاً من غير صفتهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم، فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون ويمشون فى الأسواق قالوا لهم: أنتم مثلنا لا نقبل منكم حتى تأتوا بشئ نعجز عن أن نأتى بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التى يعجز الخلق عنها. فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإعدار والإنذار، ففرق جميع من طغى وتمرد.

ومنهم: من ألقى فى النار فكانت عليه برداً وسلاماً.

ومنهم: من أخرج من الحجر الصلد الناقه وأجرى من ضرعها لبناً.

ومنهم: من فلق له البحر، وفجر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسه ثعباناً تلقف ما يأفكون.

ومنهم: من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

ومنهم: من انشق له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك.

فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من أممهم أن يأتوا بمثله، كان من تقدير الله جل جلاله ولطفه بعباده وحكمته، أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات فى حال غالبيين وأخرى مغلوبين، وفى حال قاهرين وأخرى مقهورين، ولو جعلهم عز وجل فى جميع أحوالهم غالبيين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم، لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل! ولما عُرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والإختبار! ولكنه جعل أحوالهم فى ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا فى حال المحنة والبلوى صابرين، وفى حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا فى جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا- متجبرين، وليعلم العباد أن لهم عليهم السلام إلهاً هو خالقهم ومدبرهم، فيعبده ويطيعوا رسله، ويكونوا حجة الله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم وادعى لهم الربوبية، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل، لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ! قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضى الله عنه: فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدس سره من الغد، وأنا أقول فى نفسى: أترأه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟! فابتدأنى فقال: يا محمد بن إبراهيم لئن أخرجت من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح من مكان سحيق، أحبب إلى من أن أقول فى دين الله برأى ومن عند نفسى! بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه عليه). (ورواه فى الاحتجاج: ٢/٢٨٤).

ثانياً، ابتلاء المسلمين لكى يتوقف بعضهم فينفذ من حجاب المتشابه ويصل إلى نور المحكم، ويبقى المتخلف يعيش فى خطأ تصويره

عن مقام النبي صلى الله عليه وآله.

معجزة الجغرافية القرآنية

لماذا تكلم القرآن في هذا الموضوع، ولم يتكلم في ذاك؟

ولماذا تكلم في هذا مرتين، وفي ذاك مرة واحدة؟

وأطال في هذا، واختصر في ذاك؟

وأجمل في هذا، وبين في ذاك؟

وذكر هؤلاء بأسمائهم، ولم يذكر أولئك؟

واستعمل التصريح هنا، والكناية هنا؟

وقال هنا كذا، وهناك كذا؟

وهذا الأسلوب، وذاك الأسلوب، وهذا التعبير وذاك، وهذه الكلمة وتلك؟

ولماذا أقيم بناؤه على المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمجمل والمبين والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ؟

الجواب على ذلك: أن القرآن بناءً ربانيً يحير عنده الذهن، ويخشع له العقل! وكما يتميز عن كل ما قرأت وسمعت ببلاغته، فكذلك

بمقاصده وأهدافه!

لقد أتقن الله تعالى بناء القرآن بدقة متناهية وإعجاز كبناء السماء! (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

كَرِيمٌ). (سورة الواقعة: ٧٥-٧٧)

والتناسب القرآني بين عناصر القسم يدل على التشابه في دقة بناء السماء ومواقع نجومها، ودقة سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه!

وإلى اليوم لم يكتشف العلماء من بناء الكون إلا القليل، وكلما اكتشفوا جديداً خضعت أعناقهم لبانيه عز وجل! ولم يكتشفوا من بناء

القرآن إلا القليل، وكلما اكتشفوا منه جديداً خضعت أعناقهم لمعماره عز وجل!!

والحديث التالي يكشف لنا عجائب في البناء القرآني، ففي دعائم الإسلام: ١٤٦/٢:

(عن علي عليه السلام قال: اعتلّ الحسين فاشتد وجعه، فاحتملته فاطمة فأنت به النبي صلى الله عليه وآله مستغيثة مستجيرة فقالت:

يا رسول الله أدع الله لابنك أن يشفيه، ووضعته بين يديه، فقام صلى الله عليه وآله حتى جلس عند رأسه، ثم قال: يا فاطمة يا بنية، إن

الله هو الذي وهبه لك، هو قادر على أن يشفيه. فهبط على جبرئيل فقال: يا محمد، إن الله لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء

وكل فاء من آفة، ما خلا (الحمد لله) فإنه ليس فيها فاء، فادع بقدرح من ماء فاقراً فيه الحمد أربعين مرة ثم صبه عليه فإن الله يشفيه،

ف فعل ذلك فكانما أنشط من عقال!) (وجامع أحاديث الشيعة: ١٥/٨٣).

يعني ذلك: أن ما يبدو لنا من القرآن عادياً بسبب سذاجتنا، كله تابع لحساب بل حسابات، إلهية لا بشرية، وأن هذه الحروف الثمانية

والعشرين في القرآن عوالم من الرياضيات والعلوم والحقائق، وليست حروف كتاب بشري!

فوجود الحرف له دلالة بل دلالات، وعدم وجوده، وعدده، وتوزيعه في الآيات، وفي السورة، وفي كل القرآن!

الله أكبر.. فحيثما كانت الفاء في سورة أو موضوع، فهي تدل على وجود آفة! وحيثما وجدت الباء، والسين، وكل الحروف، تدل على

حقائق أخرى!

ثم ما معنى الآفة؟ وما معنى خلو سورة الحمد منها؟ وما معنى قراءة كلام الله الذي ليس فيه آفة على قدح ماء؟ وماذا يؤثر تكرار

القراءة؟ وهل يتغير تركيب الماء بذلك؟ ثم هل تؤثر فيزيائياً المطورة في بدن المريض وتذهب منه الآفة؟!

من المؤكد أنه يوجد ارتباط بين النظام الفيزيائي والروحي للكون، وبين نظام القرآن، وأن للقرآن إمكانات تأثير متنوعة على عالمي

الروح والمادة، هي لون أو ألوان من فاعليات الله تعالى في الكون، لأن القرآن كلامه سبحانه!
ومن المؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى من معرفته ذلك أقصى ما يمكن أن يعطاه إنسان ويحتمله، لأنه صلى الله عليه وآله
أفضل بنى الإنسان، بل أفضل المخلوقات والمصطفى منها جميعاً، ولقد أجاد الشاعر الأزرى بقوله:
قَلْبَ الْعَالَمِينَ ظَهراً لِبَطْنِ أَرَى ذَاتَ أَحْمَدَ فَاصْطَفَاهُ

ولكن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يستعمل ذلك إلا بأمر الله تعالى أو إجازته، وهذه قضية مهمة في شخصيته وسلوكه صلى الله
عليه وآله، حيث أعطى وسائل العمل الإعجازي، ومع ذلك كان يعمل في كل أموره بالأسباب والقوانين الطبيعية العادية، ولا يستعمل
الإعجاز إلا عندما يؤمر، أو عند (الضرورة).

إن الفرق بينه وبين موسى والخضر أن الخضر أعطى العلم اللدني أو علم الباطن فهو يعمل بموجبه، وموسى أعطى الشريعة أو علم
الظاهر فهو يعمل بموجبهها. أما نبينا صلى الله عليه وآله فقد أعطى العلمين معاً، ولكنه يعمل بالظاهر إلا عندما يؤمر أو عند الضرورة!
وهذه هي سنة الله تعالى، فهو لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضاه، ولا يرتضيه حتى يستوعب مسألة العمل بالقوانين الطبيعية والغيبية
ويسلم لإرادة الله فيها! ثم يسلك من بين يديه ومن خلفه رسدا!

والقرآن أكبر، أو من أكبر، تلك الوسائل التي أعطاها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله، وقد كان له ترتيب نزل به منجماً في بضع
وعشرين سنة، وكان يؤدي فيه إدارة أحداث النبوة وصناعة الأمة وتوجيه النبي والأمة، وتسجيل كل ذلك للأجيال. ثم صار له ترتيب
ككتاب تقرأه الأجيال، كتاب له مقدمة وفصول وفقرات. أحدث من كل ما أنتجه وينتجه المؤلفون في منهج التأليف والأسلوب!
فما المانع أن يكون للقرآن ترتيب ثالث، ورابع، وخامس، أملاه النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام وادخره عنده مع وصيته
المحفوظة وعهده المعهود إلى ولده المهدي الذي بشر به الأمة والعالم؟ والذي يظهر الله على يديه صدق دين جده على الدين كله،
فتخضع لبراهينه العقول والأعناق!
أرواحنا فداه وعجل الله ظهوره.

وإذا كان نظام حروف القرآن كذلك، فما قولك في جغرافيته العلمية، وما ذكره الله فيه وما لم يذكره، ومحكمه ومتشابهه، ومجمله
ومبينه...؟!

العصمة وقاعدة اللطف

معنى العصمة في القرآن واللغة والحديث

وردت العصمة في القرآن بمعنى المنع من عذاب الله في الدنيا: (قَالَ سَأُوَى إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِي مِّنَ الْمَاءِ قَالَ لِأَعَاصِمِ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
إِلَّا مَنْ رَجِمَ) (هود: ٤٣).

والمنع من عذابه في الآخرة: قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِي مُمْكَمَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً. (الأحزاب: ١٧). وَتَرَهَّقُهُمْ ذَلَّةٌ مَا
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ (يونس: ٢٧). والأعم منهما: يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ. (غافر: ٣٣).
وفى الإمتناع عن الحرام: وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ. (يوسف: ٣٢).

أما قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِي مُمْكَمَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. (المائدة: ٦٧)، فقد بينا في كتاب (آيات الغدير) أن العصمة فيها ليست بمعنى عصمة الأنبياء المصطلحة، فهي عصمة
من الناس وليست عصمة عن المعاصي، وقد نزلت في آخر سورة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بنحو ثمانين يوماً، و كان صلى الله
عليه وآله قبلها معصوماً عن المعاصي.

فلا بد أن يكون المقصود فيها عصمته صلى الله عليه وآله من أن يطعن الناس بنبوته أو يرتدوا عن الإسلام، إن بلغ ما أنزل إليه في على عليه السلام.

وقال الراغب في مفرداته: (العَصْمُ: الإمساك، والإعتصام: الإستمسك... والعصام ما يعصم به أى يشد. وعصمة الأنبياء عليهم السلام حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق، قال تعالى: وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ.

قال الخليل في كتاب العين: العصمة أن يعصمك الله من الشر، أى يدفع عنك. واعتصمت بالله أى امتنعت به من الشر، واستعصمت أى أبيت، وأعصمت أى لجأت إلى شئ اعتصمت به... وأعصمت فلاناً: هيأت له ما يعتصم به. والغريق يعتصم بما تناله يده، أى: يلجأ إليه... والعصمة: المنع. يقال عصمه الطعام، أى منعه من الجوع. والعصمة: الحفظ. يقال: عصمته فنعصم. واعتصمت بالله، إذا امتنعت بلطفه من المعصية). انتهى

وفى الفروق اللغوية ص ٤٤٤: الفرق بين اللطف والتوفيق: أن اللطف هو فعل تسهل به الطاعة على العبد، ولا يكون لطفاً إلا مع قصد فاعله وقوع ما هو لطف فيه من الخير خاصة، فأما إذا كان ما يفعل عنده قبيحاً وكان الفاعل له قد أراد ذلك، فهو انتقاد وليس بلطف. والتوفيق فعل ما تتفق معه الطاعة، وإذا لم تتفق معه الطاعة لم يسم توفيقاً ولهذا قالوا إنه لا يحسن الفعل...

واللطف قد يتقدم الفعل بأوقات يسيرة يكون له معها تأثير فى نفس الملتوف له، ولا يجوز أن يتقدمه بأوقات كثيرة حتى لا يكون له معها فى نفسه تأثير، فكل توفيق لطف وليس كل لطف توفيقاً....

والعصمة هى اللطيفة التى يمتنع بها عن المعصية إختياراً، والصفة بمعصوم إذا أطلقت فهى صفة مدح وكذلك الموفق، فإذا أجرى على التقييد فلا مدح فيه، ولا يجوز أن يوصف غير الله بأنه يعصم.

ويقال عصمه من كذا ووقفه لكذا ولطف له فى كذا، فكل واحد من هذه الأفعال يعدى بحرف، وهاهنا يوجب أيضاً أن يكون بينهما فروق من غير هذا الوجه الذى ذكرناه، وشرح هذا يطول فتركته كراهة الإكثار. وأصولهما فى اللغة واشتقاقتهما أيضاً توجب فروقا من وجوه أخر فاعلم ذلك).

وفى مجمع البحرين: ١/٢٤١: (روى أن إبليس لعنه الله تمثل ليحى عليه السلام فقال له: أنصحك. قال: لا أريد ذلك ولكن أخبرنى عن بنى آدم. قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: صنف منهم وهم أشد الأصناف عندنا نقبل على أحد منهم نفتته عن دينه ونتمكن منه ثم يفزع إلى الإستغفار والتوبة فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك حاجتنا فنحن معه فى عناء. وأما الصنف الآخر منهم فهم فى أيدينا كالكرة فى أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا، قد كفونا مؤنة أنفسهم! وأما الصنف الثالث فهم معصومون لا نقدر منهم على شئ).

وفى مجمع البحرين: ٣/٣٩٣: (وفى الحديث: ما اعتصم عبداً من عبادى بأحد من خلقى إلا قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته. قال بعض الشارحين: هاتان الفقرتان كناية عن الخيبة والخسران. وفيه: أعوذ بك من الذنوب التى تهتك العصم، وهى كما روى عن الصادق عليه السلام: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وفعل ما يضحك الناس من المزاح واللهو، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والمعصوم: الممتنع من جميع محارم الله، كما جاءت به الرواية.

وعن على بن الحسين عليه السلام الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة فى ظاهر الخلق فتعرف، قيل: فما معنى المعصوم؟ قال: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدى إلى القرآن والقرآن يهدى إلى الإمام، وذلك قوله تعالى: (أن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم). وفى الدعاء إن عصمة أمرى كذا، أى وقايتى وحافظى من الشقاء المخلد. واعتصمت بالله: امتنعت به. وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع من كن فيه كان فى نور الله الأعظم وعد، منها: من كان

عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله " أى ما يعصم من المهلك يوم القيامة. والمعنى: من كانت الشهادتان ويعنى بهما الإيمان، عصمة ووقاية له من المعاصى تحجزه وتمنعه من اقتراف سخط الله وسخط رسوله. ومنه قول أبى طالب: ثمال اليتامى عصمة للأرامل، أى حفظ لهم ووقاية يمنهم من الضياع والحاجة).

وفى نهج البلاغة: ٢/٤٩: (وعليكم بكتاب الله، فإنه الجبل المتين والنور المبين، والشفاء النافع، والرى النافع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق، لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعجب، ولا تخلقه كثرة الرد، وولوج السمع).

وفى نهج البلاغة: ٢/٢٣: (وإنما ينبغى لأهل العصمة والمصنوع إليهم فى السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذى عاب أخاً وغيره ببلواه...).

وفى الصحيفة السجادية ص ٩٠: (اللهم صل على محمد وآله، وقنى من المعاصى، واستعملنى بالطاعة، وارزقنى حسن الانابة، وطهرنى بالتوبة، وأيدنى بالعصمة، واستصلحنى بالعافية، وأذقنى حلاوة المغفرة). انتهى.

وقد تقدم قول الإمام الصادق عليه السلام فى تعريف المعصوم: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (معانى الأخبار: ص ١٣٢).

وفى الصراط المستقيم: ١/١١٦: قالوا: معصوم إسم مفعول، فيكون مجبوراً على ترك العصيان فى كل آن ولا فخر فى ذلك على إنسان. قلنا: العصمة الملجئة من الله إنما هى من الغلط والنسيان وأما العصمة التى لا يقع منها عصيان فهى لطف يفعله الله، لا يوجب الإيجاب، بل يجامع الإختيار، والإنسان يعلم أنه يترك ذنوباً بحسب اختياره فالمعصوم يترك الجميع كذلك).

من تعريفات المتكلمين للعصمة

قال المفيد رحمه الله فى النكت الإعتقادية ص ٤٥: (فإن قيل: ما حدُّ العصمة؟

الجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف، بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما).

وقال فى تصحيح الإعتقاد ص ١٢٨: (العصمة من الله تعالى لحججه هى التوفيق واللفظ، واعتصام من الحجج بها عن الذنوب، والغلط فى دين الله تعالى).

وقال فى أوائل المقالات ص ١٦٤: (العصمة فى موضوع اللغة هى: المنع، وقد خُصت فى اصطلاح المتكلمين بمن يمتنع باختياره عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذى يحصل من الله تعالى فى حقه).

وعرفه صاحب كتاب (الياقوت) من قدماء الإمامية بأنه: لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية، ولا يمنعه على وجه القهر، أى إنه لا يكون له حينئذ داع إلى فعل المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما). انتهى.

وقال الشريف المرتضى رحمه الله فى رسائله: ٣/٣٢٦: (إعلم أن العصمة هى اللطف الذى يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا إن الله عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح، ويقال إن العبد معتصم، لأنه أختار عند هذا الداعى الذى فعل الإمتناع عن القبيح). انتهى.

قاعدة اللطف الإلهى التى استدل بها علماءنا على العصمة

قاعدة اللطف عقلياً و شرعية

معنى قاعدة اللطف: أن العقل يحكم بأن الله تعالى لم ولن يترك عباده سدى، فلا بد أن يلفظ بهم فيبعث فيهم أنبياء ويجعل لهم أوصياء، ويكون له على الأرض حجة فى كل عصر، وأن يكون هذا الحجة هادياً مهدياً معصوماً.

وقد ورد هذا المعنى صريحاً وضمناً، في آيات وروايات عديدة، منها قوله تعالى: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. (القيامة: ٣٦). وقوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. (المؤمنون: ١١٥).

وفي الكافي: ١/١٦٩: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام ابن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إنني اجلك وأستحييك ولا- يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشئ فافعلوا. قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك على فخرت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم إنني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال يا بني أي شئ هذا من السؤال؟ وشئ تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتني فقال يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء! قلت: أجبني فيه قال لي سل: قلت ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك إذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس. قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني إن الجوارح إذا شكت في شئ شتمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردت إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم. فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً! ثم التفت إلي فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذا هو، ثم ضمنى إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت.

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شئ أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى). انتهى.

ومعنى كون اللطف قاعدة عقلية: أن العقل يدرك بقطع النظر عن نصوص الدين أنه يستحيل على العليم الحكيم القدير عز وجل، أن يترك مخلوقاته بدون هداية بل إن من أفعال الله الثابتة، بمقتضى صفاته، أنه يلطف بعباده فيبعث الأنبياء والأوصياء لهدايتهم، وهذا معنى قولهم: يجب اللطف على الله تعالى. وتعبيرهم وإن كان ثقیلاً وكأنه يفرض شيئاً على الله تعالى، لكنه يعني أن ذلك مما يدركه العقل من قوانين فعله تعالى.

ومعنى كونها قاعدة شرعية: أن القرآن والسنة يدلان على أن الله لطيف بعباده، فلا يتركهم بدون أنبياء وهداية، كما نهت إلى ذلك آيات القرآن، وأحاديث النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وبينت حدودها وتفصيلها التي لا يدركها العقل وحده.

وينبغي الإلفات إلى أن الشرع قد ينه العقل البشري إلى بعض الأمور المركوزة فيه فيصل إليها، فتكون من المدركات العقلية ولا يضر بذلك أن الشرع ألفته إليها وأثار فيه كامنها. وقد قلنا في العقائد الإسلامية: ١/٢٦: (سمى الله عز وجل القرآن الكريم: الذكر، ووصف عمل النبي صلى الله عليه وآله بأنه تذكير، واستعمل مادة التذكير في القرآن للتذكير بالله تعالى، والتذكير باليوم الآخر، والتذكير بالفطرة والميثاق).

ووصف أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله عمل الأنبياء عليهم السلام بأنه مطالبه الناس بالإنسجام مع ميثاق الفطرة، فقال عليه السلام فى خطبة طويلة فى نهج البلاغة: ١/٢٣، يذكر فيها خلق آدم عليه السلام وصفته: (فأهبطه إلى دار البلية، وتناسل الذرية. اصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه واتخذوا الأنداد معه، واجتالهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدره من سقف فوقهم مرفوع...). انتهى.

وعلى هذا يمكن أن نعتبر قاعدة اللطف عقلية، لأن العقل البشرى يدرك بقطع النظر عن الدين، أن هذا الخالق العظيم سبحانه لا يمكن أن يترك خلقه سدى، بل يجب بمقتضى حكمته أن يعرفهم ما يريد منهم لتحقيق هدفه السامى فيهم.

وقد ذكر أبو الفتح الكراجكى رحمه الله فى كثر الفوائد ص ١٩٥ أن لأفلاطون كتاباً إسمه (كتاب اللطف) ونقل عنه قوله: (نقل الطبع عسير الإلتراع)، وقد يكون موضوع الكتاب اللطف الإنسانى، ولكنه على أى حال من جو اللطف الإلهى.

اللطف الإلهى فى القرآن

ورد هذا الإسم المقدس فى القرآن فى سبعة مواضع، تشمل لطف ذاته المقدسه، وأنواع أطفاه بمخلوقاته:

١- لطف الذات الإلهية

قال الله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الأنعام: ١٠٣).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الله تعالى لطيف لكن لا يوصف باللطف، ومعناه أن ذاته تعالى من غير نوع المادة والمخلوقات، لكن لا يوصف باللطف حتى لا تصور أن ذاته المقدسه مادة شفافه!

ففى التوحيد للصدوق ٣٠٥/٥، من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام: (ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى، فوالله الذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية آية فى ليل أنزلت أو فى نهار أنزلت، مكياها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهاها، وتأويلها وتنزيلها لأخبركم!

فقام إليه رجل يقال له ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً فى الخطب، شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبى طالب مرقاةً صعبة، لأخجلنه اليوم لكم فى مسألتى إياه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟

قال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذى أعبد ربه لم أره، قال: فكيف رأيت صفه لنا؟ قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إن ربي لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة، ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بجيئه ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقه، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسه، قائل لا باللفظ، هو فى الأشياء على غير ممازجه، خارج منها على غير مباينه، فوق كل شئ فلا يقال شئ فوقه، وإمام كل شئ فلا يقال له إمام، داخل فى الأشياء لا كشيء فى شئ داخل، وخارج منها لا كشيء من شئ خارج! فخر ذعلب مغشياً عليه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها). انتهى.

٢- لطفه فى إدارة الطبيعه

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. (الحج: ٦٣)

٣- لطفه فى التخطيط لأنبيائه عليهم السلام وعباده المؤمنين

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السُّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. (يوسف: ١٠٠)

٤- لطفه فى إدارة أرزاق عباده

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ. (الشورى: ١٩).

٥- لطفه في مراقبه عمل نساء النبي صلى الله عليه وآله والناس

وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا. (الأحزاب: ٣٤).

٦- لطفه في الإطلاع على خفايا خلقه

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الملك: ١٣-١٤).

٧- لطفه في الحساب يوم القيامة

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. (لقمان: ١٦).

وفي التوحيد للصدوق ص ٢١٧: (اللطف معناه أنه لطيف بعباده، فهو لطيف بهم بار بهم، منعم عليهم. واللطف البر والتكرمة يقال:

فلأن لطيف بالناس بار بهم يبرهم ويلطفهم إطفافاً. ومعنى ثان: أنه لطيف في تدبيره وفعله يقال: فلأن لطيف العمل، وقد روى في الخبر

أن معنى اللطيف هو أنه الخالق للخلق اللطيف كما أنه سمي العظيم لأنه الخالق للخلق العظيم). انتهى.

وفي كل واحدة من هذه الآيات بحث مفصل لا يتسع له المجال.

اللطف في أحاديث النبي وآله

في الكافي: ١/١٥٩: أن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام (أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: لا، قلت: ففوض إليهم الأمر؟ قال:

لا، قال: قلت فماذا؟ قال: لطف من ربك بين ذلك).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١١٣: (عن عبد العظيم بن عبد الله الحسن بن عبد الله عنه عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت

أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. (البقرة: ١٧) فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف

بالترك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف، وخلي بينهم وبين اختيارهم).

انتهى.

وفي المقنعة ٣٣٩، من دعاء كل يوم من شهر رمضان: (وكذلك نسبت نفسك يا سيدي باللطف، بلى إنك لطيف فصل على محمد

وآله، والطف لما تشاء). انتهى.

وفي الكافي: ١/١٢٠، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (إعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم، والقدم صفته التي دلت

العاقل على أنه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة أنه لا شيء قبل الله، ولا شيء مع الله في بقائه،

وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شيء، وذلك أنه لو كان معه شيء في بقائه لم يجر أن يكون خالقاً له، لأنه لم يزل معه،

فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه! ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا، وكان الأول أولى بأن يكون خالقاً للأول.

ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم إلى أن يدعوها فسمى نفسه سميعاً، بصيراً، قادراً،

قائماً، ناطقاً، ظاهراً، باطناً، لطيفاً خبيراً، قوياً، عزيزاً، حكيماً، عليمياً، وما أشبه هذه الأسماء. فلما رأى ذلك من أسمائه القالون

المكذبون، وقد سمعونا نحدث عن الله أنه لا شيء مثله ولا شيء من الخلق في حاله، قالوا: أخبرونا إذا زعمتم أنه لا مثل لله ولا شبه له،

كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى فتسميتهم بجمعيتها! فإن في ذلك دليلاً على أنكم مثله في حالاته كلها أو في بعضها دون بعض، إذ

جمعت الأسماء الطيبة!

قيل لهم: إن الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين.

والدليل على ذلك قول الناس العجائز عندهم الشائع، وهو الذي خاطب الله به الخلق فكلمهم بما يعقلون، ليكون عليهم حجة في تضييع

ما ضيعوا، فقد يقال للرجل: كلب وحمار وثور وسكرة وعلقمه وأسد! كل ذلك على خلافه وحالاته. لم تقع الأسماء على معانيها التي

كانت بنيت عليها، لأن الإنسان ليس بأسد ولا كلب، فافهم ذلك رحمك الله.

وإنما سمي الله تعالى بالعلم، بغير علم حادث علم به الأشياء استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره، والروية فيما يخلق من خلقه، ويفسد ما مضى مما أفنى من خلقه، مما لو لم يحضره ذلك العلم ويغييه كان جاهلاً ضعيفاً، كما أنا لو رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلم حادث إذ كانوا فيه جهلة، وربما فارقهم العلم بالأشياء فعادوا إلى الجهل. وإنما سمي الله عالماً لأنه لا يجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والخلق إسم العالم واختلف المعنى على ما رأيت.

وسمي ربنا سميعاً لا- بخرت فيه يسمع به الصوت ولا- يبصر به، (الخزت: ثقب الإبرة والأذن والعين ونحوها وجمعه خروت (العين: ١/٢٣٦) كما أن خرتنا الذي به نسمع لا نقوى سبه على البصر، ولكنه أخير أنه لا يخفى عليه شيء من الأصوات، ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الإسم بالسمع واختلف المعنى.

وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر، كما أنا نبصر بخرت منا لا ننتفع به في غيره ولكن الله بصير لا يحتمل شخصاً منظوراً إليه، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى. وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد كما قامت الأشياء ولكن قائم يخبر أنه حافظ كقول الرجل: القائم بأمرنا فلأن، والله هو القائم على كل نفس بما كسبت، والقائم أيضاً في كلام الناس: الباقي والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية كقولك للرجل: قم بأمر بني فلأن، أى أكفهم، والقائم منا قائم على ساق، فقد جمعنا الإسم ولم نجتمع المعنى.

وأما اللطيف فليس على قلة وضآلة وصغر، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل: لطف عنى هذا الأمر ولطف فلأن في مذهبه وقوله: يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفاً لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحد بوصف. واللطافة منا الصغر والقلة، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى). انتهى.

من كلمات علمائنا في قاعدة اللطف

قال المفيد عليهم السلام في النكت الإعتقادية ص ٣٥: (فإن قيل: ما الدليل على أن نصب الأنبياء والرسول واجب في الحكمة؟ فالجواب: الدليل على ذلك أنه لطف واللفظ واجب في الحكمة فنصب الأنبياء والرسول واجب في الحكمة. فإن قيل: ما حد اللطف؟ فالجواب: اللطف هو ما يقرب المكلف معه من الطاعة ويبعد عن المعصية ولاحظ له في التمكين ولم يبلغ الإلجاء.

فإن قيل: ما الدليل على أن اللطف واجب في الحكمة؟ فالجواب: الدليل على وجوبه توقف غرض المكلف عليه فيكون واجباً في الحكمة وهو المطلوب.

فإن قيل: من نبي هذه الأمة؟ فالجواب: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلى الله عليه وآله. فإن قيل: ما الدليل على نبوته؟

فالجواب: الدليل على ذلك أنه ادعى النبوة وظهر المعجز على يده وكل من ادعى النبوة وظهر المعجز على يده فهو نبي حقاً). انتهى.

وقال في ص ٣٩: فإن قيل: ما الدليل على أن الإمامة واجبة في الحكمة؟

فالجواب: الدليل على ذلك أنها لطف واللفظ واجب في الحكمة على الله تعالى فالإمامة واجبة في الحكمة.

وقال في ص ١٦١: (عرف المتكلمون اللطف بما أفاد هيئته مقربة إلى الطاعة ومبعدة عن المعصية بحيث لم يكن له حظ في التمكين ولا يبلغ حد الإلجاء.....

والقول بوجوب اللطف يختص به العدلية من المعتزلة والإمامية والزيدية ويخالفهم فيه الأشعرية، وقد نسب الخلاف فيه أيضاً إلى بشر بن المعتمر من قدماء المعتزلة وإن حكى رجوعه عن ذلك أخيراً بعد مناظرة سائر المعتزلة إياه، لكن تعليل المعتزلة بوجوبه من جهة أنهم أوجبوه من جهة العدل وأن الله تعالى لو فعل خلافه لكان ظالماً، والإمامية إنما أوجبوه من جهة الجود والكرم وأنه تعالى لما كان

متصفاً بهاتين الصفتين اقتضى ذلك أن يجعل للمكلفين ما دام هم على ذلك الحال أصلح الأشياء لهم، وأن لا يمنعهم صلاحاً ولا نفعاً). انتهى.

لكن يبدو أن المحقق الحلي رحمه الله يقول به من باب العدل وليس من باب الكرم، فقد قال في المسلك في أصول الدين ص ٣٠١: (ومن الواجب في الحكمة اللطف للمكلفين، وهو أن يفعل معهم كل ما يعلم أنه محرك لدواعيهم إلى الطاعة، لأنه لو لم يفعل ذلك لكان ناقضاً لغرضه، إذ لا مشقة عليه في فعله، وهو مفضل إلى غرضه). انتهى.

وقال الشريف المرتضى رحمه الله في الشافي: ١/٣٩: (والنبوة طريق وجوبها أيضاً اللطف لم يجب عندهم أن تكون المعرفة نبوة، ولا النبوة معرفة لاستبداد كل واحدة منهما بصفة لا يشركها فيها الأخرى، والنبى لم يكن عندنا نبياً لا اختصاصه بالصفات التي يشرك فيها الإمام بل لا اختصاصه بالأداء عن الله تعالى بغير واسطة، أو بواسطة هو الملك، وهذه مزية بينة).

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في الإقتصاد ص ٧٧: (وأما الكلام في اللطف فيحتاج أن نبين أولاً ما اللطف وما حقيقته. واللطف في عرف المتكلمين: عبارة عما يدعو إلى فعل واجب أو يصرف عن قبيح، وهو على ضربين: أحدهما أن يقع عنده الواجب ولولاه لم يقع فيسمى توفيقاً، والآخر ما يكون عنده أقرب إلى فعل الواجب أو ترك القبيح....

واللطف على ثلاثة أقسام: أحدها من فعل الله تعالى، والثاني من فعل من هو لطف له، والثالث من فعل غيرهما. فما هو من فعل الله تعالى على ضربين: أحدهما يقع بعد التكليف للفعل الذي هو لطف له فيوصف بأنه واجب، والثاني ما يقع مع التكليف للفعل الذي هو لطف فيه فلا يوصف بأنه واجب، لأن التكليف ما أوجبه ولم يتقدم له سبب وجوب، لكن لا بد أن يفعل به لأنه كالوجه في حسن التكليف.

وأما ما كان من فعل المكلف فهو تابع لما هو لطف فيه، فإن كان واجباً فاللطف واجب وإن كان لطفاً في فعل نفل فهو نفل. وإذا كان اللطف من فعل غيرهما فلا بد من أن يكون المعلوم من حاله أنه يفعل ذلك الفعل على الوجه الذي هو لطف في الوقت الذي هو لطف فيه، ومتى لم يعلم ذلك لم يحسن التكليف الذي هذا الفعل لطف فيه. هذا إذا لم يكن له بدل من فعل الله يقوم مقامه، فإن كان له بدل من فعل الله تعالى جاز التكليف لذلك الفعل إذا فعل الله تعالى ما يقوم مقامه).

وقال ابن البراج الطرابلسي رحمه الله في جواهر الفقه ص ٢٤٧: (اللطف على الله واجب، لأنه خلق الخلق، وجعل فيهم الشهوة، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء، وذلك قبيح، والله لا يفعل القبيح، فاللطف هو نصب الأدلة، وإكمال العقل، وإرسال الرسل في زمانهم، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام، لئلا ينقطع خيط غرضه).

وقال المحقق الحلي رحمه الله في المسلك: ص ١٠١: (وهل يجب على البارئ سبحانه فعل اللطف أم لا؟ الأكثرون يقولون بوجوبه، واحتجوا على ذلك بوجوه:

أحدها: أن اللطف مفضل إلى غرض المكلف، وليس فيه وجه من وجوه القبح ولا يؤدي إلى ما لا نهاية له، وكل ما كان كذلك فهو واجب في الحكمة.

أما أنه مفضل إلى غرض المكلف، فلأننا نتكلم على هذا التقدير، وأما أنه ليس فيه وجه من وجوه القبح، فلأن وجوه القبح مضبوطة، وليس فيه شيء منها.

وأما أن كل ما كان كذلك كان واجباً في الحكمة، فلأن داعي الحكمة متعلق به، والصوارف منتفية عنها، وكل ما تعلق به الداعي وانتفى الصارف عنه، فإنه يجب أن يفعل.

الوجه الثاني: لو لم يفعل البارئ سبحانه وتعالى اللطف على هذا التقدير، لكان ناقضاً لغرضه، ونقض الغرض قبيح. بيان أنه يكون ناقضاً لغرضه، أن من دعا غيره إلى طعام له وعلم أنه يحضر إن أرسل رسولاً إليه لا غضاضة عليه في إرساله، ولم يرسل

رسوله، فإنه يكون غير مرید لحضوره، والعلم بذلك ظاهر.

الوجه الثالث: لو لم يجب فعل اللطف، لكان البارئ مخالفاً بما يجب عليه في الحكمة، إذ لا فرق بين منع اللطف وعدم التمكين.

احتج المخالف بأنه: لو وجب اللطف لوجب أن يفعل بالكافر.

والجواب: لا نسلم أن للكافر لطفاً. وتحقيق ذلك أن اللطف هو ما يعلم المكلف أن المكلف يطيع عنده، أو يكون أقرب إلى الطاعة، مع تمكنه في الحالين، والكافر قد لا يكون له لطف يحركه إلى فعل الطاعة. ويجرى هذا مجرى رجل له ثلاثة أولاد، أحدهم يطيعه بالإكرام، والآخر بالإهانة، والثالث لا يؤثر فيه أحد الأمرين، فلا يكون لذلك لطف، فالكافر الذي لا يطيع يجرى مجرى الثالث). انتهى.

رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف في الفقه

رأينا أن أصل قاعدة اللطف الإلهي ثابت بحكم العقل والكتاب والسنة، وأن موردها بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء عليهم السلام وعصمتهم.

وقد توسع فيها بعض علمائنا فاستعملوها في حجية خبر الواحد (رسائل المرتضى: ١/٧٤). وفي حجية الإجماع (فرائد الأصول: ١/١٨٨، ومنية الطالب: ٢/٣٣٧ ومصباح الفقاهة للخوئي: ٢/١٧٠، و: ٥/٤٤٥).

وفي نفى الحرج في الأحكام: (هداية المسترشدين: ٢/٧٣٧، وعوائد: ١٩٦).

وفي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (جواهر الكلام: ٢١/٣٥٨ ومصباح الفقاهة للسيد الخوئي: ١/٢٩٨).

وفي وجوب القضاء بين الناس (جواهر الكلام: ٤٠/١٠، والقضاء للسيد الكلبيكاني: ١/١٤)، وغيرها.

وفي كل هذه الموارد رد العلماء الإستدلال بها إلا نادراً، مثل أصل القضاء كما هو عند السيد الكلبيكاني، وعدم خلو الواقعة من حكم كما عند الشهيد الصدر (دروس في علم الأصول: ١/١٤٨).

وقد توسع بعضهم في ردها حتى لحق الحيف بأصل قاعدة اللطف، وتحامل بعضهم عليها وكأنها من مبتدعات الشيخ الطوسي رحمه الله، مع أن أستاذه المرتضى استدلل بها، وأستاذهما المفيد، وغيرهم، رحمهم الله.

نعم يصح القول إن الشيخ الطوسي أكثر فقهاءنا استدلالاً بقاعدة اللطف في الفقه والتفسير، كما نلاحظ ذلك في مبسوطه وتبيانته رحمه الله.

وقد نبه السيد الخوئي رحمه الله الى ضرورة أن لا يسبب الهجوم على موارد القاعدة في الفقه مساساً بها في العقائد، فقال في أجود التقريرات: ٢/٣٧:

(الجهة الثانية في بيان أن العقل هل يدرك الحسن والقبح بعد الفراغ عن إثبات أنفسهما أم لا؟ والتحقيق أن يقال إن العقل وإن لم يكن له إدراك جميع المصالح والمفاسد، إلا أن إنكار إدراكه لهما في الجملة وبنحو الموجبة الجزئية مناف للضرورة أيضاً، ولولا ذلك لما ثبت أصل الديانة، ولزم إفحام الأنبياء عليهم السلام! إذ إثبات النبوة العامة فرع إدراك العقل لقاعدة وجوب اللطف، كما أن إثبات النبوة الخاصة بظهور المعجزة على يد مدعيها فرع إدراك العقل قبح إظهار المعجزة على يد الكاذب، ومع إنكار إدراك العقل للحسن والقبح بنحو السالبة الكلية، كيف يمكن إثبات أصل الشريعة فضلاً عن فروعه). انتهى.

وكلامه رحمه الله واضح في أنه لا يقبل قاعدة اللطف في الفقه، ولكنه يقبلها في العقائد، غير أن موقفهم العام منها في الفقه يبقى أكثر تأثيراً على الفقيه، ولذا قال السيد الخوئي رحمه الله في جواب سؤال كما في صراط النجاة: ٢/٤٤٥:

(سؤال ١٤٠٣: قاعدة اللطف التي ناقشتموها في الأصول صغرى وكبرى، على ما في مصباح الأصول، في مناقشتكم لشيخ الطائفة التي استدلل بها جمع من أصحابنا على وجوب الإمامة، لأنها من صغرياتنا، هل يمكن الإستدلال على هذه الكبرى، بما دل من القرآن الكريم على أنه لطيف بعباده، فتكون الإمامة من صغريات ما دلت على الكبرى المستفادة من الكتاب العزيز، أم أن اللطف المشار إليه

في القرآن الكريم غير اللطف المصطلح الذي تكون مسألة وجوب الإمامة من صغرياته؟

الخوئي: نعم هو كما كتب، لا يدل على صحة الاستدلال بالقاعدة إن تمت القاعدة، ولا دلالة للآية الشريفة في أدلة الأحكام كما زعم). انتهى.

ولعل أهم إشكالاتهم على تطبيقات قاعدة اللطف في الفقه أن اللطف الواجب على الله تعالى، إنما هو اللطف الواقعي وليس ما نتصوره لطفًا!

ثم إن اللطف الواجب هو اللطف التي تمت مقتضياته وفقدت موانعه، ولا- علم لنا بتحقيق ذلك، بعكس الأمر في أصل النبوة والإمامة والعصمة. (راجع هداية المسترشدين للشيخ محمد تقي الرازي: ٢/٣٧).

ضرر الإغراق في التأصيل بقاعدة اللطف

كان الطابع العام لخطاب علماء المسلمين سنة وشيعة الاستدلال بـ(النقل)، أي بنصوص الكتاب والسنة، إلى أن ظهر في مطلع القرن الثالث الأسلوب الكلامي الفلسفي، بسبب اتساع ترجمة الكتب اليونانية، خاصة في عهد الرشيد والمأمون، فأخذ علماء السنة يستعملونه في خطابهم، ويكتبون فيه مؤلفاتهم، في الكلام والفقه والتفسير!

وقد بقي علماء الشيعة متمسكين في تأليفهم وخطابهم بالأسلوب التقليدي فحفظوا مؤلفاتهم وخطابهم لقرنين بعيدة عن التأثير بالأسلوب الفلسفي اليوناني.

لكن بحلول القرن الخامس حدثت ثلاثة تطورات على أسلوب علماء الشيعة:

الأول، ظهر على يد المفيد رحمه الله الذي كان يعيش في العاصمة بغداد، حيث رأى أن اللازم أن يكتب علماء الشيعة بأسلوب العصر، ويردوا الشبهات عن المذهب بنفس أسلوبها الذي كتبها فيه علماء السنة في عصره وقبلهم!

من هنا اتجه هو وتلاميذه الكبار كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي رحمهم الله إلى التأصيل بلغة عصرهم، وكان رحمه الله ينتقد من قبله بأنهم اقتصروا على النقل فقلدوا ولم يتعمقوا ولم يجهدوا!

قال عن الشيخ الصدوق رحمه الله في مسألة الإرادة والمشية: (قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: نقول: شاء الله وأراد، ولم يجب ولم يرض، وشاء عز اسمه ألا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك).

فعلق عليه المفيد رحمه الله بقوله: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب لا يتحصل، ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق منها والباطل، ويعمل على ما يوجب الحجة، ومن عول في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه. والحق في ذلك: أن الله تعالى لا يريد) (تصحيح اعتقادات الإمامية ص ٤٨).

وقد اشتبه الأمر على المفيد رحمه الله فإن الصدوق رحمه الله لم يقل ذلك تقليدًا، بل عمل بأحاديث غفل عنها المفيد، وهي تجعل الإرادة الإلهية أنواعًا منها الإرادة بمعنى السماح التكويني، وهذا معنى أنه لا يكون شيء في الكون إلا بإرادة.

ففي الكافي: ١/١٥٠: (عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شاء وأراد وقدر وقضى؟ قال: نعم، قلت: وأحب؟ قال: لا، قلت: وكيف شاء وأراد وقدر وقضى ولم يجب؟ قال: هكذا خرج إلينا). (راجع: تعليق الطباطبائي على الحديث، والكافي: ١/١٥٧، والمحاسن

للبرقي: ١/٢٤٤، والحدائق الناضرة: ١٣/٤٥٢، وتفسير الميزان: ١٣/٧٤ و: ١٩/٩٠).

فالملاحظة الأولى على المتجددين، أن التقليديين أكثر إحاطة منهم بأحاديث النبي وأهل البيت عليهم السلام، وهذا ما ينبغي ملاحظته عند إشكالاتهم عليهم.

والملاحظة الثانية، أن المتجددين مع جهدهم المشكور في التأصيل، واستعمالهم لغة الخطاب العصرية، إلا أنهم قد يبالغون في

الإعتماد على ما أصّلوه، ثم يكررونه حتى يتخيل المخالف أن هذا كل دليلهم في المسألة!

وهذا ما حدث في قاعدة اللطف حيث تراها في مؤلفات المفيد وتلاميذه رحمه الله،

أبرز ما استدلووا به على بعثة الأنبياء والأوصياء وعصمتهم عليهم السلام، حتى جاء بعدهم الفخر الرازي فتخيل أنه إن رد قاعدة اللطف فقد رد مذهب الشيعة بكامله!

قال في المحصول ص ١٢٤: (فهذا ما على هذه الطريقة من الاعتراضات ومن أحاط بها تمكن من القدح في جميع مذاهب الشيعة أصولاً وفروعاً، لأن أصولهم في الإمامة مبنية على هذه القاعدة، ومذاهبهم في فروع الشريعة مبنية على التمسك بهذا الإجماع. والله أعلم) انتهى.

طبعاً نحن لانصدق ما زعمه الفخر الرازي، وقد ظهر شكه هو في تعميمه بقوله (والله أعلم)، لكنه قرأ للسيد المرتضى والشيخ المفيد فوجد قاعدة اللطف محور استدلالهم على الإمامة والعصمة، فدبج صفحات في مناقشتها دون أن يسميها، وطمع في أن يصدق القارئ كلامه هذا.

ولو وجد أن المحور في استدلالهم الآيات والأحاديث كآية التطهير وحديث الثقلين وحديث علي مع القرآن والقرآن مع علي، والعشرات من أمثالها، وأن قاعدة اللطف ليست إلا تأصيلاً عقلياً مكماً للدليل، لما طمع بذلك!

والنتيجة: أن قاعدة اللطف قاعدة عقلية، يدرك أصلها العقل ويقطع به، لكنه لا يدرك تفاصيلها، ولذلك لا بد من الإقتصار في الإستدلال على القدر المتيقن منها، وعدم تجاوزه إلى الإستحسانات والإحتمالات.

أما ما دل عليه القرآن والسنة من أصلها أو تفاصيلها، فيرتقى عن كونه استحساناً واحتمالاً عقلياً، ويكون حياً من خالق العقل سبحانه. أما التطور الثاني، على أسلوب علماء الشيعة، فهو تأثير احتكاكهم بثقافة الروم عن طريق علماء حلب، والذي ورثه علماء جبل عامل بشكل خاص.

والتطور الثالث، تأثير الفلسفة اليونانية بعد أن اجتهد فيها المسلمون وحاولوا إخضاعها لثقافة الإسلام، واستعملوا أسلوبها في خطابهم ومؤلفاتهم، واتجاهاتهم العقديّة والعرفانية.

ولا يتسع المجال لبسط الكلام في صفات وإيجابيات وسلبيات هذه الإتجاهات في أسلوب الفهم والخطاب، وتأثيرها أحياناً على المضمون.

كيف يُلطف الله تعالى بالمعصوم

اتفق علماءنا على أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام معصومون، عن كل معصية وكل ما يشين شخصيتهم الربانية السامية.

وبحثوا في حدود العصمة، وأدلتها، والموارد التي فيها إشكال أو سؤال.

ثم بحثوا في ماهية العصمة فاتفقوا على أنها من فعل الله تعالى، وبما يحفظ حرية اختياره ومسؤوليته عن عمله.

وعندما تأملوا في كيفية حصولها للمعصوم عليه السلام، والوسائل التي يستعملها الله تعالى لتحقيقها، وجدوها متعددة وأكثرها مجهولاً لنا، فقالوا إنها ألطف إلهية من الله تعالى لعبادة المكرمين، وعزّفوا العصمة بأنها لطف إلهي بالمعصوم يمنعه من الوقوع في المعصية وما يشين.

وهذا موقف علمي صحيح من كيفية عصمة الله تعالى لخاصة عباده عليهم السلام، لكننا لانعدم نصوصاً تعطينا أضواءً مهمة على الوسائل الربانية في العصمة، منها:

١- ينبغي أن نتذكر السلطة الإلهية والهيمنة الكاملة على كل الوجود، وهي سلطة أعمق، وأكثر تنوعاً، من كل ما نعرف من سلطات.

قال الله تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. وَهُوَ الظَّاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. (الأنعام: ٥٩-٦٢).

وقال تعالى: سَيَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسِرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. (الرعد: ١٠-١١).

وقال تعالى: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. (التوبة: ٧٨).

وفي حديث النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله من تفصيل هذه الآيات وتفسيرها ما يخشع له العقل القلب. قال الشريف المرتضى في الأمالي: ٢/٢: (إن سأل سائل عن الخبر المروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي (ص) يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله (ص) عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. وعماً يرويه أنس قال قال رسول الله (ص) ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبتته ثبتته وإن شاء أن يقلبه قلبه.

وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأُم سلمة زوج النبي (ص): ما كان أكثر دعاء النبي (ص)؟ قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقالت قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ فقال: يا أم سلمة ما من آدمي إلا - وقلبه بين إصبعين من أصابع الله عز وجل، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ. فقال ما تأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه؟ أوليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ولا تطابق العقول، لا يجب ردها والقطع على كذب راويها، إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل....

ثم استعرض معنى الإصبع وأنها تستعمل بمعان مجازية في لغة العرب وشعرهم، وقال: (فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على قلب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة، وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه، فقال إنها بين إصبعين من أصابعه، كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى). انتهى. وفي قصص الأنبياء للجزائري ص ٤٧١: (بينما عيسى بن مريم جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام: اللهم أردد إليه الأمل، فقام يعمل بمسحاته، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا اعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير! فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: والله لا بد لك من عيش ما بقيت، فقامت إلى مسحاتي). (وتاريخ دمشق: ٤٦٨/٤٧، ومستدرک سفينة البحار: ١/١٨٥، عن مجموعة ورام).

٢- إن كل شخص منا يحيط به بضعة ملائكة يعملون بأمر الله تعالى، فكيف بالمعصوم؟ قال الله تعالى: إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ. (هود: ٥٧) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ. (الإنفطار: ١٠-١٢). إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. (الطارق: ٤). لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (الرعد: ١١).

٣- وسائل الفعل الإلهي كثيرة، وهي أوسع وأعمق مما نتصور! قال الله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُذْذَبُوا بِإِيمَانٍ مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. (الفتح: ٤)، وقد ذكر في الآية إنزال روح السكينة على قلوب المؤمنين، وهي كما في الأحاديث روح خاصة تراقف المؤمن وتوجب اليقين في فكره والطمأنينة في نفسه، وهي نوع من أنواع جنود السماوات والأرض، التي تشمل أنواعاً كثيرة من المخلوقات، والقوى المنظورة وغير

المنظورة، المتصورة لنا وغير المتصورة!

٤- من وسائل العصمة أن الله يبعث ملكاً يرافق المعصوم ويكلمه ويرشده، قال علي عليه السلام يصف رسول الله صلى الله عليه وآله: (ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره). (نهج البلاغة: ٢/١٥٧).

وفي حلية الأبرار للسيد البحراني: ١/٣٤: (قرن جبرائيل بنبيه محمد صلى الله عليه وآله ثلاث سنين، يسمع حسه ولا يرى شخصه، ويعلمه الشيء بعد الشيء، ولا ينزل عليه القرآن فكان في هذه المدة مبشراً بالنبوة غير مبعوث إلى الأمة). (عن المناقب: ١/٤٣).

٥- ومن وسائل العصمة أن الله تعالى يلقي حالة خاصة على شخصية المعصوم من الخشوع والإحساس بوجود الله تعالى، فيعيش كل حياته حالة استحضار لربه عز وجل وحضور بين يديه، وكفى بذلك عاصماً له عن معصيته. وتحدث هذه الحالة له في آخر دقيقة من حياة المعصوم السابق عليهم السلام.

ففي بصائر الدرجات ص ٤٩٧: (باب الوقت الذي يعرف الإمام الأخير ما عند الأول. حدثنا محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن الحكم بن مسكين، عن عبيد بن زرارة وجماعة معه قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: يعرف الإمام الذي بعده علم من كان قبله في آخر دقيقة تبقى من روحه). (وروى حديثين آخرين مثله. وروى الكليني في الكافي: ١/٢٧٤، ثلاثة أحاديث):

وفي بصائر الدرجات ص ٤٨٦: (باب في الإمام متى يعلم أنه إمام. حدثنا محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أخبرني عن الإمام متى يعلم أنه إمام حين يبلغه أن صاحبه قد مضى أو حين يمضي؟ مثل أبي الحسن عليه السلام قبض ببغداد وأنت هاهنا؟ قال: يعلم ذلك حين يمضي صاحبه. قلت: بأي شيء؟ قال: يلهمه الله ذلك....

حدثنا محمد بن عيسى... قال: بينا أبو الحسن عليه السلام جالس مع مؤدب له يكنى أبا زكريا وأبو جعفر عليه السلام عندنا أنه ببغداد وأبو الحسن يقرأ من اللوح إلى مؤدبه، إذ بكى بكاء شديداً، سأله المؤدب ما بكاؤك؟ فلم يجبه، فقال: إنذن لي بالدخول فأذن له، فارتفع الصياح والبكاء من منزله، ثم خرج إلينا، فسألناه عن البكاء فقال: إن أبي قد توفي الساعة. فقلنا: بما علمت؟ قال: دخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمت أنه قد مضى! فتعرفنا ذلك الوقت من اليوم والشهر، فإذا هو قد مضى في ذلك الوقت....

عن هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر! فقيل له: وكيف عرفت ذلك؟ قال: تداخلني ذلُّه لله لم أكن أعرفها). انتهى.

٦- أن المعصوم تحدثه الملائكة وتوجهه عند اللزوم، ففي الكافي: ١/٢٧١:

(عن محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون.... عن محمد بن مسلم قال: ذكر المحدث عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص. فقلت له: جعلت فداك كيف يعلم أنه كلام الملك؟ قال: إنه يعطى السكين والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك....

ثم روى عن الإمام الباقر عليه السلام أن علياً عليه السلام كان محدثاً فسأله حمزان: من يحدثه؟ فقال: يحدثه ملك، قلت: تقول: إنه نبي؟ قال: فحرك يده هكذا: أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين، أو ما بلغكم أنه صلى الله عليه وآله قال: وفيكم مثله).

٧- أن الله يؤيد المعصوم بملك خاص. والأحاديث في ذلك عديدة، منها ما رواه في الكافي: ١/٢٧٣: (عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ؟ قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده...)

عن أسباط بن سالم قال: سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا؟ فقال: منذ

أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد، صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء وإنه لفينا....

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت.

عن أبي حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ؟ ثم قال: أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية، أيقرون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري جعلت فداك ما يقولون، فقال: بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطها عبداً علمه الفهم....

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى، غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم، وليس كل ما طلب وجد). انتهى.

وفي الكافي: ١/٢٧٤: (عن سعد الإسكاف قال أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين: جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل، فكرر ذلك على الرجل فقال له: لقد قلت عظيماً من القول ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل فقال له: أمير المؤمنين: إنك ضال تروى عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ، والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم). انتهى.

وفي الكافي: ١/٢٧١: (عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. (الواقعة: ٧-١١) فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فيه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فيه خافوا الله عز وجل، وأيدهم بروح القوة فيه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فيه اشتها طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون. وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فيه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فيه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فيه اشتها طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون....

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثن إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب...

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخي عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام. وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو. والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به). انتهى.

٨- قلنا في دلالة الإستخلاص الإلهي على العصمة: وقد بين الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومة عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوَعَّدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمِيرًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَنْ قَدَأْتَلَّغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. (الجن: ٢٥-٢٨) والإستخلاص مقام أعظم من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ

الغيب المخبر به.

٩- وردت أحاديث عديدة في صفات ومقامات للنبي والأئمة صلى الله عليه وآله، تُعتبر كل واحدة منها من وسائل الله تعالى في عصمتهم، صلوات الله عليهم، ويطول الكلام لو أردنا عرضها ولو إجمالاً، لذا نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

فمنها: عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فقد روى الكليني في الكافي تحت هذا العنوان: ١/٢١٩، عدة أحاديث، منها: (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها، وهو قول الله تعالى: **إِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ**. وسكت.... عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: **إِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**؟ قال: هم الأئمة....

عن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام قال: قلت للرضا عليه السلام: أدع الله لي ولأهل بيتي، فقال: أو لست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة! قال: فاستعظمت ذلك فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: **إِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**؟ قال: هو والله على بن أبي طالب عليه السلام). انتهى.

وفي الكافي: ١/٣٨٧: (عن محمد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الإمام ليسمع في بطن أمه، فإذا ولد خط بين كتفيه: **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**، فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور، يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة). انتهى.

ومنها: أن الله تعالى أعطاهم من إسمه الأعظم أضعاف ما أعطى غيرهم، ففي الكافي: ١/٢٣٠: (عن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول: إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفه عين! وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً. وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب). انتهى.

ومنها: أن قوة نفس المعصوم عليه السلام وقربه من الله تعالى، يجعل رغبته وتوجهه النفسى إلى الشئ كافياً لأن يكشفه الله له: ففي الكافي: ١/٢٥٨: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك).

ومنها: أنهم أصحاب ليلة القدر الذين تنزل عليهم الملائكة بأمر الله فيها. ففي الكافي: ١/٢٤٧، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث: (إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة، وإن لذلك الأمر ولاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: من هم؟ فقال: أنا وأحد عشر من صلبى أئمة محدثون). انتهى.

أقول: وهذا باب واسع، يفهم منه الكثير من عطاءات الله وأفعاله عز وجل في عصمة أنبيائه وأوصيائهم عليهم السلام، وإن كان الكثير منه مختصاً بالنبي وآله صلى الله عليه وآله ولا يشركهم فيه غيرهم، فالمعصومون درجات.

درجات العصمة واللفظ بالمعصومين

نص القرآن الكريم على أن الله تعالى جعل مخلوقاته درجات، وفضل بعضها على بعض، لأسباب وحكم وأسرار يعلمها عز وجل. وهذه أهم آيات التفضيل:

تفضيل بنى آدم على كثير من المخلوقات

قال الله تعالى: **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْجَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**. (الإسراء: ٧٠).

تفضيل بعض الناس على بعضهم في الرزق والتكوين

(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ الَّذِينَ فَضَّلُوا بَرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَمَلِهِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).

(النحل: ٧١).

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ).
(الأنعام: ١٦٥).

(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسِمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمِيَّةً رَبُّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ. وَلَوْلَا - أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكئون. وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ). (الزخرف: ٣٢-٣٥).

تفضيل الرجال على النساء

(الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَاتِنَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ). (النساء: ٣٤).
(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا). (النساء: ٣٢).

تفضيل المجاهدين على القاعدين

(فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا).
النساء: ٩٥ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. النساء: ٩٦
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. المائدة: ٥٤)

تفضيل العلماء على غيرهم

(يُوفِعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ). (المجادلة: ١١).

التفضيل في الآخرة أكبر منه في الدني

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلًّا نُمِدُّ هُوَلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا. (الإسراء: ١٩-٢١).
(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا). (النساء: ٦٩-٧٠).

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا). (النساء: ١٧٥).

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رُوحَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. (الشورى: ٢٢).

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ. كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. فَضلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. (الدخان: ٥١-٥٧).

(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. الحديد: ٢١)

تفضيل بعض الأنبياء عليهم السلام على بعض

(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا). (الإسراء: ٥٥)

تفضيل بعض الرسل عليهم السلام على بعض

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. (البقرة: ٢٥٣).

تفضيل إبراهيم وآل إبراهيم ومن معهم عليهم السلام

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. (الأنعام: ٨٣-٨٤)

تفضيل آل إبراهيم عامة

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا. (النساء: ٥٤-٥٥).

تفضيل داود وسليمان عليهما السلام خاصة

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ. (النمل: ١٥-١٦).

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَاللَّيْلُ لَهُ الْحَدِيدُ. سبأ: ١٠)

أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. سبأ: ١١)

(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. (سبأ: ١٠-١٢).

تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله

(أَلَمْ نُنشِخْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ. (الشرح: ١-٤) (إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا). (الإسراء: ٨٧).

(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا). (النساء: ١١٣).

تفضيل آل محمد صلى الله عليه وآله

(ذَلِكَ الَّذِي يُشِيرُ اللَّهُ عِبَادَةَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ). (الشورى: ٢٣).

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). (الأحزاب: ٣٣).

(سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ). (الصافات: ١٣٠).

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ). (فاطر: ٣٢).

تفضيل اليهود على الأمم المعاصرة لأنبيائهم

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (البقرة: ٤٧ و ١٢٢) (قَالَ أَعْيَبَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (الأعراف: ١٤٠).

تفضيل أمة رسول الله صلى الله عليه وآله

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (الجمعة: ٢-٥).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَسْخَرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (الحديد: ٢٨-٢٩). (قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ مَا أُوحِيَ أَوْ يُرْسَلْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (آل عمران: ٧٣-٧٤)

عصمة نبينا وآله أرقى أنواع العصمة

أجمع المسلمون على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وآله أفضل الخلق عند الله تعالى، وأنه صاحب لواء رئاسة المحشر يوم القيامة، وقد روى ذلك جميعهم.

لكن رواة السلطة وقعوا في التناقض، فرووا ذلك ورووا ضده أيضاً! وفضلوا بعض الأنبياء على نبينا صلى الله عليه وآله كما في البخاري! وقد بحثنا ذلك في كتاب (ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام)، مسألة ١٣٧.

فقد امتاز الشيعة بالقول إنه صلى الله عليه وآله أفضل الخلق على الإطلاق، وإن درجة عصمته أعلى من درجة عصمة جميع الأنبياء عليهم السلام، فالأفضلية استحقاق بالعمل وبعمق الوعي والعبودية، والعصمة استحقاق يتناسب مع مستوى العمل.

ويكفي دليلاً عليه قوله تعالى: وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، فهذه رتبة عظيمة لم تثبت لأحد من الأنبياء عليهم السلام، ومن عصم الله منطقه عن الهوى فجعله وحياً يوحى، فقد عصم فعله أيضاً، أو بطريق أولى! حيث لا يمكن تصور عصمة لسان أحد عن المعصية والخطأ بدون عصمة بقیة جوارحه!

هذا مضافاً إلى الآيات الأخرى، والأحاديث الصحيحة المتواترة، التي نصت على مقامه الفريد صلى الله عليه وآله ودرجة عصمته الخاصة، ودلت على أن درجة عترته الطاهرين عليهم السلام تلي درجته صلى الله عليه وآله مباشرة.

وقد رواها معنا رواة الخلافة أيضاً، ولكنهم عملوا على تأويلها أو تضعيفها، ومنها الحديث الصحيح المعروف: (نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا، وعلى أخى، وحمزة عمى، وجعفر بن عمى، والحسن، والحسين، والمهدى). وقد استوفينا مصادره وتصحيحه عند

الطرفين في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١/١٩٨، ومن ذلك تصحيح الحاكم له على شرط مسلم: ٣/٢١١.

وينبغي الإلفات إلى أن مقام حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب، يلي مقام المعصومين من العتره عليهم السلام ولا يتقدم على أحد منهم، كما قد يتوهم من ظاهر الحديث، فهما مرضيان غير معصومين رضى الله عنهما، والعصمة عندنا مختصة بمن دل عليهم النص النبوي فقط، وهم العتره، أو أهل البيت بالمعنى الأخص: على وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي عليهم السلام. وهم المعنى النبوي المصطلح لأهل البيت، وآل محمد، والعتره، في مقابل المعنى اللغوي الأوسع منهم.

ومنها، حديث النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء عليها السلام، الذي رواه الصدوق في كمال الدين ص ٦٦٢، عن سلمان قال: (كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضته التي قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من

الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يارسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك! فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض إطلاعةً فاختراني من خلقه فجعلني نبياً،

ثم اطلع إلى الأرض إطلاعةً ثانيةً فاختر منها زوجك، وأوحى إليَّ أن أزوجك إياه، وأتخذته ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمتي. فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي.

ثم اطلع إلى الأرض إطلاعةً ثالثةً فاخترك وولديك، فأنت سيدهُ نساء أهل الجنة وابتناك حسن وحسين سيدي شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدى أخى على، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم! أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي، أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله... الحديث). (ورواه في شرح الأخبار: ١/١٢٢، عن أبي سعيد الخدرى، والطبرى فى المسترشد ص ٦١٣، بتفصيلات أخرى.. الخ.).

وروت منه مصادر الخلافة فقرات مهمة بسند صحيح، كالطبرانى فى الكبير: ٣/٥٧ والصغير: ١/٦٧، وابن عساکر: ٤٢/١٣٠، والطبرى فى ذخائر العقبي ص ١٣٥، وابن الأثير فى أسد الغابة: ٤/٤٢، والهيثمى فى مجمع الزوائد: ٨/٢٥٣، ولم يضعفه أحد منهم غير الذهبى فى القرن الثامن! بحجة ضعف أحد رواته (الهيثم بن حبيب) الذى قال عنه الهيثمى فى الزوائد: ٣/١٩٠. وأما الهيثم بن حبيب فلم أر من تكلم فيه غير الذهبى اتهمه بخبر رواه، وقد وثقه ابن حبان). انتهى.

بل وثق الهيثم هذا كبار أئمة الجرح والتعديل عندهم كأحمد وأبى عوانة وشعبة وأبى حاتم وأبى زرعة وغيرهم، كما بيناه فى (جواهر التاريخ: ١/١١٥) ووقع الهيثمى والذهبى فيه فى التناقض أو الكذب! ونكتفى بهذا القدر فى تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله على بقية الأنبياء عليهم السلام، وقد تعرضنا له فى مؤلفاتنا الأخرى، وبيننا أن مقام عترته وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يلى مقامه مباشرة، بل هو ملحق به، وجزء لا يتجزأ منه.

النبى و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد

العصمة هى الإمتناع بالله تعالى عن جميع معاصى الله، على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام، وهى مقام ربانى عظيم دون شك، غير أن مقام النبى وآله صلى الله عليه وآله أعلى منها بكثير! ويكفى لذلك قوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله: وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، وهى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها إنسان.

وقول النبى صلى الله عليه وآله فى الحديث المتواتر عن أهل بيته عليهم السلام: إنى تارك فىكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. فقد جعلهم عدلاً للقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهم مثله لا يأتيهم الباطل، وهم ورثة القرآن، وحجة الله فى بيانه وهداية الأمة به.

وقد روت مصادر الخلافة قليلاً، وروت مصادرنا كثيراً، من الأحاديث التى تكشف عن مقامهم العظيم، وأنهم مشروع ربانى مميز، منذ تكوين الكون، وفى مسيرة وجوده، إلى ختامها بالحياة الآخرة.

ولا يتسع المجال لبحث مفرداتها ولا لعرضها، فنكتفى بالإشارة إلى أهمها:

١- صحت الأحاديث بأن الله تعالى أول ما خلق أنوارهم عليهم السلام من نور عظمته قبل خلق الخلق.

٢- وأن وجود المعصوم على الأرض ضرورة، ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً، وإلا لساخت الأرض بأهلها.

٣- وأن الله تعالى جعلهم واسطة فى فيض عطائه على الوجود.

٤- وأعطاهم ما شاء من الولاية التكوينية والتشريعية.

٥- وفرض ولايتهم على الأنبياء والأوصياء السابقين عليهم السلام.

٦- وفرض ولايتهم على هذه الأمة، فلا يقبل من أحد عملاً إلا بها.

٧- وأن دولة العدل الإلهي ستقوم على يدهم، وتستمر إلى يوم القيامة.

درجة شيعه النبي وآله في أحاديث الطرفين

بل دلت الأحاديث الصحيحة على أن شيعه أهل البيت ومحبيهم عليهم السلام ملحقون بدرجةهم يوم القيامة، ومن ذلك الحديث المشهور الذي رواه أبو داود والترمذي، وأحمد، والطبراني وغيرهم، وهو حديث صحيح لا يمكن لأحد أن يطعن في أحد من رواه. وقد روينا نحن بنفس السند كما في كامل الزيارات ص ١١٧: (عن أبي سعيد قال: حدثنا نصر بن علي قال: حدثنا علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد الحسن والحسين فقال: من أحب هذين الغلامين وأباهما وأمهما فهو معي في درجتي يوم القيامة). (ورواه الصدوق في الأمالي ص ٢٩٩، وغيره).

ورواه منهم كثيرون كالترمذي: ٥/٣٠٥، قال: (حدثنا نصر بن علي الجهضمي أخبرنا علي بن جعفر بن محمد بن علي قال أخبرني أخي موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب أن النبي (ص) أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه).

ورواه الطبري في الكبير: ٣/٥٠، والصغير: ٢/٧٠، وابن عساكر: ١٣/١٩٥ و١٩٦، وفي هامشه: مسند أحمد: ١/٧٧، وأسد الغابة: ٤/٢٩. ورواه الخطيب في تاريخ بغداد: ١٣/٢٨٩ وقال: قال أبو عبد الرحمن عبد الله: لما حدث بهذا الحديث نصر بن علي أمر المتوكل بضربه ألف سوط، وكلمه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه، وكان له أرزاق فوفرها عليه موسى). انتهى.

ورواه المزي في تهذيب الكمال: ٢٠/٣٥٤، وقال: (رواه عن نصر بن علي، فوافقناه فيه بعلو، وقال: غريب لا نعرفه من حديث جعفر إلا من هذا الوجه. وقد كتبناه من وجه آخر عن نصر بن علي في ترجمة الحسين بن علي). انتهى.

(ورواه المزي في: ٢٩/٣٦٠، وذكر قصة المتوكل. وأسنده القاضي عياض في الشفا: ٢/٤٩، بنحو القطع إلى النبي صلى الله عليه وآله، ورواه كتر العمال: ١٢/١٠٣، و١٣/٦٣٩، عن مصادر أخرى. وأسنده البيهقي في لباب الأنساب: ١/٢٦ بنحو القطع إلى النبي صلى الله عليه وآله).

ورواه الهيثمي في الصواعق: ٢/٤٠٦، وقال: (وليس المراد بالمعیه هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب نظير ما في قوله تعالى: فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

ورواه الذهبي في سيره: ١٢/١٣٥، وشهد بوثاقه رواه، لكنه رده بخلًا بدرجة النبي صلى الله عليه وآله على الذين يحبون عترته! قال: (قلت: هذا حديث منكر جداً.... ثم ذكر قصة المتوكل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وقال: قلت: والمتوكل سني، لكن فيه نصب. وما في رواه الخبر إلا- ثقة! وما كان النبي (ص) من حبه وبث فضيلة الحسنين ليجعل كل من أحبهما في درجته في الجنة، فلعله قال: فهو معي في الجنة. وقد تواتر قوله عليه السلام: المرء مع من أحب. ونصر بن علي، فمن أئمة السنة الأثبات). انتهى.

والعجيب أن الذهبي قبل أن يكون محب العترة مع النبي صلى الله عليه وآله، ولم يقبل أن يكون في درجته! وكان عليه كما وسع معنى المعية، أن يقبل توسيع الدرجة!

ولم يطعن الذهبي في علي بن جعفر الصادق عليه السلام، لكنه شكك في حفظه بدون دليل! إلا أنه لم يعجبه حديثه فشكك في حفظه!

كما ارتكب الذهبي تضعيف هذا الحديث في سيره: ٣/٢٥٤، فقال: (إسناده ضعيف والتمن منكر). انتهى. ولم يبين سبب حكمه بضعفه، لأنه لا يستطيع أن يضعف أيًا من رواه! فهل هذا إلا هوى!

وتبعه الألباني فضعه في ضعيف الترمذى ص ٥٠٤، والضعيفة ٣١٢٢، وتخريج المختارة ٣٩٢، تقليداً باسم الإجتهد، وتعصباً باسم البحث العلمي!

ومن عسى أن يضعف الألباني والذهبي من رجال رواته، التي تبدأ بنصر الذي اتفقوا على وثاقته وأنه من أئمة السنة، عن علي بن جعفر الصادق عليه السلام الذي هو من رجال الترمذى، ولم يجرحه أحد من علماء الجرح، ثم يصل إلى سلسلة الذهب الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين قال أحمد بن حنبل عن إسنادهم: (لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه)!!

قال في هامش مسند زيد بن علي ص ٤٤٠: (أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا- ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به. فاستوقف غلماناً وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلايق برؤية طلعت، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ، وتمرغ في التراب، ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس، أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم، وكان المستملي أبا زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي، فقال علي الرضا رضى الله عنه: حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلاء، عن أبيه علي المرتضى، قال حدثني حبيبي وقره عيني رسول الله صلى الله عليه وآله قال حدثني جبريل عليه السلام قال حدثني رب العزة سبحانه وتعالى قال: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي. ثم أرخى الستر على المظلة وسار، قال فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً. قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه! انتهى.

وقال أبو نعيم في الحلية: ٣/١٩١، بعد أن رواه بتفاوت يسير: (هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق).

وقال ابن الشجري في الأمالي ص ٢٥، والقزويني في التدوين: ٣/٤٨١، بعد حديث بسند مشابه: (قال علي بن مهرويه: قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق). وقال الزمخشري في ربيع الأبرار ص ٦٧٣: (كان يقول يحيى بن الحسين الحسنى في إسناد صحيفة الرضا: لو قرئ هذا الإسناد في أذن مجنون لأفاق).

وقال الإربلى في كشف الغمة: ١/١٣٤: (هذا الحديث نقله أحمد في مواضع من مسنده، وهو حديث خطره عظيم، ومجده كريم، ووجده وسيم، وشرفه قديم فإنه جعل درجة محبيهم مع درجته، وهذا محل يقف دونه الخليل والكليم، وههنا ينقاد المنقول والمعقول، وهو صلى الله عليه وآله أعلم بما يقول). انتهى.

وأغرب من الألباني والذهبي: ابن تيمية الذي قال في منهاجه: ٧/٣٩٧: (فصل. قال الرافضى: الحادى عشر، ما رواه الجمهور من وجوب محبته وموالاته. روى أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما فهو معي في درجتي يوم القيامة... وأورد عدة أحاديث أوردها العلامة الحلبي رحمه الله في كتابه منهاج الكرامة الذى ألف ابن تيمية كتابه للرد عليه، ثم قال:

(والجواب من وجوه: أحدها، المطالبة بتصحيح النقل وهيئات له بذلك!

وأما قوله رواه أحمد فيقال: أولاً، أحمد له المسند المشهور وله كتاب مشهور في فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لا يروها في المسند لما فيها من الضعف، لكونها لا تصلح أن تروى في المسند لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال.

ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثم إن القطيعي الذى رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات، وفيها أحاديث موضوعه باتفاق أهل المعرفة. وهذا الرافضى وأمثاله من شيوخ الرافضة جهال، فهم ينقلون من هذا المصنف فيظنون أن كل ما رواه

القطيعي أو عبد الله قد رواه احمد نفسه، ولا يميزون بين شيوخ أحمد وشيوخ القطيعي، ثم يظنون أن أحمد إذا رواه فقد رواه في المسند، فقد رأيتهم في كتبهم يعزون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط، كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما، بسبب هذا الجهل منهم! وهذا غير ما يفترونه من الكذب فإن الكذب كثير منهم.

وبتقدير أن يكون أحمد روى الحديث، فمجرد رواية أحمد لا- توجب أن يكون صحيحاً يجب العمل به، بل الإمام أحمد روى أحاديث كثيرة ليعرف ويبين للناس ضعفها، وهذا في كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج إلى بسط، لاسيما في مثل هذا الأصل العظيم.

مع أن هذا الحديث الأول من زيادات القطيعي، رواه عن نصر بن علي الجهضمي، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر الخ. انتهى.

وأول سؤال يرد في الذهن: لماذا افترض ابن تيمية أن راوي الحديث ابن حنبل وحده؟ ألا يعرف أن له رواة آخرين عديدين؟! والجواب: أن هذه عادة ابن تيمية! فهو يعرف أن للحديث مصادر عديدة غير مسند أحمد، وأنه لا يمكنه تضعيف سنده! لكنه تصور أن نقل العلامة الحلبي له عن مسند أحمد نقطة ضعف، لأن الحديث من زيادات عبد الله بن أحمد وتلميذه القطيعي على مسند أحمد تحت نظره، فركز هجومه عليها! وصوّر الأمر كأنه: هل كتب أحمد هذا الحديث بيده؟ أو أضافه ولده أو تلميذه؟ فلو قلنا لابن تيمية: حسناً، اعتبره من رواية ابن أحمد أو القطيعي، فما رأيك فيه؟ هل تطعن في واحد منهما، وهل تستطيع تضعيف رواية الحديث؟!

ثم نلاحظ أن ابن تيمية قال: (فقد رأيتهم في كتبهم يعزون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط! كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما، بسبب هذا الجهل منهم). انتهى.

وهذا يعني أنه قرأ الطرائف لابن طاوس رحمه الله، وقرأ العمدة لابن البطريق رحمه الله ورأى أنهما نقلتا الحديث عن مسند أحمد! أما في الطرائف ص ١١١ فقال: (ومن ذلك ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده) انتهى، فقد اقتصر في روايته على أحمد، ونسبها إليه كغيره من علماء السنة!

لكن ابن البطريق رواه في العمدة في ص ٢٧٤ عن عبد الله بن أحمد عن الجهضمي الخ. ورواه بعده في ص ٢٨٣، فقال: (ومن الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري في الجزء الثالث في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، وبالإسناد المقدم من سنن أبي داود قال: عن علي عليه السلام قال: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني وإذا سكت ابتدأني وأخذ بيد الحسن والحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات، كان متبعاً لستى كان معي في الجنة). انتهى.

فقد قرأ ابن تيمية روايته عن الجمع بين الصحاح أيضاً، فلماذا أهملها؟!

إنه لا يريد أن يبحث بحثاً علمياً، لافي سند الحديث ولا في متنه! بل همه أن يفتش عن شيء يتصوره نقطة ضعف ليهرج به ويترك كل ما سواه!

وهو حاضر لذلك أن يطعن في أحمد ومسنده وعبد الله بن أحمد والقطيعي، من أجل أن يردّ فضيلة للنبي وعترته صلى الله عليه وآله، لمجرد أن عالماً شيعياً استدل بها!

زيادة رزين العبدري عن أبي داود

قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ٢/٥٠٠: (من أحبنى وأحب هذين يعني حسناً وحسيناً، وأباهما وأمهما، كان معي في الجنة في درجتي. زاد أبو داود (ومات متبعاً لستى). وبها يعلم أن مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة، لا يفيد مدعيها شيئاً من الخير بل تكون عليه وبالاً وعذاباً أليماً في الدنيا والآخرة). انتهى.

أقول: بقطع النظر عن تفسير ابن حجر المتوتر لهذه الزيادة، فقد أخذها هو وغيره من رزين العبدري، صاحب كتاب الجمع بين الصحاح، حيث نسبها هو إلى سنن أبي داود، ولا وجود للحديث في سنن أبي داود!

قال السيد البحراني في غايه المرام: ٦/٤٨: (الخامس عشر: الجمع بين الصحاح الستة لريزين العبدري في الجزء الثالث، في باب مناقب الحسن والحسين من سنن أبي داود عن علي، قال: كنت إذا سألت رسول الله أعطاني وإذا سكت ابتداني، وأخذ بيد حسن وحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات متبعاً لسنتي كان معي في الجنة). انتهى.

ونص صاحب البحار: ٣٧/٧٦، على أن الزيادة من رزين نفسه، فقد نقل الحديث عن ابن الأثير عن الترمذي، ثم قال: (وذكر رزين بعد قوله: وأمهما: ومات متبعاً لسنتي غير مبتدع). انتهى.

وكذا السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق: ٩/١٧٨، قال: (ريزين العبدري في الجمع بين الصحاح (مخطوط) قال: إن النبي أخذ بيد حسن وحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات متبعاً لسنتي كان معي في الجنة). انتهى.

وأدق ما وجدناه قول الأذرعى في بشاره المحبوب بتكفير الذنوب ص ٦٦، بعد نقل الحديث: (رواه الترمذي. زاد رزين: ومات متبعاً لسنتي غير مبتدع). انتهى.

فكيف يصح نسبة الزيادة إلى أبي داود والحديث لا يوجد في سننه أصلاً! وحتى لو قلنا بنقص نسخه أبي داود الموجودة فلا يمكننا نسبة الزيادة إليه، فیتعين أن تكون لرزين تعليقا منه على رواية الترمذي، كما ذكر الأذرعى.

على أن هذه الزيادة لو ثبتت لا تغير من الأمر شيئاً، ولا تحتل ما حملها إياه ابن حجر فجعل اتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله بمعنى اتباع أبي بكر وعمر! لأن اتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله لا يتحقق إلا بحب أهل بيته عليهم السلام ولا يتحقق حبهم إلا بطاعتهم دون من خالفهم، وأخذ سنة النبي صلى الله عليه وآله منهم دون ما خالفهم.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبَحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهاذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولا سيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب

الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتى: ديتية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأدق للمسائل الديتية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدلة أو الرديئة - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعة، و...
- منها العدالة الاجتماعية: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهة أخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الديتية، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كسك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعیه و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسة

(ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفترق" و "فانى/ " بنايه " القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم المتزايد و المتسعّ للامور الدينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمّى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً مترائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

